نهج البلاغة

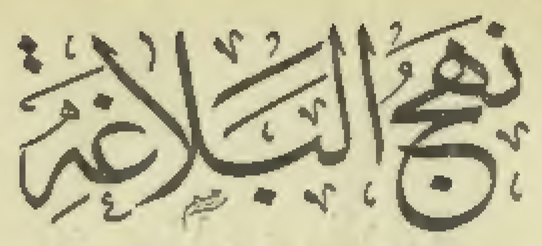

نهج البلاغة

وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي
ابن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين
أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام

شرح الاستاذ الامام

الشيخ محمد عبده

أشرف على طبعه وزاد في شرحه
عبد العزيز سيد الأهل

الجزء الاول

تمتاز هذه الطبعة بزيادات كثيرة أضيفت على الطبعات السابقة

منشورات
مكتبة الاندلس
شارع سوريا - بيروت (لبنان) - هاتف ٢٨٠١٠

تنبيه لمديري المدارس

وأساتذتها والمشتغلين بالعلم والأدب والمعلمين والطلاب

قد اعتنينا عند تصحيح الكتاب بضبط ألفاظه اللغوية ضبطاً صحيحاً ، ونعيد ما ذكرناه في المقدمة زيادة في التنبيه من ان الكتاب حاو جميع ما يمكن ان يعرض للكاتب والخاطب من أغراض الكلام : فقد تعرض للمدح ، والعذل الادبي ، والترغيب في الفضائل والتنفير من الرذائل ، وللمحاورات السياسية ، والمخاصمات الجدلية ، ولبيان حقوق الراعي على الرعية ، وحقوق الرعية على الراعي . وأتى على الكلام في أصول المدنية وقواعد العدالة ، وفي النصائح الشخصية ، والمواعظ العمومية . وعلى الجملة فلا يطلب الطالب طلبة إلا ويرى فيه أفضلها ، ولا تخالج فكره رغبة إلا وجد فيه أكملها . والله الموفق للصواب .

الطبعـــة الاولى

ربيع الاول سنة ١٣٧٤ ﻫ

تشرين ٢ - نوفمبر - ١٩٥٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله، والثناء على نبيه وآله، رأيت بمشيئته تعالى ومعونته أن أخرج للناس طبعة جديدة منسقة من شرح الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده على «نهج البلاغة». فلما تمت الروية وصدقت النية عمدت إلى الامام الجليل السيد عبد الحسين شرف الدين فاطلعته على نيتي، وذكرت له أنني أنوي أن يشرف على هذا العمل الكاتب المنصف والبارع المحقق الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل، فقال لي الامام: «انني أوليه كل ثقتي، وهو جدير بكل عمل جليل وعبء ثقيل» ولم ألبث أن عدت الى الاستاذ عبد العزيز أبلغه طلبي ورأي الامام، فقبل العمل مبتهجاً راضياً.

وأنا إذ أشكر السيد الامام الذي دلني، والاستاذ الذي وافق رأيه رأيي أكثر من الشكر لله تعالى على هدايته، وأسأله ان يمدني من معونته وعنايته وانه على ما يشاء قدير.

وقد اعتزمت أن أصدر الكتاب في أربعة أجزاء لأيسر على القارىء الحصول عليه باقساط زهيدة، وعلى الله تمام التوفيق.

الناشر
حسين عاصي

بيروت في يوم الجمعة ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٧٤
الموافق ١٩ تشرين ثاني سنة ١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

المحمود الله جل جلاله، والمصلى عليه النبي وآله. وبعد، فقد طلب إليّ الناشر الكريم السيد حسين عاصي أن أشرف على طبعة جديدة لكتاب « نهج البلاغة » لأمير المؤمنين وسيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبلغني تفضل الإمام الجليل والمجتهد الأكبر السيد عبد الحسين شرف الدين بالثقة التي أفاضها عليّ، فشكرت الإمام نبله، ورضيت الناشر طلبه الذي لم يجد بدّاً من أن يكون الشرح هو شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - رحمه الله - فليس خيراً مما عمله من التيسير والتقريب.

ثم بدأت، فلم ألبث أن رأيت الإمام قد أوفى على الغاية مع تركه ما كان لا يتركه لو أنه كان خالي البال آمن السرب حين نظر في الكتاب وشرحه، وتمنيت لو أنه كان اطلع على ما نشر من كتب السيد الشريف الرضي من بعده، فما عدت على بعض الأمور أبينها استمنحت روحه واتجاهه ناظراً في شروح من كانوا قبله كابن أبي الحديد وابن ميثم، وتحقيقات الذين حققوا بعده فزاد منهم من زاد ووقف عند الأصل من وقف. ورأيت أن أشرح في طبعتنا هذه مقدمة الإمام، ثم مقدمة الشريف الرضي بمثل الاختصار الذي توخاه الإمام. وما زدته على شرحه جعلته بين قوسين هكذا [...]

أما نصوص « النهج »، فقد قسّمتُ إلى أقسام كل خطبة أو كلام لأمير المؤمنين يتناول أغراضاً مختلفة، ليسهل على القارىء إدراك أجزاء الخطبة أو الكلام، ثم زدت هذه الطبعة بشيء جدير بالاهتمام هو التاريخ القصير لمن استطعت أن أؤرخ له من الأعلام الواردة بالنهج، لئلا يفوت القارىء علم ما لا بد منه من الرجال وداعية الحال.

والله - تعالى - الموفق للهداية، والمسدّد لجادّة الطريق.

عبد العزيز سيد الأهل

مقدمة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدُ الله سياجُ [١] النعم، والصلاة على النبي وفاء الذمم، واستمطار الرحمة على آله الأولياء وأصحابه الأصفياء عرفانُ الجميل، وتذكار الدليل [٢]

وبعد؛ فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب «نهج البلاغة» مصادفة بلا تعمل، أصبته على تغير حال، وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال [٣] فحسبته تسلية، وحيلة للتخلية [٤]، فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته، من مواضع مختلفات، ومواضيع متفرقات، فكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً شبّت، وغارات شُنّت، وأن للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة، وأن للأوهام عرامة [٥] وللريَب دعارة، وأن جحافل الخطابة، وكتائب الذرابة، في عقود النظام وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج [٦] والقويم الأملج، وتمتلج المهج برواضع الحجج، فتفل من دعارة الوساوس [٧] وتصيب مقاتل الخوانس. فما أنا إلا والحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج الشك في خمود [٨] وهرج الريَب في ركود. وأن مدبّر تلك الدولة وباسل

(١) [يراد بالسياج الأطار يحيط بالشيء فيصونه وأصله إحاطة البستان بحائط من الاشجار وهو السياج].

(٢) [لعله يريد بتذكار الدليل معرفة طريق الحق والهداية اليه].

(٣) [يقال كان ذلك حين كان الاستاذ الامام منفياً في بيروت].

(٤) [اي حيلة لتخلية البال من الهموم].

(٥) العرامة: الشراسة. والدعارة: سوء الخلق. والجحافل: الجيوش. والكتائب: الفرق منها. والذرابة: حدة اللسان وفصاحته، والكلام تخيل حرب بين البلاغة وهاجمات الشكوك والاوهام.

(٦) تنافح: تضارب أشد المضاربة. والصفيح: السيف. والأبلج: اللامع البياض. والقويم: الرمح. والأملج: الأسمر. وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القوية المبددة للوهم وإن خفي تدركها. وتمتلج: اي تمتص. والمهج: دماء القلوب [أو الارواح]، والمراد لا تبقي الأوهام شيئاً من مادة البقاء.

(٧) فل الشيء: ثلمه، هزمهم والخوانس: خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء.

(٨) المرج: الاضطراب [والخلط]، والهرج: هيجان الفتنة.

تلك الصولة ، هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع أحس بتغير المشاهد ، وتحول المعاهد ، فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية ، توحي اليها رشادها ، وتقوّم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض المزالّ [1] الى جوادّ الفضل والكمال .

وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة [2] ، وأنياب كاشرة ، وأرواح في أشباح النمور ، ومخالب النسور ، قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضّت للاختلاب . فخلبت القلوب عن هواها [3] ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء .

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الالهي واتصل بالروح الانساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة ، وسما به الى الملكوت الأعلى ، ونما به الى مشهد النور الأجلى ، وسكن به الى عمار [4] جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس [5] .

وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الارتياب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب ، ويرشدهم الى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم الى منصات الرئاسة ، ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير .

ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي – رحمه الله – من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . جمع متفرقه وسماه هذا الاسم « نهج البلاغة » . ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه . وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به

(١) [مداحض المزال ما يعل من الضلالات والجواد جمع جادة وهي معظم الطريق] .
(٢) [سرة : عابسة] .
(٣) [خلبتها عن هواها : خدعتها وأزالتها عنه] .
(٤) [العمار : الحسن والجمال] .
(٥) [التلبيس التخليط والتدليس] .

صاحب الاختيار كما ستري في مقدمة الكتاب . ولولا أن غرائز الجبلة ، وقواضي الذمة تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه ، وشكر المحسن على إحسانه ، لما احتجنا إلى التنبيه على ما أودع نهجُ البلاغة ، من فنون الفصاحة ، وما خصّ به من وجوه البلاغة ، خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا أصابه ، ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه [1] .

إلا أن عبارات الكتاب لبعد عهدها منا ، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا ، قد نجد فيها غرائب ألفاظ في غير وحشية ، وجزالة تركيب في غير تعقيد ؛ فربما وقف فهم المطالع دون الوصول إلى مفهومات بعض مفردات ، أو مضمونات بعض الجمل ، وليس ذلك ضعفاً في اللفظ ، أو وهناً في المعنى ، وإنما هو قصور في ذهن المتناول .

ومن ثم همت بي الرغبة أن أصحب المطالعة بالمراجعة ، والمشارفة بالمكاشفة ، وأعلق على بعض مفرداته شرحاً ، وبعض جمله تفسيراً ، وشيء من إشاراته تعييناً . وأقف عند حد الحاجة مما قصدت ، موجزاً في البيان ما استطعت ، معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة ، والمعروف من صحيح الأخبار . ولم أتعرض لتعديل ما روي عن الامام في مسألة الامامة أو تجريحه ، بل تركت لمطالع الحكمَ فيه بعد الالتفات إلى أصول المذاهب المعلومة فيها ، والأخبار المأثورة الشاهدة عليها . غير أني لم أتحاش تفسير العبارة ، وتوضيح الاشارة . لا أريد في وجهي هذا إلا حفظ ما أذكر ، وذكر ما أحفظ ، نهوضاً من السقطة ، وتحرزاً من الحيدان [2] ، ولم أطلب من وجه الكتاب إلا ما يتعلق منه بمثل المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام . وحسبي هذه الغاية فيما أريد لنفسي ولمن يطلع عليه من أهل اللسان العربي

وقد عني جماعة من جلة العلماء بشرح الكتاب ، وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من أسرار . وكلٌّ يقصد تأييد مذهب ، وتعضيد مشرب . غير أنه لم يتيسر لي ولا واحدٌ من شروحهم ، إلا شذرات وجدتها منقولة عنهم في بطون الكتب . فان وافقت أحدهم فيما رأى

(١) [جابه : خرقه وقطعه] .
(٢) [الحيدان كالميلان : الميل والجور]

فذلك حكم الاتفاق، وإن كنت وفقتهم إلى صواب — فبما أصبت — على أني لا أعد تعليقي هذا شرحاً في عداد الشروح، ولا أذكره كتاباً بين الكتب، وإنما هو طراز لنهج البلاغة، وعلمٌ يوشى به أطرافه (١).

وأرجو أن يكون فيما وضعت من وجيز البيان، فائدة للشبان من أهل هذا الزمان. فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب، يبتغون الوصول إلى نيل الأدب من لسان العرب. ينشئون لأنفسهم سلائق عربية، وملكات لغوية. وكل يطلب لساناً خاطباً، وقلماً كاتباً، لكنهم يتوخون وسائل ما يقصدون في مطالعة المقامات وكتب المراسلات مما كتبه المولدون، أو قلدهم فيه المتأخرون، ولم يراعوا في تحريره إلا رقة الكلمات، وتوافق الجناسات، وانسجام السجعات، وما يشبه ذلك من المحسنات اللفظية التي وسموها بالفنون البديعية، وإن كانت العبارات خلواً من المعاني الجليلة، أو فاقدة للأساليب الرفيعة.

على أن هذا النوع من الكلام نزرٌ ما في اللسان العربي، وليس كل ما فيه من هذا النوع إذا انفرد يعد من أدنى طبقات القول (٢). وليس في حلاه المنوطة بأواخر ألفاظه ما يرفعه إلى درجة الوسط. فلو أنهم عدلوا إلى مدارسة ما جاء عن أهل اللسان، خصوصاً أهل الطبقة العليا منهم؛ لأحرزوا من بغيتهم ما امتدت إليه أعناقهم، واستعدت لقبوله غرائزهم. وليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأن كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه — بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ — وأغزره مادة، وأرفعه أسلوباً، وأجمعه لجلائل المعاني.

فأجدر بالطالبين لنفائس اللغة، والطامعين في التدرج لمراقيها، أن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم، وأفضل مأثورهم، مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لأجلها، وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها؛ ليصيبوا بذلك أفضل غاية، وينتهوا إلى خير نهاية. وأسأل الله نجاح عملي وأعمالهم، وتحقيق أملي وآمالهم.

* * *

(١) [العلم: ما ينصب في الطريق ليهتدى به].
(٢) [يشير الى الكلام المحلى بالمحسنات].

ولنقدم للمطالع موجزاً من القول في نسب الشريف الرضي جامع الكتاب، وطرفاً من خبره.

هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه.

ولد الشريف الرضي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، واشتغل بالعلم فحقق في الفقه والفرائض (١)، ونبغ في زمانه في العلم والأدب.

قال صاحب اليتيمة: هو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادات العراق، يتحلى — مع محتده الشريف، ومفخره المنيف — بأدب ظاهر، وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر. وولي نقابة الطالبيين بعد أبيه في حياته سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وجمعت له — مع النقابة — سائر الأعمال التي كان يليها أبوه وهي النظر في المظالم، والحج بالناس. وكان من جملة ما حدث أنه كتب إلى الخليفة القادر بالله العباسي أحمد بن المقتدر من قصيدة طويلة [يفتخر بها ويساوي نفسه بالخليفة]:

عطفاً أمير المؤمنين فإننا ... في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً، كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

ويروى أن القادر قال له عند سماع هذا البيت: على رغم أنف الشريف. ومن غرر شعره فيما يقرب من هذا قوله:

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل ... أبداً يمانع عاشقاً معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل ... ضجراً: دواء الفارك (٢) التطليق

وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل.

قال صاحب اليتيمة: وهو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر — على كثرة شعرائهم المفلقين — ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق.

---

(١) يراد بالفرائض علم المواريث

(٢) الفارك: المرأة الكارهة زوجها

وقال بعض واصفيه – رحمه الله – كان شاعراً مفلقاً، فصيح النظم، ضخم الألفاظ، قادراً على القريض، متصرفاً في فنونه، إن قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشق له فيه غبار، وإن قصد المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعو الأنفاس. وكان مع هذا مترسلاً، كاتباً، بليغاً، متين العبارات، سامي المعاني.

وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعة. وأجود ما جمع منه مجموع أبي حكيم الخبري وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٣٧ م ١٣٥٦ هـ، وهو ديوان كبير يدخل في أربع مجلدات، كما ذكره صاحب اليتيمة. وصنف كتاباً في معاني القرآن العظيم، قالوا: يتعذر وجود مثله، وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة وأصول الدين[1]. وله كتاب في مجازات القرآن[2] [كما أن له كتاب المجازات النبوية] وكان علي همة تسمو به عزيمته الى أمور عظام، لم يجد من الايام عليها مسعفاً، فوقفت به دونها حتى قضى، وكان عفيفاً متشدداً في العفة بالغاً فيها الى النهاية، لم يقبل من احد صلة ولا جائزة، حتى انه رد صلات أبيه[1] وقد اجتهد بنو بويه في قبوله صلاتهم فلم يقبل، وكان يرضى بالاكرام وصيانة الجانب، وإعزاز الاتباع والاصحاب. حكى أبو حامد محمد بن محمد الاسفرائيني الفقيه الشافعي، قال: كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضي (صاحب كلامنا الآن) أبو الحسن فأعظمه وأجل مكانه ورفع من منزلته وخلى ما كان بيده من القصص والرقاع، وأقبل عليه يحادثه الى أن انصرف؛ ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم (أخو الشريف الرضي) فلم يعظمه ذلك التعظيم، ولا أكرمه ذلك الاكرام. وتشاغل عنه برقاع يقرؤها، فجلس قليلاً، ثم سأله أمراً فقضاه ثم انصرف، قال أبو حامد: فتقدمت ... أصلح الله الوزير، هذا المرتضى وهو الفقيه المتكلم صاحب الفنون، وهو الأمثل والأفضل منهما، وإنما أبو الحسن شاعر، قال

(١) هو كتاب حقائق التأويل وقد عثر في النجف على الجزء الخامس منه وطبع، وهو قالوا: يتعذر وجود مثله حقاً.

(٢) [وقد عثروا عليه ناقصاً أيضاً وطبع على نقصه وهو كذلك عزيز المثال]

فقال لي : إذا انصرف الناس وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة . قال : وكنت عازماً على الانصراف فعرض من الامر ما لم يكن في الحساب ، فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس حتى تقوض الناس . وبعد ان انصرف عنه اكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري . قال لخادم له : هات الكتابين اللذين دفعتهما اليك منذ أيام وأمرتك بوضعهما في السفط الفلاني ، فأحضرهما ، فقال . هذا كتاب الرضي ، اتصل بي أنه قد ولد له ولد فأنفذت إليه ألف دينار ، وقلت : هذا للقابلة ، فقد جرت العادة ان يحمل الاصدقاء إلى ذوي مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال . فردها وكتب إلي هذا الكتاب فاقرأه ، فقرأته فاذا هو اعتذار عن الرد ، وفي جملته : إننا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما عجائزنا يتولين هذا الامر من نسائنا ، ولسن ممن يأخذن أجرة ، ولا يقبلن صلة ، قال فهذا هذا ، وأما المرتضى فإنا كنا وزعنا وقسطنا على الاملاك ببعض النواحي تقسيطاً صرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمنها دينار واحد . وقد كتب منذ أيام في هذا المعنى هـــذا الكتاب فاقرأه ، وهو أكثر من مـــئة سطر ، يتضمن من الخشوع والخضوع والاستمالة والهز والطلب والسؤال في اسقاط هذه الدراهم المذكورة مــا يطول شرحه . قال فخر الملك فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل . هذا العالم المتكلم الفقيه الاوحد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يشتهر إلا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ فقلت : وفق الله سيدنا الوزير ، والله ، ما وضع الامر إلا في موضعه ، ولا أحله إلا في محله .

وتوفي الرضي في المحرم سنة أربع وأربعمائة ، ودفن في داره بمسجد الانباريين بالكرخ ، ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام ، لأنه لم يستطع ان ينظر إلى تابوته ودفنه ، وصلى عليه الوزير فخر الملك أبو غالب ، ومضى بنفسه آخر النهـــار الى المشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود الى داره .

ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التي من جملتها : —

يا للرجال لفجعة جذمت يدي ووددت لو ذهبت علي برأسي

ما زلت أحذر وردها حتى أتت فحسوتها في بعض ما انا حاسي

ومطلتها وعداً ، فلما صممت   لم يثنها مطلي وطول مكاسي
[لا تشكروا من فيض دمعي عبرة   فالدمع غير مساعد ومواسي]
لله عمرك من قصير طاهر   ولرب عمر طال بالأدناس

وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي (صاحب الترجمة) بسر من رأى وهو لا يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان ، وذهبت بهجتها ، وأخلقت ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان (١) ، وتمثل بقول الشريف الرضي

ولقد وقفت على ربوعهم   وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب   نضوي ، ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني ، فمذ خفيت   عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص ، وهو ينشد الأبيات ، فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال : لا ، فقال : هذه الدار لصاحب الأبيات الشريف الرضي ، فتعجب كلاهما من حسن الاتفاق .

وفي رواية العلماء من مناقب الشريف الرضي ما [illegible] أطناب الكلام ، وفيه غرض [illegible] القدري ، [illegible] بعض الأئمة ، والله أعلم .

(١) [الحدثان : بدء الأمر ، والحدثان بالتحريك مصدر من حدث يدل على الاضطراب] .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه، ومعاذاً من بلائه، ووسيلاً إلى جنانه[1] وسبباً لزيادة إحسانه. والصلاة على رسوله نبي الرحمة، وإمام الأئمة، وسراج الأمة المنتجب من طينة الكرم[2] وسلالة المجد الأقدم. ومغرس الفخار المعرق[3] وفرع العلاء المثمر المورق. وعلى أهل بيته مصابيح الظلم. وعصم الأمم[4] ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم أجمعين. صلاة تكون إزاء لفضلهم[5] ومكافأة لعملهم، وكفـــاء لطيب فرعهم وأصلهم، ما أنار فجر ساطع،

---

(1) [الحمد لله: و] في بعض النسخ ووسيلا وهو جمع وسيلة، وهي ما يتقرب به، وورد به ... وسيلا أيضاً. [ولفظ ووسيلا أليق بأسلوب الشريف لأنه يعمد دائماً في اختيار اللفظ ... والصنيع في آثاره شاهد بذلك]

(2) طينة الكرم: أصله، وسلالة المجد: فرعه.

(3) الفخار: قال بعضهم بالكسر وحافظ من يقرأ بالفتح، لأنه مصدر فاخر، والمصدر من فاعل الفعال بكسر أوله، غير أنه لا يبعد أن يكون مصدر فخر، والثلاثي إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق جاء المصدر منه على فعال بالفتح نحو سمع سماعاً.

(4) العصم جمع عصمة وهو ما يعتصم به [أي أن أهل البيت يمنعون الأذى عن الخلق ويحمونهم منه] والمنار: الأعلام واحدها منارة، والمثاقيل جمع مثقال وهو مقدار وزن الشيء، تقول: مثقال حبة، ومثقال دينار، فمثاقيل الفضل زناته أي أن الفضل يعرف بهم مقداره.

(5) إزاء لفضلهم: أي مقابلة له.

وحوى نجم طالع [1] - فاني كنت في عنفوان السن [2] وغضاضة الغصن [3]، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام: يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام [4]، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان [5]. وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبوابا، وفصلته فصولاً، فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب: دون الخطب الطويلة، والكتب المبسوطة. فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه، ومتعجبين من نواصعه [6] وسألوني عند ذلك ان ابتدىء بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعبات غصونه: من خطب، وكتب، ومواعظ، وأدب. علماً ان

(١) حوى النجم [بالتخفيف] سقط، [وبالتشديد: إذ مال للمغيب]، وحوت النجوم: أمحلت فلم تمطر كأخوت وحوّت بالتشديد.

(٢) عنفوان السن: أولها.

(٣) [غضاضة الغصن طراوته ولينه].

(٤) [حداني عليه بعثني وحملني وهو مأخوذ من حداء الإبل]

(٥) محاجزات الزمان: ممانعته. ومماطلات الأيام. مدافعاتها

(٦) [البدائع جمع بديعة وهي الفعل على غير مثال ثم صار يستعمل في الفعل الحسن وإن سبق إليه مبالغة في حسنه، والنواصع جمع ناصعة و] الناصع: الخالصة وناصع كل شيء خالصه.

ذلك يتضمن من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام [1] ولا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها [2] ومنشأ البلاغة ومولدها؛ ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها؛ وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب [3]، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ. ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا، لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي [4] وفيه عبقة من الكلام النبوي، فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع، ومنشور الذكر، ومذخور الأجر. واعتمدت به أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة، مضافة إلى المحاسن الدثرة، والفضائل الجمة [5]. وأنه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد [6]. وأما كلامه فهو البحر الذي لا يساحل [7] والجم الذي

---

(١) الثواقب: المضيئة، ومنه الشهاب الثاقب. ومن الكلم ما يضيء لسامعه طريق الوصول إلى ما دلت عليه فيهتدي بها إليه.

(٢) المشرع: تذكير المشرعة، مورد الشاربة كالشريعة.

(٣) حذا كل قائل: اقتفى واتبع.

(٤) عليه مسحة من جمال مثلاً أي: أي كثير أو علامة]. وكأنه يريد دماء منه وضياء، والعبقة: الرائحة [اللاصقة بالشيء والمنتشرة عنه].

(٥) اعتمدت: قصدت، والدثرة بفتح فسكون: وكذلك الجمة].

(٦) يؤثر: أي ينقل عنهم ويحكى [والشاذ الشارد المفرد الذي ليس له أمثال].

(٧) لا يساحل في الامتلاء وكثرة الماء.

لا يُلحق[1].

وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب[2] ثلاثة: أولها: الخطب والأوامر، وثانيها: الكتب والرسائل، وثالثها: الحكم والمواعظ. فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب[3]، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب. مفرداً لكل صنف من ذلك باباً، ومفصلاً فيه أوراقاً، لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلاً، ويقع إليّ آجلاً. وإذا جاء شيء من كلامه ـ عليه السلام ـ الخارج في أثناء حوار[4] أو جواب سؤال، أو غرض آخر من الأغراض في غير الأنحاء التي ذكرتها، وقررت القاعدة عليها ـ نسبته إلى أليق الأبواب به، وأشدها ملامحة لغرضه[5]. وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة، ومحاسن كلم غير منتظمة، لأني أورد النكت

---

(١) لا يغالب في الكثرة، من قولهم: صرع فحل، أي: ممن كثير الـ[illegible] [والمراد أن كلامه لا يقابل بكلام غيره لكثرة فضائله].

(٢) [قطب: محور].

(٣) أجمع عليه: عزم، والمحاسن: جمع حسن على غير قياس [أو كأنه جمع محسن].

(٤) بالفتح وبالكسر: محاورة.

(٥) الملامحة: الإبصار والنظر، والمراد هنا: المناسبة [والمشابهة [illegible] كأن من ينظر إلى شيء ويبصره كأنه يميل إليه ويلائمه].

واللمع، ولا أقصد التالي والنسق(1).

ومن عجائبه عليه السلام، التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر، إذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت(2) أو انقطع في سفح جبل، لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه(3) فيقط الرقاب، ويجدل الأبطال(4) ويعود به ينطف دماً، ويقطر مهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد، وبدل الأبدال(5). وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه

(1) [النسق: السطر يتلو بعضه بعضاً، والنكت الآثار التي يتميز بها الشيء، واللمع الآثار المنيرة للأشياء، جمع لمعة]

(2) قبع القنفذ كمنع: أدخل رأسه في جلده، والرجل أدخل رأسه في قميصه. وأراد منه انزوى. وكسر البيت: جانب الخباء. وسفح الجبل: أسفله [وجوانبه]

(3) أصلت سيفه: جرده من غمده. ويقط الرقاب: يقطعها عرضاً. وإن كان القطع طولاً قيل يقد. قال ابن عائشة: كانت ضربات علي أبكاراً إن اعتلى قدّ وإن اعترض قطّ. ومنه قط القلم

(4) يجدل الأبطال: يلقيهم على الجدالة كسحابة وهي وجه الأرض، وينطف من نطف كنصر وضرب: قطر، ونطفاناً: سال، والمهج: جمع مهجة وهي دم القلب [والروح]

(5) الأبدال: قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم، إذا مات منهم واحد بدّل الله مكانه آخر. [والواحد بديل]

اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد، وألّف بين الأشتات[1]. وكثيراً ما أذاكر الإخوان بها، وأستخرج عجبهم منها، وهي موضع للعبرة بها، والفكرة فيها.

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد، والمعنى المكرر: والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً: فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير موضعه الأول: إما بزيادة مختارة، أو بلفظ أحسن عبارة، فتقتضي الحال أن يعاد، استظهاراً للاختيار، وغيرة على عقائل الكلام[2] وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً، لا قصداً واعتماداً

ولا أدعي - مع ذلك - أني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام[3]

---

(١) موضع العجب أن أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة يكونون في العادة قساة الأكباد، متمردين جبارين. والغالب على أهل الزهد وأعداء الدنيا وهاجري ملاذها المشتغلين بالوعظ والنصيحة والتذكير أن يكونوا ذوي رقة ولين وضعف قلوب وخور طباع، وهاتان حالتان متضادتان فاجتماعهما في أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، يوجب العجب، فكان كرم الله وجهه أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم، وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً، وأشدهم اجتهاداً في العبادة، وكان أكرم الناس أخلاقاً وأسفرهم وجهاً وأوفرهم هشاشة وبشاشة. [والحق أنه ليس مما يوجب العجب، فهي صفة المؤمن كامل الإيمان، ولم تكن جرأة أمير المؤمنين إلا على دماء الكفار والله تعالى يصف المؤمنين بقوله: أشداء على الكفار رحماء بينهم]

(٢) عقائل الكلام: كرائمه. وعقيلة الحي: كريمته.

(٣) أقطار الكلام: جوانبه. والشاذ. المنفرد [وكذلك النادّ].

حتى لا يشذ عني منه شاذ، ولا يند نادّ. بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إليّ، والحاصل في ربقتي[1] دون الخارج من يدي. وما عليّ إلا بذل الجهد، وبلاغ الوسع، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل[2]، وإرشاد الدليل، إن شاء الله.

ورأيت من بعدُ تسمية هذا الكتاب بـ «نهج البلاغة» إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرب عليه طلابها، فيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد، ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق، ما هو بلال كل غلة[3] وشفاء كل علة، وجلاء كل شبهة.

ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة، وأتنجز التسديد والمعونة، وأستعيذه من خطأ الجنان، قبل خطأ اللسان، ومن زلة الكلم، قبل زلة القدم[4]، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) الربقة: عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة.

(٢) نهج السبيل: إبانته وإيضاحه.

(٣) الغلة: العطش، وبلالها: ما تبل به وتروى.

(٤) [زلة الكلم الخطأ في القول وزلة القدم خطأ الطريق والإعراض عنه]

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره
ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات
المحضورة، والمواقف المذكورة، والخطوب الواردة

ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم وفيها ذكر الحج

[وتحتوي على حمد الله . وخلق العالم وخلق الملائكة واختيار الأنبياء ومبعث النبي والقرآن والأحكام الشرعية]

حمد الله

الْحَمْدُ لله الّذي لا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقائِلُونَ، ولا يُحْصي نَعْماءَهُ الْعادُّونَ، ولا يُؤدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ (1)، الّذي لا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ (2)، ولا يَنالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ (3)، الّذي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ (4)، ولا نَعْتٌ

(1) [ويريد عليه السلام بالذين [illegible] المجتهدين [illegible] في [illegible] من الأول إلى الآخر [illegible] عن إدراك العقول [illegible] على كنهه [illegible]]

(2) أي أن همم النظار وأصحاب الفكر وإن علت وبعدت فإنها لا تدركه تعالى ولا تحيط به علماً .

(3) والفطن : جمع فطنة ، وغوصها : استغراقها في بحر المعقولات لتلتقط درر حقائقه وهي وإن بعدت في الغوص لا تنال حقيقة الذات الأقدس

(4) فرغ من الكلام في الذات وامتناعها على العقول أن تدركها ، ثم هو الآن في تقديس صفاته عن مشابهة الصفات الحادثة ، فكل صفات الممكن لها في نوعها حد تنتهي إليه ، كما تجده في قدرتنا وعلمنا مثلاً ، فإن لكل طوراً لا يتعداه . أما قدرته وعلمه فلا حد لشمولهما ، وكذا يقال في باقي الصفات الكمالية . والنعت يقال [illegible] ، وصفات [illegible] نعوت ، فحدث مثلاً أطوار من طفولية ، وصبا ، [illegible] ، وقوة ، وضعف ، و[illegible] وقدرتنا كذلك . وعلمنا له أدوار نقص وكمال ، وغموض ووضوح . أما صفاته تعالى فهي منزهة عن هذه النعوت وأشباهها . ثم هي أزلية أبدية ، لا تعد الأوقات بوجودها ، ولا تضرب لها الآجال [وقال ابن ميثم في ذلك : ليس له صفة فتحد إذ هو تعالى واحد من كل وجه]

مَوْجُودٌ، وَلاَ وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلاَ أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ[1]، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ[2]، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ[3]. أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ[4]، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاَصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ: لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ. فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ

---

(١) [الفطر: الشق، و الابتداع على غير مثال سابق].

(٢) [تستعمل العرب كلمة الريح للعذاب و الرياح للرحمة]

(٣) الميدان: الحركة [[illegible]]، ووتد بالتخفيف والتشديد [وقد استعمله غير مؤلفي [illegible] في غير [illegible]]، أي أثبت، أي سكّن الأرض بعد اضطرابها بما رسخ من الصخور الجامدة في أديمها، وهو يشير إلى أن الأرض كانت مائدة مضطربة قبل جمودها [وهذا تفسير جيد للكلام، فنشر الرياح ووتد الأرض لازم لخلق الخلائق [illegible]، ويجوز أن يكون يعني أن الأوتاد [illegible]]

(٤) أول الدين معرفته [illegible]، وهو قد يعرف أنه صانع العالم، وليس منه، بدون تعرفه، وهي معرفة ناقصة، وكمال التصديق به ذاته بصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره، وهي وجوب الوجود؛ ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد، لأن الواجب لا يتعدد كما عرف في محل الإلهيات والكلام ولا يكمل التوحيد إلا بتمحيص السر له دون ملاحظة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه إليه والاستشراق لنوره، ولا يكون هذا الإخلاص كاملاً حتى يكون معه نفي الصفات الزائدة في الذهن المشهودة في المشخصات؛ لأن معرفة الذات [illegible] في مثل الصفات اعتبار ذات وشيء آخر معين منه، فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا موحداً، والصفات المنفية بالإخلاص صفات المصنوعين ولا كلام في كلام [illegible]، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف.

ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ[1] ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ[2] ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ « فِيمَ ؟ » فَقَدْ ضَمَّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ « عَلاَمَ ؟ » فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ . كَائِنٌ لاَ عَنْ حَدَثٍ[3] ، مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَمٍ ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُزَايَلَةٍ[4] ، فَاعِلٌ لاَ بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلَةِ[5] ، بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ[6] ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ[7] .

---

(١) جهله : أي جهل أنه منزه عن مشابهة الحوادث ، مقدس عن مصاحبة الحركات ، وقد جهل بتسليم القول بالتخصص الجسمي ، وهو يستلزم صحة الإشارة اليه ، تعالى الله عن ذلك

(٢) انما يشير الى شيء إذا كان منك في جهة ، فأنت متوجه اليه بإشارتك ، ومن كان في جهة فهو منقطع عن غيرها ، فيكون محدوداً أي له طرف ينتهي اليه ، فمن أشار اليه فقد حده ، ومن حد فقد عد – أي أحصى وأحاط بذات المحدود – لأن الحد حاصر لمحدوده . ومن قال : في أي شيء هو ؟ فقد جعله في ضمن شيء ، ثم يسأل عن تعيين ذلك الذي ضمنه . ومن قال : على أي شيء ؟ فأنت ترى انه مشتمل على شيء بعينه وما عداه خال منه .

(٣) الحدث : الابتداء [من العدم] ، أي هو موجود لكن لا عن ابتداء وإيجاد موجد . والفقرة الثانية لازمة لهذه ؛ لانه إن لم يكن وجوده عن إيجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود بالعدم [فوجوده ذاتي مجرد عن الحدود]

(٤) المزايلة : المفارقة والمباينة [أي انه ذات منزهة لا توصف بشيء ولا بشيء من النسبيات التي تدركها العقول] .

(٥) [الآلة الجارحة كاليد والعين ونحوهما ، فعله تعالى لا ينبعث عن حركة له هو ولا واسطة]

(٦) أي بصير بخلقه قبل وجودهم [ورد في الحديث [illegible] [illegible]]

(٧) العادة والعرف على انه لا يقال « متوحد » إلا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده ، فانفرد عنه . والله متوحد مع التنزه عن السكن .

أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها (1) ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها (2). أحال الأشياء لأوقاتها (3) ولأم بين مختلفاتها (4) وغرز غرائزها (5) وألزمها أشباحها (6) عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها (7). ثم أنشأ سبحانه

(1) الروية: الفكر، وأجالها: أدارها ورددها. وفي نسخة «أحالها» بالمهملة – أي صرفها.

(2) همامة النفس – بفتح الهاء –: اهتمامها بالأمر، وقصدها اليه. [والروية والتجربة والحركة وهمامة النفس هي وسائل البشر للموجود وهو تعالى منزه عن الوسائل].

(3) حولها من العدم الى الوجود في اوقاتها، او هو من «حال في متن فرسه» اي وثب. وأحاله غيره: أوثبه. ومن أقر الأشياء في أحيانها صار كمن أحال غيره على فرسه [وفي رواية: أجل بالجيم ومعناه وقت كل ذي وقت بوقته].

(4) كما قرن النفس الروحية بالجسد المادي [وكما أودع في الأشياء قوة الامتزاج الذي هو التعادل]

(5) الغرائز: جمع غريزة، وهي الطبيعة. وغرز الغرائز كغرز الأعواد، اي جعلها غرائز، والمراد اودع فيها طبائعها.

(6) الضمير في «أشباحها» للغرائز، اي الزم الغرائز أشباحها، اي أشخاصها لأن كل مطبوع على غريزة فانها تلازمه: فالشجاع لا يكون خواراً مثلا.

(7) جمع حنو بالكسر، اي: الجانب. او ما عوج من الشيء بدناً كان او غيره كناية عما خفي. او من قولهم أحناء الامور، اي: مشتبهاتها. وقرائنها: ما يقترن بها من الاحوال المتعلقة بها والصادرة عنها.

فَتَقَ الْأَجْوَاءِ[1] وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ[2] فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ[3] مُتَرَاكِمًا زَخَّارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ[4] وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ. الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ[5] وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهِ دَفِيقٌ. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا

---

(١) ثم ليست للترتيب والتراخي في قول الامام لا في نفس الامر، كما لا يخفى. والاجواء: جمع جو، وهو هذا الفضاء العالي بين السماء والارض. ويستفاد من كلامه ان الفضاء مخلوق، وهو مذهب قوم، كما يستفاد منه انه خلق في الفضاء ماء حمله على متن ريح فاستقل عليها حتى صارت مكاناً له، ثم خلق فوق ذلك الماء ريحاً أخرى سلطها عليه فموجته تموجاً شديداً حتى ارتفع فخلق منه الاجرام العليا وإلى هــذا يذهب قوم من الفلاسفة منهم تاليس الاسكندري، يقولون ان الماء هو الجوهر الذي أصل كل الاجسام كثيفها من متكاثفه، ولطيفها من متلطفه. والارجاء: النواحي واحدها رجا كعصا

(٢) السكائك: جمع سكاكة — بالضم — وهي: الهواء الملاقي عنان السماء وبابها نحو ذؤابة وذوائب.

(٣) التيار: الموج، والمتراكم: ما يكون بعضه فوق بعض، والزخار: الشديد الزخر — أي: الامتداد والارتفاع — والريح العاصفة الشديدة الهبوب، كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها، وكذلك الزعزع، كأنها تزعزع كل ثابت، وتقصف — أي: تحطم كل قائم.

(٤) أمرها برده، أي: منعه من الهبوط؛ لأن الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوي والسقوط، وسلطها على شده، أي: وثاقه، كأنه سبحانه أوثقه بها ومنعه من الحركة إلى السفل التي هي من لوازم طبعه، وقرنها إلى حده، أي: جعلها مكاناً له أي: جعل حده المذكور، وهو سطحه الأسفل، مماساً لسطح الريح التي تحمله أو أراد من الحد المنع، أي: جعل من لوازمها ذلك

(٥) الفتيق: المفتوق، والدفيق: المدفوق

أعتقم مَهبّها، وأدام مُرَبّها، وأعصف مَجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخّار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء. تردّ أوّله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتى عبّ عُبابه، ورمى بالزبد رُكامه، فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق، فسوّى منه سبع سموات، جعل سُفلاهنّ موجاً مكفوفاً، وعلياهنّ سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثم زيّنها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمراً منيراً، في

(١) اعتقم مهبها: جعل هبوبها عقيماً، والريح العقيم التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً، وكذلك كانت هذه، لأنه [illegible] لتحريك [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الريح [illegible] [illegible] [illegible] ملازمتها [illegible] [illegible] [illegible] وطن

(٢) تصفيقه: تحريكه وتقليبه، والمخض: التحريك الشديد، والسقاء: جلد السخلة يجذع فيكون وعاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الريح [illegible] الذي لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الريح [illegible] [illegible] [illegible] الذي يكون [illegible] ولم يكن [illegible]

(٣) الساجي: الساكن، والمائر: الذي يذهب ويجيء، أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(٤) المنفهق: المفتوح الواسع

(٥) المكفوف: الممنوع من السيلان، ويدعمها: يسندها ويحفظها من السقوط

(٦) الدسار: واحد الدسر، وهي المسامير، أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوه

(٧) الثواقب: المنيرة المشرقة

(٨) مستطيراً: منتشر الضياء، وهو الشمس

فَلَكٍ دائِرٍ، وَسَقْفٍ سائِرٍ، وَرَقِيمٍ مائِرٍ (1).

حلق الملائكة

ثُمَّ فَتَقَ ما بَيْنَ السَّمٰوَاتِ الْعُلا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْواراً مِنْ مَلائِكَتِهِ (2): مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ، وَصافُّونَ لاَ يَتَزايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ. لاَ يَغْشاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلا فَتْرَةُ الأَبْدانِ، وَلا غَفْلَةُ النِّسْيانِ. وَمِنْهُمْ أُمَناءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لأَبْوابِ جِنانِهِ. وَمِنْهُمْ

---

(1) الرقيم: اسم من أسماء الفلك: سمي به لأنه مرقوم بالكواكب. والمائر: المتحرك. ويفسر الرقيم باللوح لأنه مسطح كما يبدو للنظر [وكون الفلك دائراً وكونه [illegible] أي دوار [illegible] متحرك]

(2) جعل الملائكة أربعة أقسام: الأول أرباب العبادة، ومنهم الراكع، والساجد، والصاف، والمسبح. وقوله «صافون» أي واقفون صفوفاً. لا يتزايلون أي لا يتفارقون. والقسم الثاني: الأمناء على وحي الله لأنبيائه، والألسنة الصادقة في تبليغ وحيه، والمختلفون بالقضاء في العباد: بهم يقضي الله على من شاء بما شاء. والقسم الثالث: حفظة العباد، كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم، يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالإنسان من السلامة. ومنهم سدنة الجنان، جمع سادن، وهو الخادم، والخادم يحفظ ما عهد إليه وقيم على خدمته. والقسم الرابع: حملة العرش، كأنهم القوة العامة التي أفاضها الله في العالم الكلي، فهي الماسكة له، الحافظة لكل جزء منه: مركزه وحدود سيره في مداره، فهي مخترقة له، النافذة فيه، الآخذة من أعلاه إلى أسفله، ومن أسفله إلى أعلاه. وقوله «المارقة من السماء»: المروق الخروج، وقوله «الخارجة من الأقطار أركانهم»: الأركان الأعضاء والجوارح، والتمثيل في الكلام لا يخفى على أهل البصائر.

الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ[1] بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ. لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

صفة خلق آدم عليه السلام

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا[2]، تُرْبَةً[3] سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ[4] وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ. أَجْمَدَهَا حَتَّى

---

(1) الضمير في «دونه» للعرش كالضمير في «تحته»، و«متلفعون» من تلفعت بالثوب، إذا التحفت به.

(2) الحزن ـ بفتح فسكون ـ الغليظ الخشن [كالحزن]، والسهل ما يخالفه، والسبخ ما ملح من الأرض. وأشار باختلاف الأجزاء التي جبل منها الإنسان إلى أنه مركب من طبائع مختلفة، وفيه استعداد للخير والشر، والحسن والقبيح.

(3) سن الماء: صبه. والمراد صب عليها، أو «سنها» هنا: ملسها كما قال:

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ... ـراء تمشي في مرمر مسنون

وقوله «حتى خلصت» أي: صارت طينة خالصة، وفي بعض النسخ «حتى خضلت» بتقديم الضاد المعجمة على اللام، أي: ابتلت ولعلها أصح. «لاطها»: خلطها وعجنها، أو هو من لاط الحوض بالطين: ملطه وطينه به، والبلة ـ بالفتح ـ من البلل، «ولزب» ـ ككرم ـ تداخل بعضه في بعض وصلب، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد [وعلى أي معنى «لزبت» أي صارت طيناً لزباً يلصق ويتلاصق].

(4) الأحناء: جمع حنو ـ وهو بالكسر والفتح ـ كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللحي والضلع، أو هي الجوانب مطلقاً. «وجبل» أي خلق

اسْتَمْسَكَتْ وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ (1) لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ؛ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا (2)، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا (3) وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ (4) وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَاسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ (5) وَعَهْدَ

---

(1) صلصلت: صارت لها صلصلة، أي يبست حتى كانت تسمع لها صلصلة إذا هبت عليها ريح، وذلك هو الصلصال. واللام في قوله «لوقت» متعلقة بمحذوف، كأنه قال: حتى يبست وجفت معدة لوقت معلوم. ويمكن أن تكون متعلقة بجبل، أي: جبل من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت معدود ينتهي بيوم القيامة.

(2) مثل، ككرم [ونصر]: قام منتصباً. والأذهان: قوى العقل. ويجيلها: يحركها في المعقولات.

(3) يختدمها: يستخدمها في مآربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم في خدمتك في شؤونك كلها. والأدوات: جمع أداة، وهي الآلة. وتقليبها: تحريكها في العمل بها فيما خلقت له.

(4) معجوناً: صفة لإنسان. والألوان المختلفة: الضروب والفنون. وتلك الألوان هي التي ذكرها من الحر والبرد والبلة والجمود.

(5) استأدى الملائكة وديعته: طلب منهم أداءها. والوديعة هي عهده إليهم بقوله: «إني خالق بشراً من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين». ويروى «الخنوع بالسجود له» بدل «الخشوع» وهو بمعنى الخضوع. وقوله «فقال اسجدوا» الخ، عطف على استأدى [وأجمع المسلمون على أن الأمر بالسجود لم يكن للعبادة وإنما للتحية أو معناه الطاعة]

وصيته إليهم ، في الإذعان بالخضوع له ، والخشوع لتكرمته : فقال سبحانه . (اسجدوا لآدم) فسجدوا إلا إبليس اعترته الحمية وغلبت عليه الشقوة[1] وتعزز بخلقة النار واستوهن خلق الصلصال : فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة ، واستتماماً للبلية وإنجازاً للعدة : فقال (إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) ثم أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشته ، وآمن فيها محلته ، وحذره إبليس وعداوته ، فاغتره عدوه[2] نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار ، فباع اليقين بشكه ، والعزيمة

---

(١) الشقوة ـ بكسر الشين وفتحها ـ ما حتم عليه من الشقاء ، والشقاء ضد السعادة ، وهو النصب الدائم والألم الملازم ، وتعززه بخلقة النار استكباره وافتخاره بما خلق منه من جوهر لطيف ونورانية على من خلق من الصلصال ، والصلصال الطين الحر خلط بالرمل ، أو الطين ما لم يجعل خزفاً ، والمراد من الصلصال هنا مادة الأرض التي خلق آدم عليه السلام منها ، وجوهر ما خلق منه الجن [illegible] وهو من الجوهر اللطيف أعلى من جوهر ما خلق منه الإنسان ، وهو مجبول من عنصر الأرض ، والنظرة ـ بفتح فكسر ـ الانتظار به حياً ما دام الإنسان عامراً الأرض متمتعاً بالوجود ، فيكون من الشيطان في هذه الأيام ما يستحق به سخط الله وما تتم به بلية الشقاء عليه ، ويكون فيه إنجاز الله وعده في قوله (إنك من المنظرين)

(٢) اغتره عدوه الشيطان أي انتهز منه غرة فأغراه ، وكان حسد الشيطان على آدم حمله على الخلود في دار المقام ، ومرافقة الأبرار من الملائكة الأطهار

بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً[1]، وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً، ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ[2] وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ[3].

اختيار الأنبياء

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ[4]، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ[5] فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ[6] وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ

---

(١) دخل الشيطان عليه الشك في أن ما تناول منه سيمنع التحول بعد أن كان في نهي الله له عن تناوله ما يوجب له البقاء بحضرة عينه، وكانت الفرحة في الوقوف عنده أمر الله مستديماً لوهن الذي أصابه من الخدعة، والجذل بالتحريك — الفرح، وقد كان في راحة الأمن بالاحتراز من الخطيئة ومخالفة الأمر، فلما سقط في المخالفة تبدل ذلك بالوجل والخوف من حلول العقوبة، وقد ذهبت عنه الغرة، وانتبه إلى عاقبة ما اقترف، فاستشعر الندم بعد الاغترار.

(٢) أهبطه من مقام مرشده فيه للأصلح لأمره الخالص من الشوائب لانسياق قوته في مقتضى الفطرة السليمة الأولى، إلى مقر قد خلط له فيه الخير والشر، واختلط له فيه الطريقان، ووكل إلى نظره العقلي، وابتلي بالتمييز بين النجدين، واختيار أي الطريقين، وهو العناء الذي يكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين.

(٣) تناسل الذرية من خصائص تلك المنزلة الدنية التي أنزل الله فيها آدم، وهو مما ابتلي به الإنسان امتحاناً لقوته على التربية، واقتداره على صيانة من يعولهم، والقيام بحقوقهم، وإلزامهم بتأدية ما يحق عليهم.

(٤) أخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا ما أوحي إليهم، ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له. وأخذ عليهم ألا يشرعوا للناس إلا ما يوحى إليهم.

(٥) عهد الله إلى الناس هو ما سيأتي يعبر عنه بميثاق الفطرة.

(٦) الأنداد: الأمثال، وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى.

عَنْ مَعْرِفَتِهِ [١]، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ [٢] لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ [٣]، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ [٤]، وَيُرُوهُمُ الْآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ [٥]، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ؛ وَلَمْ يُخْلِ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ [٦]. رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ

---

(١) اجتالتهم الشياطين: صرفتهم عن قصدهم الذي وجهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرهم، وأخذه من الجولان، لأن الذي يصرفك عن قصدك يجولك تارة هكذا وأخرى هكذا.

(٢) واتر إليهم أنبياءه: أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة، لا بمعنى أرسلهم تترا بعضهم يعقب بعضاً.

(٣) كأن الله تعالى بما أودع في الإنسان من الغرائز والقوى، وما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقاً بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه، لولا ما عرض عليه من وساوس الشهوات، فبعث إليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق، أي ليطالبوهم بما تقتضيه فطرهم، وما ينبغي أن يكونوا عليه بغرائزهم.

(٤) دفائن العقول: أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات وترتفع به إلى الإيقان بصانع الموجودات، وقد تحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال، فيأتي النبيون لإثارة تلك المعارف الكامنة، وإظهار تلك الأسرار الباطنة.

(٥) السقف المرفوع: السماء. والمهاد الموضوع: الأرض. والأوصاب: المتاعب.

(٦) المحجة: الطريق القويمة الواضحة.

سَمِيٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ (1). عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ (2)، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ.

بعث النبي

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لإِنْجَازِ عِدَتِهِ (3)، وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ (4)، كَرِيماً مِيلَادُهُ. وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ (5)، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ. ثُمَّ اخْتَارَ

---

(1) من صدق ببعث الرسل، وكثير من الأنبياء السابقين بشرت بهم الأنبياء الذين كانوا قبلهم فبشروا بهم كما ترى ذلك في التوراة. وفي القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام بشر بخاتم الرسل ﷺ. والغابر: الذي يأتي بعده من يبشر به السابق، حتى يكون معروفاً بتعريف من قبله [وفي كلام أمير المؤمنين ما ينطق بأن الفطرة قابلة للحوز بالخيار والداعين للخير للاكتفاء بالله].

(2) نسلت ـ بالبناء للمجهول ـ ولدت، وبالبناء للفاعل: مضت متتابعة.

(3) الضمير في «عدته» لله تعالى، لأن الله وعد بإرسال محمد ﷺ على لسان أنبيائه السابقين، وكذلك الضمير في «نبوته»، لأن الله تعالى قدر نبوته وأنه سيبعث وحياً لأمته، فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوة. ولما كان الله هو المخبر به أضيفت النبوة إليه.

(4) سماته: علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشروا به.

(5) الملحد في اسم الله: الذي يميل به عن حقيقة مسماه، فيعتقد في الله صفات يجب تنزيهه عنها. والمشير إلى غيره: الذي يشرك معه في التصرف إلهاً آخر فيعبده ويستعينه.

سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا ـ إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ (١):

القرآن والأحكام الشرعية

كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ: مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ (٢)، وَفَرَائِضَهُ

(١) العلم ـ بالتحريك ـ ما يوضع ليهتدى به، أي: ان الانبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم، وقد كان من محمد ﷺ مثل ما كان منهم، فانه خلف في أمته كتاب الله هادياً حاوياً جميع ما يحتاجون اليه في دينهم.

(٢) حلاله كالأكل من الطيبات، وحرامه كأكل أموال الناس بالباطل، وفرائضه كالزكاة أخت الصلاة، وفضائله كنوافل الصدقات التي يعظم الأجر فيها ولا حرج على من لا يؤديها، وناسخه: ما جاء ناسخاً لما كان عليه الضالون من العقائد، أو رافعاً لسابق من الأحكام لحكمة اقتضت تغييره وربما خفيت على بعض العقول كقوله تعالى: «قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه» الآية، ومنسوخه ما كان حكماً عن سابق الأحكام كقوله: «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر» الآية، ورخصه كقوله: «فمن اضطر في مخمصة»، وعزائمه كقوله: «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه»، وخاصه كقوله: «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها» الآية، وكقوله: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك»، وعامه كقوله: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن». والعبر كالآيات التي تخبر عما أصاب الأمم الماضية من النكال، وعما نزل بهم من العذاب لما حادوا عن الحق وركبوا طرق الظلم والعدوان، والأمثال كقوله: «ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً» الآية، وقوله: «كمثل الذي استوقد ناراً»، وأشباه ذلك كثيرة، والمرسل: المطلق، والمحدود: المقيد، والمحكم كآيات الأحكام والأخبار الصريحة

وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقٍ فِي عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ(1): مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ.

في معانيها، والمتشابه كقوله: «يد الله فوق أيديهم». [والمأخوذ الميثاق في علمه أي ما يجب تعلمه كوحدانية الله]. والموسع على العباد في جهله كالحروف المفتتحة بها السور نحو ألم والر. والمثبت في الكتاب فرضه مع بيان السنة لنسخه نحو قوله تعالى: «فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت» فإنه نسخ بما سنه عليه السلام من رجم الزاني المحصن، وكالصلاة فإنها فرضت على الدين من قبلنا، غير أن السنة بينت لنا الهيئة التي اختصنا الله بها وكلفنا أن نؤدي الصلاة عليها، فالفرض في الكتاب، وتبيين نسخه لما كان قبله في السنة. والمرخص في الكتاب تركه ما لم يكن منصوصاً على عينه، بل ذكر في الكتاب ما يشمله وغيره كقوله: «فاقرأوا ما تيسر منه»، وقد عينت السنة سورة مخصوصة في كل ركعة فوجب الأخذ بما عينته السنة، ولو بقينا عند نص الكتاب لكان لنا أن نقرأ في الصلاة غير الفاتحة جوازاً لا مؤاخذة معه. والواجب بوقته الزائل في مستقبله كصوم رمضان يجب في جزء من السنة ولا يجب في غيره.

(1) «ومباين بين محارمه» بالرفع لا بالجر خبر لمبتدأ محذوف أي والكتاب قد فرق بين المحارم التي حظرها: كالنظرة بشهوة ونحوها.

وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ (1).

منها في ذكر الحج

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ (2) جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ: يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ (3) فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

---

(1) رجوع إلى تقسيم الكتاب، والمقبول في أدناه الموسع في أقصاه كما في كفارة اليمين يقبل فيها إطعام عشرة مساكين وموسع في كسوتهم وعتق الرقبة.

(2) يألهون إليه: أي يفزعون إليه ويلوذون به ويعكفون عليه [التشبيه بورود الأنعام ناحية الازدحام والحرص والشوق كحال الأنعام عند ورودها الماء ثم لا يخفى التشبيه بوله الحمام إذ هي أشد الطير ولهاً وحنيناً].

(3) الوفادة: الزيارة [وفي كلام الإمام تنويه بمكانة المطيعين عند الله].

ومن خطبة له عليه السلام

بَعْدَ انصرافه من صفين (1)

[وفيها حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين]

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلاَماً لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ. وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ؛ إِنَّهُ لاَ يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلاَ يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ (2)، وَلاَ يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ (3)، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاَصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا (4)، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا (5)، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ (6). وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ (7)، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللاَّمِعِ، وَالْأَمْرِ

---

(1) صفين كسجين: محلة عند الجغرافيين من بلاد الجزيرة (ما بين الفرات والدجلة) والمؤرخون من العرب عدوها من أرض سوريا، وهي اليوم في ولاية حلب الشهباء. وهذه الولاية كانت من أعمال سوريا.

(2) وأل يئل: خلص.

(3) الضمير في «فإنه» للحمد المفهوم من «أحمده» [وقد يكون الضمير عائداً لله].

(4) مصاص كل شيء: خالصه.

(5) الأهاويل: جمع أهوال، وأهوال جمع هول، فهي جمع الجمع.

(6) مدحرة الشيطان أي: تبعده وتطرده.

(7) العلم ـ بالتحريك ـ ما يهتدى به، وهو هنا الشريعة الحقة، والمأثور: المنقول عنه. [والغرض بالدين المشهور التام الأركان المرسوم الطريق].

الصَّادِعِ ، إزَاحَةً لِلشُّبُهاتِ [1] واحْتِجاجاً بِالْبَيِّناتِ ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ ، وتَخْوِيفاً بِالْمَثُلاتِ [2] . والنَّاسُ في فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ [3] وَتَزَعْزَعَتْ سَوارِي الْيَقِينِ [4] وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ [5] وَتَشَتَّتَ الأَمْرُ ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ [6] فَالْهُدَى خَامِلٌ ، وَالْعَمَى شامِلٌ ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ ، وَخُذِلَ الإِيمَانُ فَانْهَارَتْ دعَائِمُهُ [7] ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ [8]

---

(١) [وإزاحة الشبهات أهم مقاصد الشارع] .

(٢) مثلات ، بفتح فضم ، العقوبات ، جمع مثلة بفتح فضم الثاء وسكونها بعد الميم ويجمع مثولات ومثلات ، وقد تسكن في الجمع تخفيفاً .

(٣) انجذم : انقطع

(٤) السواري : جمع سارية ، العمود والدعامة [التي كانت تجمع الخلق أو التي تجمع الناس على فطرة واحدة ودين واحد] .

(٥) النجر بفتح النون وسكون الجيم الأصل ، أي اختلفت الأصول فكل يرجع إلى أصل يظنه مرجع حق ، وما هو من الحق في شيء .

(٦) مصادرهم في أوهامهم وأمورهم مجهولة غير معلومة ، خفية غير ظاهرة فلا عن بينة يعتقدون ، ولا إلى غاية صالحة ينزعون .

(٧) انهارت : هوت وسقطت والدعائم جمع دعامة ، وهي ما يستند إليه الشيء ويقوم عليه . ودعامة السقف مثلاً ما يرتفع عليه من الأعمدة [وأشار بخمول الهدى إلى عدم ظهوره بينهم] .

(٨) التنكر : التغير من حال يسر إلى حال يكره ، أي تبدلت علاماته وآثاره ، بأعقب السرور وجلب المكروه .

وَدرست سُبُلُهُ(١) وَعفَتْ شُرُكُهُ . أطاعوا الشيطانَ فسلكوا مسالِكَهُ ، ووردُوا مَناهِلَهُ(٢) بهم سارتْ أعلامُهُ وقامَ لواؤُهُ ، في فِتَنٍ داستْهُمْ بأخفافِها . وَوطِئَتْهُمْ بأظلافِها(٣) وقامتْ على سنابكِها ، فهُمْ فيها تائهون حائرُون جاهلون مفتُونُونَ ، في خيرِ دارٍ ، وشرِّ جيرانٍ(٤) نومُهُمْ سُهودٌ ، وَكُحْلُهُمْ دُموعٌ ، بأرضٍ عالِمُها مُلجَمٌ ، وجاهِلُها مُكرَمٌ .

---

(١) درست ، كاندرست ، أي انطمست . والشرك ـ قال بعضهم ـ جمع شراك ككتاب ، وهي الطريق ، والذي يفهم من القاموس أنها معظم جوادّ الطريق أو ما لا يخفى عليك ولا يستجمع لك من الطرق ، ثم جمع لا مفرد له من لفظه ، وعفت بمعنى درست .

(٢) المناهل جمع منهل ، وهو مورد الشاربة من النهر .

(٣) الأظلاف جمع ظلف بكسر الظاء للبقر والشاة وشبههما ، كالخف للبعير والقدم للإنسان . السنابك جمع سنبك كقنفذ ، وهو طرف الحافر .

(٤) خير دار هي مكة المكرمة ، وشر جيران عبدة الأوثان من قريش . [وقيل : هي أرض الشام والعراق ؛ كان حدثاً بها من أهلها قبل البعثة ، وقيل إنها أرض الدنيا عامة ، وحينئذ يكون المراد الشام والعراق أو الدنيا لا يراد بشر الجيران عبدة الأوثان] . وقوله « نومهم سهود » كما تقول فلان جوده بخل وأمنه مخافة ، فهم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع . والعالم ملجم لأنه لو قال حقاً والجمهور على الباطل لانتقدوه وبهتوه ، والجاهل مكرم لأنه على شاكلة العامة مشايع لهم في أهوائهم لموافقة عدم معرفته أوهامهم وعاداتهم ، وهي في المقام الأعلى من نفوسهم ، وهذه الأوصاف كلها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ [أو لتصوير غيرهم بعد البعثة] .

ومنها يعني آل النبي عليه الصلاة والسلام

مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ [1]، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ [2]، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ [3].

ومنها يعني قوماً آخرين [4]

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ [5]، لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً: هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ

---

(١) اللجأ محركة: الملاذ وما تلتجئ إليه كالوزر محركة: ما تتحصن به.

(٢) العيبة بالفتح: الوعاء. والموئل: المرجع أي أن حكمه وشرعه يرجع إليهم، وهم حفاظ كتبه يحوونها كما تحوي الكهوف والغيران ما يكون فيها. والكتب: القرآن، وجمعه لأنه فيما حواه كجملة ما تقدمه من الكتب ويزيد عليها بما خص الله به هذه الأمة.

(٣) كنى بانحناء الظهر عن الضعف [في بدء الإسلام] وبإقامته عن القوة. وبهم آمنه من الخوف الذي ترتعد منه الفرائص [التي هي جمع فريصة وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة. وهذه صفات أهل البيت لكمال استعدادهم لأسرار الله وحكمته].

(٤) [يقصد بهم الخوارج أو هم منافقون أو هم كل معاند]

(٥) جعل ما فعلوا من القبائح كزرع زرعوه، وما سكنت إليه نفوسهم من الإمهال واغترارهم بذلك كماء السقي، فإن الغرور يبعث على مداومة القبيح والزيادة فيه، ثم كانت عاقبة أمرهم هذا الثبور، وهو الهلاك.

الْيَقِينِ. إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي (١) وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ: الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ (٢) وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشِّقْشِقِيَّةِ (٣)

[وتشمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له]

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ (٤) وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى: يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ (٥) وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ:

---

(١) يريد أن سيرتهم صراط الدين المستقيم، فمن غلا في دينه وتجاوز بالإفراط حدود الجادة فنجاته بالرجوع إلى سيرة آل النبي والتفيؤ بظلال أعلامهم. وقوله «وبهم يلحق التالي» يقصد به أن المقصر في عمله المتباطئ في سيره الذي أصبح وقد سبقه السابقون إن يبغي له الخلاص فعليه أن يلحق بآل النبي ويحذو حذوهم [والإمام يريد بهذا خصومه الذين حاربوه على حقه وغصبهم].

(٢) الآن ظرف متعلق برجع [وفي بعض النسخ قد رجع] وإذ زائدة للتوكيد، صرح بذلك ابن هشام في نقله عن أبي عبيدة وأن إذ للتحقيق بمعنى قد، كما نقله بعض النحاة [ويريد بالآن وقت رجوعها إليه بعد انتقالها عنه].

(٣) لقوله فيها: «تلك شقشقة هدرت ثم قرت»، كما يأتي [وتعرف كذلك بالمقمصة لقوله لقد تقمصها فلان].

(٤) الضمير يرجع إلى الخلافة، وفلان كناية عن الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه [وتقمصها أي لبسها كالقميص]

(٥) يعني سمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي، وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله. وعلى ذلك قوله «ولا يرقى إلي الطير»، غير أن الثانية أبلغ من الأولى في الدلالة على الرفعة [لأنه علو أكثر من ذاك].

فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً (١)، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً. وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ (٢) أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ (٣) يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ (٤).

ترجيح الصبر

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى (٥) فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجاً (٦) أَرَى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ،

(١) فسدلت الخ: كناية عن غض نظره عنها، وسدل الثوب: أرخاه. وطوى عنها كشحاً: مال عنها، وهو مثل، لأن من جاع فقد طوى كشحه، ومن شبع فقد ملأه. فهو قد جاع عن الخلافة، أي: لم يلتقمها.

(٢) وطفقت الخ: بيان لعلة الإعراض، والجذاء بالجيم والذال المعجمة وبالحاء المهملة والدال المهملة أيضاً بدلاً من الجيم والذال المعجمة بمعنى المقطوعة. ويقولون: رحم جذاء، أي: لم توصل، وسن حذاء أي منتهية. والمراد هنا ليس من يؤيده. كأنه قال: تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً.

(٣) طخية: بطاء فخاء بعدها ياء، ويثلث أولها، أي: ظلمة، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي، وإنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق، وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها [إذ لا قائمة من الأحكام ولا خير [illegible]]

(٤) يكدح: يسعى سعي المجهود.

(٥) أحجى: ألزم، من حجي به كرضي: أولع به ولزمه. ومنه هو حجيٌ بكذا أي جدير، وما أحجاه وأحجِ به، أي: أحقق به، ومنه من الحجا بمعنى العقل فهي أحجى أي أقرب إلى العقل، وهاتا بمعنى هذه [وهي لغة في هذي وهذه]، أي: رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى وأقرب من المصاولة بلا نصير.

(٦) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه [والجملتان كنايتان عن شدة ما أضمره من التأذي]. والتراث: الميراث.

فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلانٍ بَعْدَهُ (1) (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الأَعْشَى) .

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ (2)

فَيَا عَجَباً !! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ (3) إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ - لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا (4) - فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ

---

(1) أدلى بها: ألقى بها إليه [وفلان كناية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

(2) الكور بالضم: الرحل أو هو مع أداته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل في قوله:

وقد أسلي الهم إذ يعتري ... بجسرة دوسرة عاقر

والجسرة: العظيم من الإبل، والدوسرة: الناقة الضخمة. وحيان كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم، وكان ذا حظوة عند ملوك فارس، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة [وكان يفد على كسرى فيحمله مصوناً من وعثاء السفر] وكان الأعشى ينادمه، والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل وأول القصيدة

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

وجابر أخو حيان أصغر منه [وقد لام حيان الشاعر على تعريفه بأخيه الذي هو أصغر منه وأقل جاهاً] ومعنى البيت أن فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيان في رفاهيته، فإن الأول كثير العناء شديد الشقاء، وافر النعيم وافي الراحة. [ويشبه أمير المؤمنين حاله في الخلافة بالأول الذي هو كثير العناء شديد الشقاء حين صمته حيراً].

(3) رووا أن أبا بكر قال بعد البيعة «أقيلوني فلست بخيركم»، وأنكر الجمهور [من أهل السنة] هذه الرواية عنه، والمعروف عنه [عندهم] «وليتكم ولست بخيركم».

(4) لشد ما تشطرا ضرعيها: جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين والعطف في فصيرها عطف على عقدها. وتشطرا مسند إلى ضمير التثنية. وضرعيها تثنية ضرع وهو للحيوانات مثل الثدي للمرأة، وللناقة في ضرعها شطران، كل خلفين شطر. ويقال: شطر بناقته تشطيراً صر خلفيها وترك خلفين. والشطر أيضاً أن تحلب شطراً وتترك شطراً، فتشطرا أي أخذ كل منهما شطراً. وسمي شطري

يَغْلُظُ كَلْمُهَا (١)، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالْاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ (٢) إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ ــ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَالَلهِ وَلِلشُّورَى (٤)

الضرع ضرعين مجازاً، وهو هنا من أبلغ أنواعه حيث إن من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلا تاماً، ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطر والاقتسام، كأن أحدهما ترك منه شيئاً للآخر، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كل [واللام في لشد للتوكيد، وما تشطرا ما والفعل في تقدير مصدر هو فاعل شد وجملة التعجب]

(١) الكلام ــ بالفتح ــ الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها وإنما هو بمعنى الجرح كأنه يقول: خشونتها تجرح جرحاً غليظاً

(٢) الصعبة من الإبل: ما ليست بذلول، وأشنق البعير وشنقه: كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه (العظم الناتئ خلف الأذن) بقادمة الرحل، أو رفع رأسه وهو راكب، واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس، وأسلس: أرخى، وتقحم: رمى بنفسه في القحمة، أي الهلكة، وسيأتي معنى هذه العبارة في الكتاب. وراكب الصعبة إما أن يشنقها فيخرم أنفها، وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته [والضمير في قوله فصاحبها راجع للخلافة].

(٣) مني الناس: بلوا وأصيبوا، والشماس ــ بالكسر ــ إباء ظهر الفرس عن الركوب، والنفار، والخبط: السير على غير جادة، والتلون: التبدل، والاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولاً، يقال: بعير عرضي يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية، أي عجرفة وصعوبة

(٤) حاصل القصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دنا أجله وقرب مسيره إلى ربه استشار فيمن يوليه الخلافة من بعده، فأشير عليه بابنه عبد الله، فقال: لا يليها (أي الخلافة) اثنان من ولد الخطاب، حسب عمر ما حمل! ثم رأى أن يكل الأمر إلى رأي ستة قال: إن النبي ﷺ مات وهو راض عنهم، وإليهم بعد التشاور

أن يعينوا واحداً منهم يقوم بأمر المسلمين، والستة رجال الشورى هم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم. وكان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور. وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان؛ لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلات بينهما، على ما ذكره بعض رواة الأثر. وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر، وبعد موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا، وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان، والزبير إلى علي، وسعد إلى عبد الرحمن. وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير وقال إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن. فأقبل عبد الرحمن على علي وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده. فقال علي: أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي، ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك، فأجابه بنعم. فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت الشورى وقال: اللهم اسمع واشهد. اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وصفق بيده في يد عثمان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه فوراً وخرج الإمام علي واجداً، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن والله لقد تركت عليّاً وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال: يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: والله إني لأعجب من قريش إنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالحق ولا أعلم به منه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إني أخشى عليك الفتنة فاتق الله. ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك، فقال: ما كنت أظن هذا به أو لكن لله علي أن لا أكلمه أبداً، ثم مات عبد الرحمن

النَّظَائِرِ (١)! لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا (٢)، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ (٣)، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ (٤)، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ (٥)، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ (٦)، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللهِ خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ (٧)، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ (٨)، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ (٩).

وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلمه! والله أعلم، والحكم لله يفعل ما يشاء.

(١) أشبه به بعضهم بعضاً دونه

(٢) أسف الطائر: دنا من الأرض، يريد أنه لم يخالفهم في شيء

(٣) صغى صغياً وصغواً: مال. والضغن: الضغينة، يشير إلى سعد.

(٤) يشير [بالآخر] إلى عبد الرحمن [وبصهره إلى عثمان بن عفان].

(٥) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها

(٦) يشير إلى عثمان وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه كما رأيت في خبر القصة. ونافجاً حضنيه: رافعاً لهما، والحضن: ما بين الإبط والكشح. يقال للمتكبر: جاء نافجاً حضنيه. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً. والنثيل: الروث. والمعتلف من مادة علف: موضع العلف، وهو معروف، أي لا هم له إلا ما ذكر

(٧) الخضم، على ما في القاموس: الأكل مطلقاً، أو بأقصى الأضراس، أو ملء الفم بالمأكول، أو خاص بالشيء الرطب. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان. أخف من الخضم. والنبتة – بكسر النون – كالنبات في معناه [ويريد بمال الله بيت مال المسلمين]

(٨) انتكث [عليه] فتله: انتقض. وأجهز عليه عمله: تمم قتله، تقول: أجهزت على الجريح، ودففت عليه

(٩) البطنة – بالكسر – البطر والأشر والكظة (أي التخمة والإسراف في الشبع)، وكبت به من كبا الجواد إذا سقط لوجهه [ونسبة الكبو إلى البطنة استعارة دقيقة].

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ (١) يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ (٢) فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ (٣) كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا (٤)، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ (٥) وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ (٦) لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ (٧) وَقِيَامُ

---

(١) عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام [والعرب تسمي الضبع "عُرْفاً" لعظم عرفها] وينثالون: يتتابعون مزدحمين، والحسنان: ولداه الحسن والحسين، وشق عطفاه: خدش جانباه من الاصطكاك. وفي رواية وشق عطافي، والعطاف الرداء. وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة [وقيل الحسنان الإبهامان، والعطاف الذيل وقد وطئها الناس منه عند البيعة له].

(٢) ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه [أو قلة نظامهم حين مبايعته].

(٣) الناكثة: أصحاب الجمل [وطلحة والزبير خاصة]، والمارقة: أصحاب النهروان [وهم الخوارج]. والقاسطون — أي الجائرون — أصحاب صفين [والمروق الخروج بمسالمة والقسط الفسق والخروج بالمخالفة].

(٤) [والآية تنصب على الطوائف الثلاث].

(٥) حليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزينت بحليها. والزبرج: الزينة من وشي أو جوهر.

(٦) النسمة — محركة — الروح [وهي في البشر أرجح]، وبرأها: خلقها.

(٧) من حضر لبيعته، ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره.

الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ [1]، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا [2]، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ [3].

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد [4] عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً [قيل إن فيه مسائل كان يريد الاجابة عنها]، فأقبل ينظر فيه [فلما فرغ من قراءته]، قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، لو اطَّردتْ مقالتك من حيث أفضيت.

فقال: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ [5] هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ.

---

(١) والناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة، والكظة: ما يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد استئثار الظالم بالحقوق. والسغب: شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.

(٢) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

(٣) عفطة العنز: ما تنثره من أنفها، تقول: عفطت تعفط من باب ضرب، غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة. والأشهر في العنز النفطة بالنون. يقال: ما له عافط ولا نافط، أي: نعجة ولا عنز. كما يقال: ما له ثاغية ولا راغية. والعفطة الحبقة أيضاً، لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم.

(٤) السواد: العراق وسمي سواداً لخضرته بالزرع والأشجار، والعرب تسمي الأخضر أسود. قال الله تعالى «مدهامتان» يريد الخضرة، كما هو ظاهر.

(٥) الشقشقة — بكسر فسكون فكسر — شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة، قال في القاموس: والخطبة الشقشقية العلوية، وهي هذه. [واسمها المقمصة أيضاً]

قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد

•

قال الشريف رضي الله عنه : قوله « كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم » يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها ، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها ، يقال : أشنق الناقة ، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، وشنقها أيضاً ، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق : وإنما قال « أشنق لها » ولم يقل « أشنقها » لأنه جعله في مقابلة قوله « أسلس لها » فكأنه عليه السلام قال : إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها)

ومن خطبة له عليه السلام

[وهي من أفصح كلامه عليه السلام وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم]
[ويقال انه خطبها بعد قتل طلحة والزبير]

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ ، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ (١) ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ

(١) تسنمتم العلياء : ركبتم سنامها وارتقيتم الى اعلاها ، والسرار – كسحاب وكتاب – آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر [او آخر ليلتين فيه]. وانفجرتم : دخلتم في الفجر ، والمراد كنتم في ظلام حالك ، وهو ظلام الشرك والضلال ، فصرتم الى ضياء ساطع بهدايتنا وإرشادنا ، والضمير لمحمد ﷺ ، والامام ابن عمه ونصيره في دعوته [أو هو للرسول وآله ، والخطاب لحاضري الوقت من قريش المخالفين للامام] ويروى « أفجرتم » بدل « انفجرتم » وهو افصح وأوضح ، لأن انفعل لا يأتي لغير المطاوعة إلا نادراً ، أما أفعل فيأتي لصيرورة الشيء ذا حال لم يكن عليها ، كقولهم : أجرب الرجل ، اذا صارت إبله جربى وأمثاله كثير .

عَنِ السِّرَارِ . وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ [1] وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ [2] . رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ [3] مَازِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ [4] سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ [5] وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ [6] حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ ،

---

(١) الواعية : الصرخة والصارخة والصراخ نفسه ، والمراد هنا العبر والمواعظ الشديدة الأثر ، ووقرت أذنه فهي موقورة ، ووقرت كسمعت : صمت ، دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر والعبر .

(٢) الصيحة هنا : الصوت الشديد ، والنبأة يراد منها الصوت الخفي ، أي من أصمته الصيحة فلم يسمعها كيف يمكن أن يسمع النبأة ويعيها ، ويشير بالصيحة إلى زواجر كتاب الله ومقول رسوله . وبالنبأة إلى ما يكون منه رضي الله عنه . وقد رأيت هذا أقرب مما أشرنا إليه في الطبعة السابقة .

(٣) ربط جأشه ورابطه بكسر الراء : اشتد قلبه ، ومثله رابط الجأش ، أي القلب ، وهو دعاء للقلب الذي لازمه الخفقان والاضطراب خوفاً من الله بأن يثبت ويستمسك .

(٤) ينتظر بهم الغدر : يترقب غدرهم فقد كان يتفرس فيهم الغرور والغفلة وهم لا يميزون بين الحق والباطل ، وهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه إلى من ليس من الحق على مثل حاله ، والحلية هنا : الصفة .

(٥) جلباب الدين : ما لبسوه من رسومه الظاهرة ، أي أن الذي سترني عنكم هو ما ظهرتم به من الدين ، وإن كان صدق نيتي قد بصرني بسوء حالكم وما تكنه صدوركم ، وصاحب القلب الطاهر تنفذ فراسته إلى مراكز النفوس فتستخرجها .

(٦) المضلة بكسر الضاد وفتحها : الأرض يضل سالكها ، والضلال طرق كثيرة ؛ لأن كل ما جاز عن الحق فهو باطل والحق طريق واحد مستقيم وهو الوسط بين طرق الضلال ، فهو قال : أقمت لكم على سنن الحق ، وهو طريقه الواضح فيما بين جواد المضلة وطرقها المتشعبة حيث يلاقي بعضكم بعضاً وكلكم تائهون ولا فائدة من التقائكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم علمه بالدليل .

وتحتفِرُونَ ولَا تُمِيهُونَ (١) "الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ" (٢)
غَرَبَ رَأْيُ امْرِىءٍ تَخَلَّفَ عَنِّي (٣) مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ،
لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ (٤): أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ
الْجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلَالِ. الْيَوْمَ تَوَافَقْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.
مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ (٥)

---

(١) تميهون: تجدون ماء، من أماهوا ركيتهم: أنبطوا ماءها، أو تستقون، من أماهوا دوابهم: سقوها.

(٢) أراد من العجماء رموزه وإشاراته، فإنها وإن كانت عجماء على من لا بصيرة لهم لكنها جلية ظاهرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهذا معناها ذات البيان مع أنها عجماء [مشبهة بالحيوان إذ لا نطق له في الحقيقة ومع ذلك يستفيد الناظر فيها فهي ذات بيان عند الاعتبار بها].

(٣) غرب: غاب، أي لا رأي لمن تخلف عني ولم يطعني [وهو كلام في معرض التوبيخ. وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام بالكلام التالي أسباب وجوب اتباعه].

(٤) يتأسى بموسى عليه السلام إذ رموه بالخيفة، ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون، فإنه لا يخاف على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل، كما كان من نبي الله موسى، وهو أحسن تفسير لقوله تعالى. (فأوجس في نفسه خيفة موسى) وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك في أمره [كأن البلاغة في ضرب المثل بموسى أنه قوبل بالسحر وهو أبطل الباطل وما قوبل به أمير المؤمنين يشبه السحر].

(٥) [والتوافق المقابلة والتلاقي أي إنهم تقابلا وتلاقيا، هو على الحق وهم على الباطل. وقوله من وثق بماء لم يظمأ تنبيه على وجوب الثقة بما عنده].

ومن خطبة له عليه السلام

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان ابن حرب في ان يبايعا له بالخلافة [وذلك بعد ان تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة وفيها ينهى عن الفتنة ويبين عن خلقه وعلمه]

النهي عن الفتنة

أَيُّهَا النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ (١). أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ (٢). هذَا مَاءٌ آجِنٌ (٣)، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا.

---

(١) هذا قصد به المبالغة، والقصد ضعوا تيجانكم بعيدة عن رؤوسكم. وكأنه يقول: طأطئوا رؤوسكم تواضعاً، ولا ترفعوها بالمفاخرة إلى حيث تضعها تيجانها. ويروي: «وضعوا تيجان المفاخرة» بدون لفظ «عن» وهو ظاهر. وعرج عن الطريق: مال عنه وتنكبه.

(٢) يفلح أحد رجلين: إما ناهض للأمر بجناح، أي بناصر ومعين يصل بمعونته إلى ما نهض فيه، وإما مستسلم يريح الناس من شرورهم فلا فتن، وذلك عند عدم الناصر. وهذا يشبه نحو قول عنترة لمن قال له: إنك أشجع العرب، فقال: لست أشجعهم، ولكني أقدم إذا كان الإقدام غنماً، وأحجم إذا كان الإحجام حزماً.

(٣) الآجن: المتغير الطعم واللون لا يستساغ، والإشارة إلى الخلافة، أي: أن الإمرة على الناس والولاية على شؤونهم لا تهنأ لصاحبها، بل ذلك أمر يشبه تناوله تناول الماء الآجن، ولا تحمد عواقبه: كاللقمة يغص بها آكلها فيموت بها.

وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ (١).

خلق وعلم

فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ (٢) هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي (٣) وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ (٤).

---

(١) يشير إلى أن ذلك لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الامر، فلو نهض إليه كان كمجتني الثمرة قبل إيناعها ونضجها، وهو لا ينتفع بما جنى، كما أن الزارع في غير أرضه لا ينتفع بما زرع.

(٢) إن تكلم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف حقيقة قصده بالحرص على السلطان، وإن سكت — وهم يعرفونه أهلاً للخلافة — يزعمونه بالجزع من الموت في طلب حقه.

(٣) أي: بعد ظن من يرميني بالجزع بعد ما ركبت الشدائد وقاسيت الاخطار صغيرها وكبيرها، قيل: إن رجلاً تزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقي بعشرتها، ثم طلقها وتزوج بأخرى طويلة، فكان شقاؤه بها أشد، فطلقها، وقال: لا أتزوج بعد اللتيا والتي، فشبه بالاولى إلى الصغيرة وبالثانية إلى الكبيرة، فصارت مثلاً في الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها. وقوله «هيهات الخ» نفي لما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته.

(٤) أدمجه: لفه في ثوب، فاندمج، أي: انطويت على علم والتفت عليه، والأرشية: جمع رشاء بمعنى الحبل. والطوى: جمع طوية، وهي البئر. والبعيدة بمعنى العميقة، أو هو بفتح الطاء كعلي بمعنى السقاء: ويكون البعيدة مناسباً، أي: البعيدة مقرها من البئر: أو نسبة البعد إليها في العبارة مجاز عقلي [والعلم الذي انطوى عليه هو علمه — عليه السلام — بنتائج الامور وعواقبها].

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما اشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال (١)

[وفيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لايخدع]

وَاللهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ : تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ (٢)، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا ، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا (٣) . وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ وَجْهَ الْمُدْبِرِ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً (٤) ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي . فَوَاللهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

[يذم فيها اتباع الشيطان]

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً (٥) وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً ،

---

(١) يرصد : يترقب ، او هو رباعي من الارصاد بمعنى الاعداد، اي ولا يعد لهما القتال .

(٢) اللدم الضرب بشيء ثقيل يسمع صوته . قال ابو عبيد يأتي صائد الضبع فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضرباً غير شديد ، وذلك هو اللدم ، ثم يقول : خامري ام عامر ، بصوت ضعيف ، يكررها مراراً ، فتنام الضبع على ذلك ، فيجعل في عرقوبها حبلا ويجرها فيخرجها ، وخامري اي . استتري في جحرك ويقال : خامر الرجل منزله ، اذا لزمه .

(٣) [الختل الخديعة]

(٤) [في الكلام مقابلة لطيفة فالمطيع في مقابل العاصي و مريب في مقابل السامع ولا يجري السر في قوله عليه السلام وجه المدبر عنه لئلا يكون الضرب غدرا]

(٥) ملاك الشيء — بالفتح ، ويكسر — قوامه الذي يملك به ، والاشراك . جمع شريك كشريف واشراف ، فجعلهم شركاء ، او جمع شرك ، وهو ما يصاد به ، فكأنهم آلة الشيطان في الاضلال

فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ(1)، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ(2)، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ(3)، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

ومن كلام له عليه السلام

[يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك ويدعوه للدخول في البيعة ثانية]

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ، وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ(4)، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ(5)، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

ومن كلام له عليه السلام

[في صفته وصفة خصومه ويقال إنها في أصحاب الجمل]

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هٰذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ،

---

(1) باض وفرخ: كناية عن توطنه صدورهم وطول مكثه بها؛ لأن الطير لا يبيض إلا في عشه، وفراخ الشيطان: وساوسه

(2) دب ودرج إلخ: أي أنه تربى في حجورهم كما يربى الطفل في حجر والديه حتى يبلغ فتوته ويملك قوته [ولشدة امتزاج الشيطان بهم صار ينظر بأعينهم وينطق بألسنتهم كأنما صاروا معه شيئاً واحداً]

(3) الخطل: أقبح الخطأ. والزلل: الغلط والخطأ [وشركه كعلمه أي صار شريكاً له]

(4) الوليجة: الدخيلة [في الأمر]، وما يضمر في القلب ويكتم، والبطانة [يريد أن الزبير بعد أن بايع ادعى أنه كان يضمر ألا يبايع، فهي عذر لا قيمة له]

(5) [فليأت عليها بأمر يعرف: أي ليأت على فساد البيعة بدليل واضح]

وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ (١) وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يريد الشيطان أو يكني به عن قوم]

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجْلَهُ ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي (٢) : مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ . وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ ! (٣) لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ (٤) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لابنه محمد بن الحنفية (٥) لما أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ (٦) عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ (٧) . أَعِرِ اللهَ

---

(١) وقد أوقعنا بعدو أوعدنا آخر بأن يصيبه ما أصاب سابقه ، وقد مطرنا سيلنا [أي إنا نجري الأمور على حقائقها] ، أما أولئك الذين يقولون فعلنا وفعلنا وما هم بفاعلين فهم بمنزلة من يسيل قبل المطر ، وهو محال غير موجود ، فهم كالعدم فيا ليتهم يعدون [والفشل الجبن والخور وهو تصوير حسن ، لأن الغالب من الجبناء الضجة والصوت ، ومن الشجعان الصمت والعمل]

(٢) أفرطه : ملأه حتى فاض ، والماتح من متح الماء ، أي نزعه ، أي : أنا نازع مائه من البئر فملأت به الحوض ، وهو حوض الهلاك والفناء ، وأنا أستقيهم منه .

(٣) [أي بصيرتي معي مذ كنت بصيراً لم تتغير]

(٤) أي أنهم سيردون الحرب فيموتون عندها ، ولا يصدرون عنها ، ومن يخلص منهم [بالفرار] فلن يعود إليها [وقد رأيته هنا أفرطت أي أملأه وأنا ماتحه ، أي أنا مستقيه ، ويريد عليه السلام أنه يملأ لهم حوض الحرب التي هو عليم بها]

(٥) [محمد بن الحنفية هو محمد بن علي وأمه امرأة من بني حنيفة وقد قيل له كذلك ليعرف من أولاد فاطمة الزهراء عليهم السلام وأخباره مشهورة] .

(٦) [تزول الجبال ، قيل هو خبر فيه معنى الشرط ، والمبالغة في النهي ظاهرة لأن الجبال لا تزول]

(٧) النواجذ . أقصى الأضراس ، وكلها ، أو الأنياب ، والنجذ واحدها ،

جُمْجُمَتَكَ. تِدْ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ(١). ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ(٢)، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

ومن كلام له عليه السلام

لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا(٣)؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ(٤)، وَيَقْوَى بِهِمُ الإِيمَانُ.

ومن كلام له عليه السلام

في ذم أهل البصرة [بعد وقعة الجمل]

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ(٥): رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ

قيل: إذا عض الرجل على أسنانه اشتدت أعصاب رأسه وعظامه، وقد أوصى به عند الشدة ليقوى، والصحيح أن ذلك كناية عن الحمية وهو من عدة الانسان. إذا حمي واشتد غيظه على عدوه عض على أسنانه. وأعر: أمر من أعار، أي ابذل جمجمتك لله تعالى، كما يبذل المعير ماله للمستعير.

(١) أي ثبّتها من وتد يتد [وقد سها من قال على أن الامام عليه السلام استعمل الثلاثي من وتد].

(٢) ارم ببصرك الخ، أي: احط بجميع حركاتهم، وغض النظر عن تحسك منهم، أي لا يهولك منهم شيء [وليس بين الأمر برمي البصر وغضه تناقض فالرمي يراد به الاحاطة بهم، والغض يراد به الاستهتار ببريق السيوف وادوات القتال].

(٣) هوى أخيك: أي ميله ومحبته.

(٤) يرعف بهم: أي سيجود بهم الزمان كما يجود الأنف بالرعاف: يأتي بهم على غير انتظار [وفيه تشبيه الزمان بالانسان].

(٥) يريد [بالبهيمة] الجمل. وجمل الفتنة عن طلحة والزبير بعد ما بايعا أمير

فَهَرَبْتُمْ . أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ [1] وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ [2] وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ [3] قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا .

وفي رواية : وَايْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ [4] .

المؤمنين فارقته في المدينة وأتيا مكة مغاضبين ، فالتقيا بعائشة زوج النبي ﷺ ، فسألتهما الأخبار ، فقالا : إنا تحملنا هرباً من غوغاء العرب بالمدينة ، وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ، ولا ينكرون باطلاً ، ولا يمنعون أنفسهم . فقالت : نهض بنا إلى هذه الغوغاء أو نأتي الشام ؟ فقال أحد الحاضرين : لا حاجة لكم في الشام قد كفاكم أمره معاوية فلنأت البصرة ، فإن لأهلها هوى مع طلحة ، فعزموا على المسير ، وجهزهم يعلى بن منبه ، وكان والياً لعثمان على اليمن وعزله علي كرم الله وجهه ، وأعطى السيدة عائشة جملاً اسمه عسكر ، ونادى مناديهم في الناس بطلب ثأر عثمان ، فاجتمع نحو ثلاثة آلاف ، فسارت فيهم إلى البصرة ، وبلغ الخبر علياً فأوسع لهم النصيحة وحذرهم الفتنة ، فلم ينجح النصح ، فتجهز لهم وأدركهم بالبصرة ، وبعد محاولات كثيرة منه يبغي بها حقن الدماء نشبت الحرب بين الفريقين واشتد القتال ، وكان الجمل يعسوب البصريين : قتل دونه خلق كثير من الفتيين ، وأخذ خطامه سبعون قرشياً [من بني ضبة] ما نجا منهم أحد . وانتهت الموقعة بنصر علي كرم الله وجهه بعد عقر الجمل ، وفيها قتل طلحة والزبير ، وقتل سبعة عشر ألفاً من أصحاب الجمل ، وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقتل من أصحاب علي ألف وسبعون .

(١) دقة الأخلاق : دناءتها .

(٢) مالح [ورد ذمهم بملوحة مائهم لسوء اختيارهم لمكانها] .

(٣) الجؤجؤ : الصدر .

(٤) من « جثم » إذا وقع على صدره ، أو تلبد بالأرض . وقد وقع ما أوعد به

وفي رواية: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

وفي رواية أخرى: بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ اللهِ تُرْبَةً (١): أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ (٢)، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ (٣)، الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ، وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللهِ (٤). كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ الْمَسْجِدِ (٥) كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

ومن كلام له عليه السلام

في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ (٦)، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ،

امير المؤمنين، فقد غرقت البصرة: جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام، ولم يبق منها الا مسجدها الجامع. ومعنى قوله «ابعدها من السماء» انها في وهدة منخفضـــة، والمنخفض ابعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع.

(١) [وذلك لكثرة ركوب الماء لها وتغشيها به].

(٢) [وقربها من الماء اشارة الى هبوط مكانها وبعدها من السماء اي من الرحمة].

(٣) [ليس هذا العدد على سبيل الحصر وإنما هو للمبالغة]

(٤) [المحتبس فيها مرتهن بذنبه لانخراطه في سلك اهلها وتعرضه لاخلاقهم وطباعهم، والخارج بعفو الله ليسلم من الذنوب، وكل ذلك في معرض التعبير منهم].

(٥) [وشرف المسجد اعلى مكان فيه].

(٦) [خفة العقول اشارة الى ضعفها عن التدبير والتسرع الى ما لا ينبغي].

العرض: ما ينصب ليرمى بالسهام. والنابل: الضارب بالنبل [وروي بعده: وفريسة لصائد].

وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه (1)

وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ ، وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ ، لَرَدَدْتُهُ ؛ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً . وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ (2) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما بويع في المدينة [وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول اليه احوالهم وفيها يقسمهم الى اقسام]

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ (3) وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ (4) حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ

---

(1) القطائع عثمان : ما منحه للناس من الأراضي [وكان الأصل فيها ان تنفق عليهم على ابناء السبيل واشباههم كقطائعه معاوية ومروان] .

(2) أي ان من عجز عن تدبير امره بالعدل فهو عن التدبير بالجور اشد عجزاً ، فان الجور مظنة ان يقاوم ويصد عنه . وهذه الخطبة رواها الكلبي مرفوعة الى ابي صالح عن ابن عباس ان علياً خطب ثاني يوم من بيعته في المدينة فقال : الا ان كل قطيعة اقطعها عثمان ، وكل مال اعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ، فان الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج الخ [فالضمير في وجدته يرجع الى المال] .

(3) الذمة : العهد ، تقول : هذا الحق في ذمتي ، كما تقول في عنقي ، وذلك كناية عن الضمان والالتزام . والزعيم : الكفيل ، يريد انه ضامن لصدق ما يقول ، كفيل بانه الحق الذي لا يدافع .

(4) العبر - بكسر ففتح - جمع عبرة بمعنى الموعظة ، والمثلات : العقوبات ،

الشُّبُهاتِ. أَلَا وإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ (٢) حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا (٣) وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً (٤) وَلَا

اي: من كشف له النظر في احوال من سبق بين يديه وحقق له الاعتبار والاتعاظ ان العقوبات التي نزلت بالأمم والاجيال والافراد من خسف وذل وفاقة وسوء حال إنما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان، وما لبسوا من جهل وفساد احوال، ملكته التقوى وهي التحفظ من الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لاهلها، ومنعته عن تقحم الشبهات والتردي فيها، فان الشبهة مظنة الخطيئة، والخطيئة عتبة العقوبة.

(١) إن بلية العرب التي كانت محيطة بهم يوم بعث الله نبيه محمداً ﷺ هي بلية الفرقة، ومحنة الشتات، حيث كانوا متباغضين متنافرين، يدعو كل إلى عصبيته، وينادي بنداء عشيرته، يضرب بعضهم رقاب بعض، فتلك الحالة التي هي مهلكة الامم قد صاروا اليها بعد مقتل عثمان، بعثت العداوات التي كان قد قمعها الدين، ونفخت روح الشحناء بين الامويين والهاشميين واتباع كل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) «لتبلبلن» اي: لتختلطن من «تبلبلت الالسن» اختلطت، «ولتغربلن» اي: لتقطعن من «غربلت اللحم» اي: قطعته و«لتساطن» من السوط، وهو ان تجعل شيئين في اناء وتضربهما بيدك حتى يختلطا. وقوله «سوط القدر» اي: كما تختلط الابزار ونحوها في القدر عند غليانه فينقلب اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها، وكل ذلك حكاية عما يؤلون اليه من الاختلاف وتقطع الارحام وفساد النظام.

(٣) ولقد سبق معاوية إلى مقام الخلافة وقد كان في قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله اليه، وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه وقد كانوا أحق الناس اليه.

(٤) الوشمة: الكلمة، وقد كان رضي الله عنه لايكتم شيئاً يحوك بنفسه: كان أماراً بمعروف، نهاء عن المنكر، لا يحابي، ولا يداري ولا يكذب، ولا يداجي

كَذَبْتُ كِذْبَةً ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهٰذَا الْمَقَامِ وَهٰذَا الْيَوْمِ . أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا ، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ[1] أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا ، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ[2] فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ[3]

وهذا القسم توطئة لقوله : ولقد نبئت بهذا المقام ، أي : انه قد اخبر من قبل على لسان النبي ﷺ بأن سيقوم هذا المقام ويأتي عليه يوم مثل هذا اليوم .

(١) الشمس - بضمتين وبضم فسكون - جمع شموس وهي من « شمس » كنصر أي منع ظهره ان يركب ، وفعل الخطيئة لما يقترفها لغاية زينت له يطلب الوصول اليها ، فهو شبيه بركوب فرس يجري به الى غايته ، لكن الخطايا ليست الى الغايات تصل ، فانها اعتساف عن السبيل واختباط في السير ، فقد شبهها بالخيل الشمس التي قد خلعت لجمها ؛ لأن من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة افلتت منه الى حيث ترديه وتقحم به في النار . وتشبيه التقوى بمطايا الذلل ظاهر ؛ فان التقوى تحفظ النفس من كل ما يمكنها عن صراط الشريعة ، فصاحبها على جادة لا يزال عليها حتى يوافي الغاية . والذلل . جمع ذلول ، وهي المروضة الطائعة السلسة القياد .

(٢) أي . ان ما يمكن ان يكون عليه الانسان ينحصر في امرين . الحق ، والباطل ، ولا يخلو العالم منهما . ولكل من الأمرين اهل : فللحق اقوام ، وللباطل اقوام ، ولئن امر الباطل - اي : كثر بكثرة اعوانه - فلقد كان منه قديماً لأن البصائر الزائغة عن الحقيقة اكثر من الثابتة عليها . ولئن كان الحق قليلاً بقلة انصاره فلربما غلبت قلته كثرة الباطل ، ولعله يقهر الباطل ويمحقه .

(٣) هذه الكلمة صادرة من صدر نفسه يستبعد بها ان تعود دولة لقوم بعد ما زالت عنهم . ومن هذا المعنى قول الشاعر :

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما ذوى نبت جنبيه وجف المشارع
فقلت : الى ان يرجع النهر جارياً ويعشب جنباه تموت الضفادع

قال السيد الشريف: أقول: إنّ في هذا الكلامِ الأدنى من مواقع الإحسانِ ما لا تبلُغُه مواقعُ الاستحسانِ، وإنّ حظَّ العجبِ منه أكثرُ من حظِّ العجبِ به، وفيه — مع الحالِ التي وصفنا — زوائدُ من الفصاحةِ لا يقومُ بها لسانٌ ولا يطّلِعُ فجّها إنسانٌ[1]. ولا يعرفُ ما أقولُ إلّا من ضربَ في هذه الصناعةِ بحقٍّ، وجرى فيها على عِرْقٍ[2]. «وما يعقلُها إلّا العالمونَ».

ومن هذه الخطبة [وفيها يقسم الناس الى ثلاثة]

شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ[3] سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا[4]. وَطَالِبٌ

---

(1) «لا يطلع» من قولهم اطلع الارض، أي بلغها، والفج الطريق الواسع بين جبلين في قبل من احدهما.

(2) العرق: الاصل، أي سلك في العمل بصناعة الفصاحة والصدور عن ملكتها على اصولها وقواعدها.

(3) «شغل» مبني للمجهول نائب فاعله «من»، و «الجنة والنار» مبتدأ خبره «امامه»، والجملة صلة من، أي: كفى شغلاً ان يكون الجنة والنار امامك ومن كانت امامه الجنة والنار — على ما وصف انه صحيحة — فحري به ان يستنفد اوقاته جميعها في الاعداد للجنة والابتعاد عما يؤدي الى النار.

(4) ينقسم الناس الى ثلاثة اقسام: الاول [الفائز بالسبق وهو]: الساعي الى ما عند الله السريع في سعيه، وهو الواقف عند حدود الشريعة لا يشغله فرضها عن نفلها، ولا شغلها عن سهلها. والثاني [المتجاذب بين الخير والشر]: الطالب البطيء له قلب تعمره الخشية، وله ميل الى الطاعة، ولكن ربما قعد به عن السابقين ميل الى الراحة فيكتفي من العمل بفرضه، وربما تنظر به غير وقته، وينال من الرخص حظه، وربما كانت له هفوات، وللشهوة روات على انه يرجع الى ربه، كثير الندم على ذنبه، فذلك الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فهو

بَطِيءٌ رَجَا، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى. الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ[1] عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ. هَلَكَ مَنِ ادَّعَى، وَخَابَ مَنِ افْتَرَى. مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ[2] وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ. لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ[3]،

يرجو أن يغفر له. والقسم الثالث: المقصر، وهو الذي حفظ رسم وسمى الاسم، وقال بلسانه إنه مؤمن، وربما شارك الناس فيما يأتون من أعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شبههما، وظن أن ذلك كل ما يطلب منه، ثم لا تزال شهوته مسترسلة لا عائق منه، ولا يميل به هواه إلى أمر إلا انتهى إليه، فذلك عند الهوى، وجدير به أن يكون في النار هوى.

(١) اليمين والشمال مثل لما زاغ عن جادة الشريعة، والطريق الوسطى مثل للشريعة القويمة، ثم بين أن الجادة والطريق الوسطى هي سبيل النجاة، جاء الكتاب هادياً إليها، والسنة لا تبعد إلا منها، فمن خالف الكتاب ونبذ السنة ثم ادعى أنه على الجادة فقد كذب، ولهذا يقول: خاب من ادعى، أي: من ادعى دعوة وكذب فيها ولم يكن عنده ما يدعيه إلا مجرد الدعوى فقد هلك لأنه مائل عن الجادة.

(٢) الرواية الصحيحة هكذا: من أبدى صفحته للحق هلك، أي من كاشف الحق مخاصماً له مصرحاً له بالعداوة هلك. ويروى: من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس، وعلى هذه الرواية يكون معنى: من ظاهر الحق ونصره غلبته الجهلة بكثرتهم — وهم أعوان الباطل — فهلك.

(٣) السنخ: المنبت، يقال: ثبتت السن في سنخها، أي منبتها. والأصل لكل شيء: قاعدته وما قام عليه بقيته، فأصل الجبل مثلاً سفحه الذي يقوم عليه أعلاه، وأصل النبات جذره الذاهب في منبته، وهلاك السنخ فساده حتى لا تثبت فيه أصول ما اتصل به، ولا يسمو غرس غرس فيه. وكل من ذهبت أصوله في أسناخ التقوى كان جديراً بأن تثبت أصوله وتسمو فروعه ويزكو بزكاء منبته ومغرس

وَلاَ يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ . فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ (١) ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ . وَلاَ يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلاَّ رَبَّهُ ، وَلاَ يَلُمْ لاَئِمٌ إِلاَّ نَفْسَهُ .

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

[وفيها : أبغض الخلائق الى الله صنفان]

الصنف الاول : إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلاَئِقِ إِلَى اللهِ رَجُلاَنِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ (٢) ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلاَمِ بِدْعَةٍ ، وَدُعَاءِ ضَلاَلَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ (٣) .

أصله ، وهو التقوى ، وكما أن التقوى سنخ لأصول الاعمال كذلك منها تستمد الاعمال غذاءها وتستقي ماءها من الاخلاص ، وجدير بزرع يسقى بماء التقوى ألا يظمأ . ونعت ، في الموضعين في معنى منفي . وقد يقال في قوله : سنخ أصل : انه على نحو قول القائل : اذا حاص عينيه كرى النوم ، والكرى هو النوم ، والسنخ هو الاصل . والأليق بكلام الامام ما قدمناه .

(١) [أي الزموها لتبتعدوا عن الاجتماع للسهرات والمفاخرات] .

(٢) وكله الله الى نفسه : تركه ونفسه ، وهو كناية عن دعائه خلف هواه فيما يعتقد ، لا يرجع الى حقيقة من الدين ولا يهتدي بدليل من الكتاب ، فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته . والمشغوف بشيء : المولع به [أي بلغ حبه شغاف قلبه وهو غلافه] ، وكلام البدعة : ما اخترعته الاهواء ولم يعتمد على ركن من الحق وثيق .

(٣) هذا الضال المولع بتنميق الكلام لتزيين البدعة الداعي الى الضلالة قد غرر

الصنف الثاني : وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً (١) مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ (٢) عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ ، عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ (٣) قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ (٤) حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ ،

نفسه وأوردها مهالكها فهو رهين خطيئته لا مخرج له منها ، وهو مع ذلك حامل خطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم ببدعته ، كما قال تعالى : (وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم)

(١) قمش جهلا : جمعه [وأصل القمش جمع المتفرق] ، والجهل هنا بمعنى المجهول ، كما يسمى المعلوم علماً عند قوم ، لأن العلم هو صورة الشيء في العقل ، وهو المعلوم حقيقة ، كذلك يسمى المجهول جهلاً ، لأن الصورة التي عنونت مثلاً لشيء وليست منطبقة عليه هي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق . فالجهل المجموع هو مسائل والقضايا التي يحسبها جامعها تحكي واقعاً ولا واقع لها .

(٢) « موضع في جهال الأمة » مسرع فيهم بالغش والتغرير . وضع البعير أسرع ، وأوضعه راكبه فهو موضع به : أي مسرع به . وقوله « عاد في أغباش الفتنة » الأغباش الظلمات [أو أوائلها] ، واحدها غبش بالتحريك ، وأغباش الليل بقايا ظلمته . وعاد بمعنى مسرع في مشيه ، أي أنه ينتهز افتتان الناس بجهلهم وعمههم في فتنتهم فيعدو في غيه من النفوذ فيهم والسيادة عليهم لما جمع من بعضه الجهالة عند وليس منه ، ويروى « غار في أغباش الفتنة » من « غره يغره » إذا غشه وهو ظاهر .

(٣) عم وصف من العمى ، أي جاهل بما أودعه الله في السكون والاطمئنان من المصالح [أي لا يبصر وجوه المصالح في الصلح والمسالمة بين الناس] ، وقد يراد بهدنة إهمال الله له في العقوبة وإملاؤه في أجله ، ولو عقل ما هيأ الله له من العقاب لأخذ من العلم بحقائقه ، وتوغل في النظر لفهم دقائقه ، ونصح لله ولرسوله وللمؤمنين .

(٤) [والمراد من أشباه الناس جهالهم لأنهم يشبهون الناس في أشكالهم ولا يشبهونهم في عقولهم وأخلاقهم] بكر : بادر إلى الجمع ، كالجاد في عمله يبكر إليه من

وَأَكْثَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ[1]، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ[2]، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ[3]، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ[4]: لاَ يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ؛ إِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ،

ولى النهار، فاستكثر: أي: اجتاز كثيراً «من جمع» بالتنوين، أي: مجموع قليله خير من كثيره إن جعلت ما موصولة، فإن جعلتها مصدرية كان المعنى قلته خير من كثرته. ويروى جمع بغير تنوين ولا بد من حذف على تلك الرواية، أي: من جمع شيء قلته خير من كثرته.

(1) الماء الآجن: الفاسد المتغير الطعم واللون، شبه به تلك المجهولات التي ظنها معلومات، وهي تشبه العلم في أنها صور قائمة بالذهن متكثرة من نوعه، كما أن الآجن من نوع الماء، لكن الماء الصافي ينقع الغلة ويغني من الأوار. والآجن يحبس العلة ويغري بشربه من الأوار. وأكثر: أي عد ما جمعه كثيراً، وهو غير طائل، أي دون خسيس.

(2) التخليص: التبيين، والتبس على غيره: اشتبه عليه [وكونه ضامناً لتخليص ما التبس على غيره أي أنه واثق من نفسه بفصل ما يعرض على الناس من المشكلات].

(3) المبهمات: المشكلات لأنها أبهمت عن البيان، كالمصمت الذي لم يجعل على ما في نفسه دليلاً. ومنه قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمة. والحشو: الزائد الذي لا فائدة فيه، والرث: الخلق البالي ضد الجديد، أي أنه يلاقي المبهمات برأي ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئاً، بل هو حشو لا فائدة له في بيانها، ثم يزعم بذلك تبيينها.

(4) الجاهل بالشيء: من لبس على نية منه فإذا أثبته عرضت له الشبهة في نفيه وإذا نفاه عرضت له الشبهة في إثباته، فهو في ضعف حكمه في مثل نسج العنكبوت ضعفاً، ولا بصيرة له في وجوه الخطأ والإصابة فإذا حكم لم يقطع بأنه مصيب أو مخطئ. وقد جاء الإمام في تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبير عنه.

جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاَتٍ، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ[1]، لَمْ يَعَضَّ عَلَى العِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ[2]، يُذْرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ[3]، لاَ مَلِيٌّ ـ وَاللهِ ـ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلاَ هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ[4]، لاَ يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلاَ يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ[5] لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وَتَعِجُّ

---

(١) خباط: صيغة مبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى، ومنه خبط عشواء. وشبه الجهالات بالظلمات التي يخبط فيها السائر، ويشار إلى التشبيه بالخبط والعشي الأعمى أو ضعيف البصر أو الخابط في الظلام، فيكون كالتأكيد لما قبله. والعشوات: جمع عشوة مثلثة الأول، وهي ركوب الأمر على غير هدى.

(٢) من عادة عاجم العود، أي مختبره ليعلم صلابته من لينه، أن يعضه، فلهذا ضرب المثل في الخبرة بالعض بضرس قاطع. أي: إنه لم يأخذ العلم اختباراً بل تناوله كما سولت الوهم وصور الخيال، ولم يعرضه على محك الخبرة ليتبين حق هو أم باطل.

(٣) الهشيم: ما يبس من النبت وتفتت، وأذرته الريح إذراء: أطارته وفرقته. ويروى يذرو الروايات كما تذرو الريح الهشيم، وهي أفصح، قال الله تعالى «فأصبح هشيماً تذروه الرياح»، وكما أن الريح في حال إطارتها الهشيم وتبديده لا تبالي بتمزيقه واختلال نسقه، كذلك هذا الجاهل يفعل في الروايات ما تفعل الريح بالهشيم.

(٤) الملي بالقضاء: من يحسنه ويجيد القيام عليه، وهذا لا ملي بإصدار القضايا التي ترد عليه وإرجاعها عنه مفصولاً فيها النزاع، مقطوعاً فيها الحكم. أي: غير قيم بذلك، ولا عنده فيه غناء الأمر الذي تصدر له. ويروى عن قتيبة بعد قوله لا ملي ـ والله ـ بإصدار ما ورد عليه (ولا هو أهل لما قرظ به، أي: مدح به) بدل ولا هو أهل لما فوض إليه.

(٥) [يعني أنه إذا غلب على ظنه حكم في القضية جزم به وقد يكون رأي غيره أقوى منه] اكتتم به أي كتمه وستره [لما يعلم من جهل نفسه].

مِنْهُ الْمَوَارِيثُ (1) إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً (2) وَيَمُوتُونَ ضُلاَّلاً ، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ (3) وَلاَ سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَلاَ أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلاَ عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ .

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

[وفيه يذم أهل الرأي ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن]

ذم أهل الرأي

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلاَفِهِ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ (4)

(1) العج رفع الصوت . وصراخ الدماء وعج المواريث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور [ونسبة الصراخ إلى الدماء والعجيج إلى المواريث حيث لدلالة صفتها بالظلم والشكوى وقد يكون بمعنى يجري في الدماء وفي المواريث] .

(2) إلى الله متعلق بأشكو ، وفي رواية إسقاط لفظ أشكو فيكون إلى الله متعلقاً بتعج . وقوله من معشر يشير إلى أولئك الذين قضوا جهلا .

(3) حق تلاوته : أخذ على وجهه وما يدل عليه في جملته وفهم كما كان النبي وأصحابه ﷺ يفهمونه . وأبور من بارت السلعة : كسدت . وأنفق من النفاق بالفتح وهو الرواج . وما أشبه حال هذا المعشر بالمعشر من أهل هذا الزمان .

(4) الإمام الذي استقضاهم : الخليفة الذي ولاهم القضاء .

فيصوّبُ آراءَهُم جميعاً – وإلهُهُم واحدٌ! ونبيُّهُم واحدٌ! وكتابُهُم واحدٌ! أفأمرَهُمُ اللهُ – سبحانَهُ – بالاختلافِ فأطاعوهُ؟ أم نهاهُم عنهُ فعصَوهُ؟

الحكم للقرآن

أم أنزلَ اللهُ ديناً ناقصاً فاستعانَ بهم على إتمامِهِ؟ أم كانُوا شركاءَ لهُ، فلهُم أن يقولُوا وعليهِ أن يرضى؟ أم أنزلَ اللهُ سبحانَهُ ديناً تامّاً فقصَّرَ الرسولُ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم عن تبليغِهِ وأدائِهِ، واللهُ سبحانَهُ يقولُ: (ما فرّطنا في الكتابِ من شيءٍ) وقال: (فيه تبيانٌ لكلِّ شيءٍ) وذكرَ أنَّ الكتابَ يُصدِّقُ بعضُهُ بعضاً، وأنَّهُ لا اختلافَ فيه فقالَ سبحانَهُ: (ولو كانَ من عندِ غيرِ اللهِ لوجدُوا فيهِ اختلافاً كثيراً) وإنَّ القرآنَ ظاهرُهُ أنيقٌ[1] وباطنُهُ عميقٌ، لا تفنى عجائبُهُ، ولا تُكشفُ الظُّلماتُ إلّا بهِ.

ومن كلام له عليه السلام

قاله للأشعث بن قيس[2] وهو على منبر الكوفة يخطب،

(١) [استدل أمير المؤمنين – عليه السلام – بثلاث آيات، الأولى على عدم النقصان والثانية على الوضوح مع التمام والثالثة على عدم الاختلاف والتناقض فلا يكمل بالرأي دين وصفه كذلك]. أنيق: حسن معجب [الرائع الحسن] وآنقني الشيء: أعجبني [وباطنه عميق أي لا يدرك أسراره إلا الراسخون في العلم].

(٢) [الأشعث بن قيس الكندي واسمه معديكرب وسمي الأشعث لشعث

فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك (١) فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال :

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ ، حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ (٢) مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ (٣) وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى (٤) فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا

رأسه وكان من أصحاب علي ثم خرج عليه ، وكان فاتكاً شجاعاً جميلاً وزوّج ابنته للحسن بن علي ثم ناولته السم الذي مات به]

(١) كان أمير المؤمنين يتكلم في أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد ؟ فصفق باحدى يديه على الأخرى ، وقال هذا جزاء من ترك العقدة ، فقال الأشعث ما قال ، وأمير المؤمنين يريد هذا جزاؤكم إذ تركتم الحزم وعصيتم وألجأتموني لقبول الحكومة

(٢) يقال ان الحائكين أنقص الناس عقلاً ، وأهل اليمن يعيرون بالحياكة والأشعث يمني من كندة قال خالد بن صفوان في ذم اليمانية ليس فيهم إلا حائك برد ، أو دابغ جلد ، أو سائس قرد ، ملكتهم امرأة وغرقتهم فأرة ، ودل عليهم هدهد .

(٣) كان الأشعث في أصحاب علي كعبد الله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله ﷺ كل منهما رأس النفاق في زمنه .

(٤) أسر مرتين : مرة وهو كافر في بعض حروب الجاهلية ، وذلك أن قبيلة مراد قتلت قيساً الأشج أبا الأشعث فخرج الأشعث طالباً بثأره فخرجت كندة متساندين على ثلاثة ألوية على أحدها كبش بن هانىء ، وعلى أحدها القشعم بن الأرقم ، وعلى أحدها الأشعث ، فأخطأوا مراداً ووقعوا على بني الحارث بن كعب فقتل كبش والقشعم وأسر الأشعث ، وفدي بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربي قبله ولا بعده فهذا معنى قول أمير المؤمنين [illegible] عنك من الأمر . وأما أسر الإسلام فذلك أن بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي ﷺ وقاتلهم زياد بن لبيد البياضي الأنصاري لجأوا الى الأشعث مستنصرين به فقال لا أنصركم حتى تملكوني ،

حَسْبُكَ ، وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ ، وَلَا يَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ(1)

[قال السيد الشريف : أراد بقوله : دل على قومه السيف : ما جرى له مع خالد بن الوليد باليمامة ، فإنه غرّ قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه (عُرف النار) وهو اسم للغادر عندهم].

ومن كلام له عليه السلام

[وفيه ينفر من الغفلة وينبه الى الفرار لله]

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ

فتوجهوه كما يتوج الأشعث من حضرموت ، فخرج معهم مرتداً فقاتل المسلمين وأمد أبو بكر زياداً بالمهاجر بن أبي أمية فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياماً ثم نزل إليهم على أن يؤمنوه وعشرة من أهله حتى يأتي أبا بكر فيرى فيه رأيه ، وفتح لهم الحصن فقتلوا كل من فيه من قوم الأشعث إلا العشرة الذين عزلهم وكان المقتولون ... ثم حملوه أسيراً مغلولاً إلى أبي بكر فعفا عنه وعمن كان معه وزوجه اخته أم فروة بنت أبي قحافة

(1) دلالة السيف — على قوله — وسوق الحتف إليهم تسليمهم لزياد بن لبيد ، ووضع الحد عليهم حتى قتلهم كما تقدم وإن كان الذي ينقل عن الشريف الرضي أن ذلك إشارة إلى وقعة جرت بين الأشعث وخالد بن الوليد في حرب المرتدين باليمامة ، وأن الأشعث دل خالداً على مكامن قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد ولكن ما نقله الشريف لا يتم إلا إذا قلنا إن بعض القبائل من كندة كانت انتقلت من اليمن إلى اليمامة وشاركت أهل الردة في حروبهم وفعل بهم الأشعث ما فعل . وعلى كل حال فقد كان الأشعث ملوماً على ألسنة المسلمين والكافرين ، وكان نساء قومه يسمينه عرف النار ، وهو اسم للغادر عندهم [ومقته الأقربون لأنه دل السيف على قومه وساق إليهم الحتف وحيث لا يأمنه قومه فإن البعيد أولى ألا يأمنه]

وَوَهِلْتُمْ(1) وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلٰكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ(2) وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، بِحَقٍّ أَقُولُ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ(3) وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ(4).

ومن خطبة له عليه السلام

[وهي كلمة جامعة للعظة والحكمة]

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ(5) وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ.

---

(1) الوهل: الخوف [والفزع]، من وهل يوهل.

(2) ما مصدرية، أي قريب طرح الحجاب، وذلك عند نزول الأجل، ونزول المرء في أول منازل الآخرة [والحجاب يراد به نفس البدن على الروح في الحياة الدنيا].

(3) جاهرتكم العبر: أصبحت أمامكم جهرة وصرحت لكم بعواقب أموركم، والعبر: جمع عبرة، والعبرة: الموعظة، لكنه أطلق اللفظ وأراد ما به الاعتبار مجازاً؛ فإن العبر التي جاهرتهم هي قوارع الوعيد المنصبة عليهم من ألسنة الرسل الإلهيين وخلفائهم. وما يشهدونه من تجاريب القدرة الربانية ومصادر العبرة الإلهية. [وفي كلمة العبر والزجر إلزام لهم بوجوب التنبه من الغفلة، والفرار إلى الله]

(4) رسل السماء: الملائكة، أي من بعد أن لم يأتنا عن الله نبي، فقد أبلغت عليكم الحجة بتبليغ رسول الله ومرشدي حقيقته.

(5) الغاية: الثواب أو العقاب، والنعيم والشقاء. فعليكم أن تعدوا للغاية ما يوصلكم إليها، ولا تستبطئوها فإن الساعة التي تصيبونها فيها — وهي يوم القيامة — آزفة إليكم فكأنها — في تقريب تحركها وتقليل المسافة بينها وبينكم — بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما تسيرون إليه.

تخففوا تلحقوا[1] فإنما ينتظر بأولكم آخركم[2]

قال السيد الشريف: أقول إن هذا الكلام لو وزن، بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، بكل كلام لمال به راجحاً، وبرز عليه سابقاً. فأما قوله عليه السلام «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة، وأنقع نطفتها من حكمة[3]! وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها.

ومن خطبة له عليه السلام

[حين بلغه خبر الناكثين ببيعته]

[وفيها يذم عملهم ويلزمهم دم عثمان ويتهددهم بالحرب]

ذم الناكثين

ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه[4]، واستجلب جلبه،

(١) تخففوا تلحقوا: قدمهم من الحق، من أراد اللحوق بهم فعليه أن يتخفف من أثقال الشهوات وأوزار الخطايا في تحصيل اللذات، ويقصر همه على هذه الصفات فيلحق بالذين فازوا بحقيقي الدار. وفيه الحث على التقوى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه.

(٢) أي: أن الساعة لا ريب فيها، وإنما ينتظر بالأول منكم لا يبعث فيها حتى يرد الآخرون وينقضي دور الإنسان من هذه الدنيا ولا يبقى على وجه الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا، وذلك يوم يبعثون.

(٣) من قولهم ماء نقع ونقيع أي ناجع أي يقطع العطش. والصحة بالفصل في [والكلمة جامعة إذ تبث الهمة من وجود الخلق وهي عدة عقد، وعرفت أن الناس في العادة ينتهي عند الموت، ومـا كان السفر واضحاً وجب التخفف للسبق والفوز، وبعد الموت الشامل للخلائق تكون القيامة الكبرى]

(٤) حثهم: وحضهم من قولهم «ذمر فلاناً تذكيراً» من بابي ضرب ونصر،

لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ (2). وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً (3).

دم عثمان

وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ: فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ (4)، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ. يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا! وَإِلَامَ أُجِيبَ (5)؟ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ.

التهديد بالحرب

فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ،

إذا أغراه به. والجلب - بالتحريك - ما يجلب من بلد إلى بلد، وهو فعل بمعنى مفعول مثل سلب بمعنى مسلوب، وجمع جلب أجلاب [أو هو خدعة من الدس].

(2) النصاب - بكسر النون - الأصل، أو المنبت وأول كل شيء [ويريد أنهم يرجعون بعملهم هذا للعصبية]

(3) النصف - بالكسر - العدل، والنصف، أي لم يحكموا العدل بيني وبينهم، أو لم يحكموا عدلا

(4) إذا فطمت الأم ولدها فقد انقضى رضاعها وذهب لبنها، مثل به طلب الأمر بعد فواته [أو مثل به [illegible]].

(5) من: استفهامية، وما محذوفة الألف لدخول إلى عليها كذلك، وهذا استفهام عن الداعي ودعوته تحقيرا لهما، والكلام في أصحاب الجمل، والداعي هو

وَنَاصِراً لِلْحَقِّ. وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنِ ابْرُزْ لِلطِّعَانِ، وَأَنِ اصْبِرْ لِلْجِلَادِ، هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ[1] لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ[2] وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَفِي غَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وتشمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة]

تهذيب الفقراء

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ[3] إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً[4] فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ

بعد الدلالة التي تقدم ذكرها في خطبة خلت عند الكلام في ذم البصرة [ويا خيبة الداعي خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة الى قتاله].

(1) هبلتهم: ثكلتهم، والهبول – بالفتح – من النساء التي لا يبقى لها ولد، وهو دعاء عليهم بالموت، لأن عدم معرفتهم بأقدار نفوسهم، فالموت خير لهم من حياة جاهلية.

(2) [يعني أنه منذ نشأ في خلال الحروب إنه خلق للحرب فهو لا يهاب من طعنه ثم ازداد اقداماً عليها لأنه على يقين من ربه في حقه وأنه لم تعتوره شبهة قط في دينه فكيف يهدد او يرهب من حاله كذلك؟]

(3) [وتشبيه أمر الرزق بالمطر وجهه أنه مقدّر مقسوم على الاماكن التي تسقط فيها].

(4) غفيرة: زيادة وكثرة.

فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ، كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ (١) الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ. إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ. إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ (٢) وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ

---

(١) الفالج: الظافر، فلج يفلج كنصر ينصر - ظفر وفاز. ومنه المثل: من يأت الحكم وحده يفلج. والياسر: الذي يلعب بقداح الميسر أي المقامر. وفي الكلام تقديم وتأخير، ونسقه كالياسر الفالج كقوله تعالى (وغرابيب سود)، وحسنه ان اللفظتين صفتان وإن كانت احداهما إنما تأتي بعد الاخرى إذا صاحبتها. يريد ان المسلم اذا لم يأت فعلاً دنيئاً يخجل لظهوره وذكره، ويبعث لئام الناس على التكلم به فقد فاز بشرف الدنيا وسعادة الآخرة، فهو شبيه بمقامر الفائز في لعبه لا ينتظر إلا فوزاً. أي: ان المسلم البريء من العيوب لا ينتظر الا احدى الحسنيين، إما نعيم الآخرة، او نعيم الدارين، فجدير به ألا يأسف على فوت حظ من الدنيا. فإن فاته ذلك لم يفته نصيبه من الآخرة، وهو يعلم ان الارزاق بتقدير رازقها، فهو أرفع من ان يحسد احداً على رزق ساقه الله اليه. وقوله «فاحذروا ما حذركم الله من نفسه» يريد احذروا الحسد، فإن صاحبه منتقص صنع الله تعالى ومستهجن بعض أفعاله، وقد حذرنا الله من جرأة على عظمته فقال: (وإياي فارهبون، وإياي فاتقون.) وما يعرف الكثرة من الآيات الدالة على ذلك.

(١) مصدر عذر تعذيراً لم يثبت له عذر، أي خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه الاعتذار.

رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللهِ يَكِلْهُ اللهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ [1]. نَسْأَلُ اللهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايَشَةَ السُّعَدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاءِ

تأديب الأغنياء

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ ـ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ ـ عَنْ عَشِيرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ [2] وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ. وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ [3] غَيْرَهُ

ومنها : أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ [4] ؛

---

(1) العامل لغير الله لا يرجو ثواب عمله من الله وإنما يطلبه ممن عمل له، فكأن الله قد تركه إلى من عمل له ووكل أمره إليه .

(2) حيطة كبيعة أي رعاية وكلاءة، ويروى حيطة ـ بكسر الحاء كبيئة، وسكون الياء ـ مصدر حاطه يحوطه، أي : صانه، وتعطف عليه : تحنن ، والشعث ـ محركة ـ التفرق والانتشار

(3) لسان الصدق: حسن الذكر بالحق ، وهو في القرابة أولى وأحق .

(4) الخصاصة : الفقر والحاجة الشديدة ، وهي مصدر خص الرجل ـ من باب علم ـ خصاصا ، وخصاصة ، وخصاصاء بفتح الخاء في الجميع إذا احتاج وافتقر، قال تعالى : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾، وقال الشاعر : * وإذا تصبك خصاصة فتجمل * ينهى أمير المؤمنين عن حرمان القريب إذا كان فقيراً ، ويحث على سد حاجته بالمال والمعونة فإن ما يبذله في سد حاجة القريب لو لم يصرفه في هذا السبيل وأمسكه لنفسه لم يزده في غناه أو في جاهه شيئاً، ولو بذله لم ينقصه من ذلك كذلك . ومعنى أهلكه : بذله .

وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ.

قال السيد الشريف: أقول: الغفيرة هنا الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجم الغفير، والجماء الغفير. ويروى «عفوة من أهل أو مال[1]» والعفوة الخيار من الشيء، يقال: أكلت عِفوةَ الطعام، أي خياره، وما أحسن المعنى الذي أراده عليه السلام بقوله: «ومن يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام» فَإِنَّ الْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا احْتَاجَ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَاضْطُرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ[2] قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ، وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدَ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهُضَ الْأَقْدَامِ الْجَمَّةِ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وهي كلمة جامعة له، فيها تسويغ قتال المخالف والدعوة الى طاعة الله والترقي فيها لضمان الفوز]

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ فِي قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ[3] فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَفِرُّوا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ،

---

(١) [العِفوة – بكسر العين – من كل شيء صفوته].

(٢) المرافدة: المعاونة.

(٣) الادهان: المداهنة والمصانعة، ولا محو من محانه الصهر للدحص والغش

وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ (١) فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلاً، إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً (٢).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تواترت (٣) عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن، وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران (٤) لما غلب عليهما بسر بن أبي أرطاة (٥) فقام عليه السلام على المنبر ضجرا

والإيهان: الدخول في الوهن، وهو من أوهن نحو أضعفه وهو هنا عبارة عن التستر والختل، وقد يكون مصدر وهنه بمعنى أضعفه، أي: لا يعرض على ضعفه ما يضعفني. وخابط الغي والغي يخبطه وهو أشد اضطرابا ممن يخبط في الغي [والامام عليه السلام يرى في قوله هذا أنه في غير حاجة لمداهنة مخالفيه حتى يلبسوا بصيصته ولا هو عاجز عنهم].

(١) عصبه بكم من باب ضرب ربطه بكم أي: كلفكم به، وألزمكم أداءه. ونهجه لكم: أوضحه وبينه.

(٢) فلجكم: أي ظفركم وفوزكم.

(٣) تواترت عليه الأخبار: تتابعت وتلاحقت واتصلت. ومن الناس من زعم أن التواتر لا يكون إلا مع فترات بين أوقات الإتيان، وزعم أن قوله تعالى: «ثم أرسلنا رسلنا تترى» يدل على ذلك لأن بين كل نبيين فترة.

(٤) [سعيد بن نمران كان أمير الجند لعلي على صنعاء وقد ثار الجند عليه فعزلوه لما بلغهم مقتل محمد بن أبي بكر والي علي على مصر].

(٥) يقال بسر بن أبي أرطاة وبسر بن أرطاة، وهو عامري من بني عامر بن لؤي بن غالب، سيره معاوية بن أبي سفيان بعسكر كثيف، فأراق دماء غزيرة، واستكره الناس على البيعة لمعاوية، وفر من بين يديه والي المدينة أبو أيوب الأنصاري، ثم وجه وأتى على اليمن فغلب عليها، وهرب منها عبيد الله بن العباس [وسعيد]، وهرب عبيد الله هاربا من شره، فأتى بسر بيته فوجد له ولدين صبيين فذبحهما، [illegible] — قبح الله القسوة وما تصنع! — ويروى أنه ذبح في بني كنانة

بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي، فقال:

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا(١). إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ(٢) فَقَبَّحَكِ اللهُ!

وتمثل بقول الشاعر

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي ... عَلَى وَضَرٍ - مِنْ ذَا الْإِنَاءِ - قَلِيلِ(٣)

ثم قال عليه السلام

أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ(٤)، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ

أعوام، وكان أبوهما تركهما عنده، وفي ذلك تقول زوجة عبيد الله:

ها من أحس بابنيّ اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس بابنيّ اللذين هما ... قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
من دل والهة حرى مدلهة ... على صبيين ذلا إذ غدا السلف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا ... من قتلهم ومن الإفك الذي اقترفوا

وروي هذه الأبيات بروايات فيها تغيير وزيادة ونقص [وتقديم وتأخير
وقيل إنه لما قدم عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران على علي بالكوفة لامهما على
تركه حرب بسر فاعتذرا بضعفهم عنه].

(١) أقبضها وأبسطها: أي أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب في ثوبه يقبضه أو يبسطه [وهذا الكلام تحقير لما هو فيه من أمر لأنه يريد التصرف في أمر الكوفة حقير بالنسبة إلى البلاد التي استولى عليها الخصوم].

(٢) الأعاصير: جمع إعصار، وهي ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود، أو كل ريح فيها العصار وهو الغبار الكثير. يريد: إن لم يكن لي ملك الكوفة على ما فيها من الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله، وشبه الاختلاف والشقاق بالأعاصير لإثارتها التراب وإفسادها الأرض.

(٣) الوضر - بالتحريك - غسالة السقاء والقصعة، وبقية الدسم في الإناء، وتقول: وضر الإناء - من باب طرب - إذا اتسخ بالدسم أو نحوه.

(٤) اطلع اليمن: بلغها وتمكن منها وغشيها بجيشه.

الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ : بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ[1] ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ . فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ[2] ! اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي ، اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ[3] ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ[4] .

---

(١) سيدالون منكم : سيكون لهم الدولة بدلكم ، بسبب ذلك السبب القوي ، وهو اجتماع كلمتهم ، وطاعتهم لصاحبهم ، وأداؤهم الأمانة ، وصلاحهم بلادهم . وهو يشير إلى أن هذا السبب متى وجد كان النصر والقوة معه ، ومتى ذهب فقد ذهبت القوة والعزة بذهابه . فالحق ضعيف بتفرق أنصاره ، والباطل قوي بتضافر أعوانه .

(٢) القعب – بالضم – القدح الضخم . وعلاقته – بكسر العين – ما يعلق منه من ليف أو نحوه .

(٣) مث قلوبهم – أذبها ، مثه يميثه : ذابه ، أي : أذابه .

(٤) بنو فراس بن غنم بن حرب بن مدركة بن إلياس بن مضر [حي من تغلب] أو هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حي مشهور بالشجاعة ، ومنهم علقمة بن فراس وهو جذل الطعان ، ومنهم ربيعة بن مكدم ، حامي الظعن حياً وميتاً ، ولم يحم الحريم أحد وهو ميت غيره . عرض له فرسان من بني سليم ومعه ظعن من أهله يحميهن وحده فرماه أحد الفرسان بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه في الأرض واعتمد عليه وأشار إليهن بالمسير فسرن حتى بلغن بيوت الحي وبنو سليم قيام ينظرون إليه لا يتقدم أحد منهم نحوه خوفاً منه حتى رموا فرسه بسهم فوثبت من تحته فسقط وقد كان ميتاً .

هُنَالِكَ، لَوْ دَعَوْتَ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَـــةِ ٱلْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر.

قال السيد الشريف: أقول: الأرمية جمع رمي وهو السحاب، والحميم هها: وقت الصيف، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفوقا [1] لأنه لاماء فيه. وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء، وذلك لا يكون في الأكثر إلا زمان الشتاء، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا، والإغاثة إذا استغيثوا، والدليل على ذلك قوله: «هنالك لو دعوت أتاك منهم ...»

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له]

العرب قبل البعثة

إنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ نذيراً لِلعالمينَ، وأميناً على التَّنزيلِ، وأنتم معشرَ العربِ على شَرِّ دينٍ، وفي شَرِّ دارٍ، مُنيخونَ بين حجارةٍ خُشْنٍ، وحيَّاتٍ صُمٍّ [2] تشربونَ

(1) مصدر غريب لخف بمعنى انتقل وارتحل مسرعاً، والمصدر المعروف خفا

(2) [الاناخة المقام] الخشن: جمع خشناء من الخشونة، ووصف الحيات بالصم لأن أخبثها لا ينزجر [بالأصوات كأنها لا تسمع]، وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفر والقاظ، فأكثر أراضيها حجرية خشنة غليظة، ثم انه يكثر فيها الأفاعي والحيات، وقد نقلهم الله منها إلى الريف وهي ما نهد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها.

الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الجَشِبَ (1)، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ. الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ (2).

منه قبل البيعة له، منها

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ المَوْتِ (3)، وَأَغْضَيْتُ عَنِ القَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الكَظَمِ (4) وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ العَلْقَمِ.

ومنها: وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى البَيْعَةِ ثَمَناً (5) فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ البَائِعِ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ المُبْتَاعِ (6)، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا،

---

(1) الجشب: الطعام الغليظ، أو ما يكون منه بغير أدم.

(2) معصوبة: مشدودة، تمثيل للزومها لهم، وقد جمع في وصف حالهم بين فساد المعيشة وفساد العقيدة والملة.

(3) [ثم بين هنا أن العباس وبنيه قد ضنّ بهم على الموت لزمه الاغضاء على القذى والشرب على الشجى].

(4) الكظم بالتحريك وبضم فسكون: الحلق، أو الفم، أو مخرج النفس، والكل صحيح هنا. والمراد أنه صبر على الاختناق، وأغضيت: غضضت طرفي على قذى في عيني، وما أغضيت أي غمضت الطرف على قذى في العين. والشجا: ما يعترض في الحلق. وكل هذا تمثيل للصبر على مضض الذي ألم به من حرمانه حقه وتألب القوم عليه.

(5) يعني بمبايعه عمرو بن العاص، فإنه شرط على معاوية أن يوليه مصر لو تم له الأمر.

(6) [خزيت أي ذلت وهانت والمتاع للمشتري والأمانة هي حقوق المسلمين في البلاد التي فتحوها والأموال].

وَٱسْتَشْعِرُوا ٱلصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى ٱلنَّصْرِ (١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا . وفيها يذكر فضل الجهاد ويستنهض الناس ويذكر علمه بالحرب ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته]

فضل الجهاد

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ فَتَحَهُ ٱللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ (٢) ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَى ، وَدِرْعُ ٱللهِ ٱلْحَصِينَةُ ، وَجُنَّتُهُ ٱلْوَثِيقَةُ (٣) فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ وَشَمْلَةَ ٱلْبَلَاءِ ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَٱلْقَمَاءِ (٤) وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ (٥) ، وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ ، وَسِيمَ ٱلْخَسْفَ (٦) وَمُنِعَ ٱلنَّصَفَ .

(١) [استشعار الصبر اتخاذه شعاراً كما يلازم الشعار الجسد] .

(٢) [الجهاد من أبواب الجنة أي يدخل إليها منه ، وخاصة الأولياء الخاصون له في المحبة والعبادة] .

(٣) جنته - بالضم - وقايته [والجنة كل ما استترت به] .

(٤) ديث مبني للمجهول من ديثه ، أي ذلله ، وقمؤ الرجل كجمع وككرم قماءة وقماءة بزنة رحمة وسحابة - أي ذل وصغر [والصغار الذل] .

(٥) الأسداد جمع سد ، يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد . قال الله (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ويروى بالإسهاب وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام ، أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة [والتعبير بضرب الأسداد يراد منه الإحاطة والشمول] .

(٦) أديل الحق منه ، أي ، صارت الدولة للحق بدله ، وسيم الخسف ؛ أي ، أولي الخسف وكلفه ، والخسف الذل والمشقة أيضاً . والنصف بالكسر وبالتحريك العدل ومنع مجهول ، أي حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه .

أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا (1) فَتَوَاكَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ. وهذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ (2) وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا (3) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَاثَهَا (4) مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ (5) ثُمَّ

(1) عقر الدار ـ بالضم ـ وسطها وأصلها. وتواكلتم: وكل كل منكم الأمر إلى صاحبه، أي لم يتوله أحد منكم بل أحاله كل على الآخر ومنه يوصف الرجل بالوكل، أي العاجز، لأنه يكل أمره إلى غيره. وشنت الغارات: فرقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقاً دفعة بعد دفعة. وما كان ارسالا غير متفرق يقال فيه: سن بالمهملة

(2) أخو غامد: هو سفيان بن عوف، من بني غامد، قبيلة من اليمن من أزد شنوءة، بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلاً على أهله. والأنبار: بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات ويقابلها على الجانب الغربي هيت.

(3) جمع مسلحة ـ بالفتح ـ وهي الثغر والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء، وفي الحديث «كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب».

(4) المعاهدة: الذمية. والحجل ـ بالكسر، وبالفتح وبكسرين ـ خلخالها. والقلب ـ بالضم كقفل ـ: سوارها. والرعاث: جمع رعثة ـ بالفتح ويحرك ـ: القرط. ويروى رعثها ـ بضم الراء والعين ـ جمع رعاث، وجمع رعثة [وهو أيضاً ضرب من الخرز].

(5) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء [مع القول: إنا لله وإنا إليه راجعون]

انصرفوا وافرين(١) ما نال رجلاً منهم كَلْمٌ، ولا أُريق لهم دمٌ؛ فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً؛ فيا عجباً: عجباً ـ والله ـ يميت القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم. فقبحاً لكم وترحاً(٢) حين صرتم غرضاً يُرمى. يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزَون ولا تَغزون، ويُعصى الله وترضون؛ فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الصيف قلتم: هذه حمارّة القيظ(٣) أمهلنا يُسبّخ عنّا الحرّ(٤) وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارّة القرّ(٥) أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كلّ هذا فراراً من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والبرد

والاسترحام: أن تناشده الرحم.

(١) وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم، والكلم ـ بالفتح ـ الجرح.

(٢) ترحاً ـ بالتحريك ـ أي: همّاً وحزناً أو فقراً، والغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها. فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب لا يدفعون. وقوله «ويعصى الله» يشير به إلى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين وأهل الذمة، ثم أهل العراق راضون بذلك إذ لو غضبوا لهمّوا بالمدافعة.

(٣) حمارّة القيظ ـ بتشديد الراء وقد تخفف في ضرورة الشعر ـ شدة الحر.

(٤) التسبيخ ـ بالخاء المعجمة ـ التخفيف والتسكين.

(٥) صبارّة الشتاء ـ بتشديد الراء ـ: شدة برده، والقرّ ـ بالضم ـ البرد، وقيل: هو برد الشتاء خاصة؛ أما البرد فعام فيه وفي الصيف، وتقول: قرّ يومنا ـ من باب ضرب ـ أي: برد؛ وتقول: قُرّ فلان ـ مبني لما لم يسم فاعله ـ قرّاً ـ بفتح القاف وكسرها ـ إذا أصابه القرّ وهو البرد.

تُدِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ[1].

البرم بالناس

يا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الحِجَالِ[2] لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ! مَعْرِفَةً وَاللهِ جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعْقَبَتْ سَدَماً[3] قَاتَلَكُمُ اللهُ![4] لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً[5] وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالعِصْيَانِ وَالخِذْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلٰكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ.

لِلّٰهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي[6]! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَا

(١) [والتفضيل لأنه لا مناسبة لشدة الحر والبرد مع القتل والمجالدة بالسيف]

(٢) الحجال: جمع حجلة، وهي القبة، وموضع يزين بالستور، والثياب للعروس. وربات الحجال: النساء. [وقد ذمهم بثلاث صفات: الأولى نفي الرجولة عنهم والثانية نفي عقولهم والثالثة إلحاقهم بالنساء بعدم تحملهن المحن والحروب].

(٣) السدم - محركة -: الهم مع أسف أو غيظ وفعله كفرح، والقيح: ما في القرحة من الصديد، وفعله كباع، وشحنتم صدري: ملأتم.

(٤) [قاله - أمير المؤمنين - يدعو عليهم ويبين أسباب غضبه عليهم].

(٥) النغب: جمع نغبة كجرعة وجرع لفظاً ومعنى، والتهمام - بالفتح -: الهم، وكل تفعال فهو بالفتح، إلا التبيان والتلقاء فهما بالكسر. وأنفاساً: أي جرعة بعد جرعة، [أي لم تعد أنفاسه إلا هماً يتجرعه، والتعبير بالقيح دلالة على بلوغ الجرح غايته].

(٦) مراساً: مصدر مارسه ممارسة ومراساً، أي عالجه، وزاوله وعاناه.

قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ (١)، وَلٰكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ!

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

[وهو فصل من الخطبة التي أولها الحمد لله غير مقنوط من رحمته]

[وفيه احد عشر تنبيهاً]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ (٢)، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلاَعٍ، أَلاَ وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ (٣) وَغَداً السِّبَاقُ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ (٤) وَالْغَايَةُ النَّارُ؛ أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ

---

(١) ذرفت على الستين: زدت عليها، وروى المبرد «نيفت» وهو بمعناه، وفي الخطبة روايات أخرى لا تختلف عن رواية الشريف في المعنى، وإن اختلفت عنها في بعض الألفاظ، أنظر الكامل للمبرد.

(٢) آذنت: أعلمت، وإيذانها بالوداع بما هو ما أودع في طبيعتها من التقلب والتحول، فأول خطرة من العقل فيها تخطر له اليقين بفنائها وانقضائها، وليس وراء الدنيا إلا الآخرة، فإن كانت الأولى مودعة فالأخرى مشرفة، والاطلاع: من «اطلع فلان علينا» أتانا فجأة.

(٣) المضمار: الموضع والزمن الذي تضمر فيه الخيل، وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن، ثم يقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل [ثم ترد الى القوت، والمدة اربعون يوماً] وقد يطلق التضمير على العمل الاول او الثاني، واطلاقه على الاول لأنه مقدمة للثاني، وإلا فحقيقة التضمير إحداث الضمور، وهو الهزال وخفة اللحم، وإنما يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم السباق، كما أننا نعمل اليوم في الدنيا للحصول على السعادة في الآخرة [وقد كنى عليه السلام باليوم عن عمر الانسان في الدنيا وعلى هذا رفع المضمار لأنه خبر إن ورفع السباق لأنه مبتدأ].

(٤) السبقة - بالتحريك - الغاية التي يجب على السابق ان يصل اليها وبالفتح المرة من السبق. والشريف رواها في كلام الامام بالتحريك او الفتح وفسرها بالغاية المحبوبة، او المرة من السبق. وهو مطلوب هنا، وروى الضم بصيغة رواية

قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ (١)؟ أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ (٢) مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ، وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَضَرَّهُ أَجَلُهُ. أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ (٣)، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا (٤)، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضْرُرْهُ الْبَاطِلُ (١)، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى

أخرى. ومن معاني السبقة — بالتحريك — الرهن الذي يوضع من المتراهنين في السباق، أي الخطر الذي يأخذه السابق. إلا أن الشريف فسرها بما تقدم.

(١) [والتوبة: تحول النفس العاقلة عن متابعة النفس الأمارة بالسوء] البؤس بالضم: اشتداد الحاجة، وسوء الحالة، ويوم البؤس: يوم الجزاء مع الفقر من الأعمال الصالحة، والعامل له هو الذي يعمل الصالح ليبعد من البؤس في ذلك اليوم.

(٢) يريد الأمل في البقاء واستمرار الحياة.

(٣) رهبة — بالفتح — هي مصدر رهب الرجل — من باب علم — رهبا، بالفتح وبالتحريك ورهبانا بالتحريك وبالضم — ومعناه: خاف، أي: اعملوا لله في السراء كما تعملون له في الضراء، لا تصرفكم النعم عن خشيته والخوف منه [وهو تنبيه من الإمام على وجوب التسوية بين العمل في الرغبة والعمل في الرهبة]

(٤) [في العبارة تجوز أي لم أر نعمة كالجنة . ولا نقمة كالنار ...] من أعجب العجائب الذي لم ير له مثيل أن ينام طالب الجنة في عظمها واستكمال أسباب السعادة فيها، وأن ينام الهارب من النار في هولها واستجماع أسباب الشقاء.

(١) النفع الصحيح كله في الحق. فإن قال قائل: إن الحق لم ينفعه فالباطل أشد ضررا له، ومن لم يستقم به هدى مرشد إلى الحق — أي لم يصل به إلى مطلوبه من السعادة — جرى به الضلال إلى الردى والهلاك [ولعل مراده بالحق الإقبال على الله بلزوم الأعمال الصالحة والمراد بالباطل الالتفات عنه].

يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ (1) ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ . اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَداً (2) .

قال السيد الشريف — رضي الله عنه — : أقول : لو كان كلامٌ يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، وكفى به قاطعا لعلائق الآمال ، وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ، ومن أعجبه قوله عليه السلام « أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ وَغَداً السِّبَاقُ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ » فإن فيه — مع فخامة اللفظ ، وعظم قدر المعنى ، وصادق التمثيل ، وواقع التشبيه — سراً عجيبا ، ومعنى لطيفاً . وهو قوله عليه السلام : « والسَّبَقَةُ الجنة ، والغاية النار » فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ، ولم يقل « السبقة النار » كما قال « السبقة الجنة » ؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب ، وغرض مطلوب ، وهذه صفة

(1) [ان من لم يهده الهدى بالعلم والايمان على الطريق المستقيم فلا بد وان ينحرف به ضلاله عن سواء السبيل] والظعن — بالفتح ، وبالتحريك — الرحيل عن الدنيا ، وفعله كقطع ، وأمرنا به أمر تكوين ، أي كما خلق الله فينا أن نرحل عن حياتنا الاولى لنستقر في الاخرى ، والزاد الذي دلنا عليه هو عمل الصالحات ، وترك السيئات .

(2) تحرزون أنفسكم تحفظونها من الهلاك الابدي ، ويقال : حرز نفسه — كنصر — او هذا إبدال والأصل حرس بالسين فأبدلت زايا ، وتقول : حرز فلان ككرم ، إذا تحصن ، وحرز كفرح ، إذا كثر ورعه .

الجنة وليس هذا المعنى موجوداً في النار نعوذ بالله منها، فلم يجز أن يقول «والسبقة النار» بل قال «والغاية النار»، لأن الغاية ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء ومن يسره ذلك، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل، قال الله تعالى: (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم - بسكون الباء - إلى النار، فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد. وكذلك أكثر كلامه عليه السلام، وفي بعض النسخ: وقد جاء في رواية أخرى «والسُّبقة الجنة» بضم السين. والسبقة عندهم: اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض، والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم، وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

ومن خطبة له عليه السلام

[بعد غارة الضحاك بن قيس (1) صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين]

[وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف]

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ (2)،

---

(1) [الضحاك بن قيس بن ثعلبة بن محارب بن فهر. اتخذه معاوية من قواده واستعمله على الكوفة بعد زياد بن أبيه، ثم صار بعد ذلك مع ابن الزبير فقاتل مروان ابن الحكم يوم مرج راهط وهو على قيس كلها فقتله مروان].

(2) أهواؤهم: آراؤهم وما تميل إليه قلوبهم. والأهواء: جمع هوى، بالقصر، وأصله إرادة النفس وما تميل إليه محموداً كان أو مذموماً، ثم غلب في الاستعمال على غير المحمود.

كَلَامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلَابَ (1) وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الْأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ فِي مَجَالِسِكُمْ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ (2)! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ (3) أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ (4) دِفَاعَ

---

(1) الصم: جمع أصم، وهو من الحجارة الصلب المصمت، والصلاب: جمع صليب، والصليب: الشديد، وبابه ظريف وظراف وضعيف وضعاف. ويوهيها: يضعفها ويفتتها. ويقال: وهى الثوب، ووهى يهي وهيا - من باب ضرب وحسب - تخرق وانشق، وأوهاه يوهيه إيهاء: شقه وخرقه؛ أي: تقولون من الكلام ما يفلق الحجر لشدته وقوته، ثم يكون فعلكم من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو! [ويقال: إنه استعار صفة الحجرة للقلوب التي تضعف من [illegible]

(2) [كانوا يقولون في مجالسهم إنا سنفعل بخصومنا كذا وكذا]. كيت وكيت - بكسر آخرهما - كلمتان لا تستعملان إلا مكررتين، إما مع واو العطف، وإما بدونها. وأصل تائهما هاء، وربما قيل: كيه كيه، ومعناهما كذا وكذا، وقيل: كيت كيت كناية عن الحديث، وذيت ذيت كناية عن الفعل، وكذا كذا كناية عن العدد، تقول: قال فلان كيت كيت، وفعل ذيت ذيت، وأخذ كذا وكذا درهما. وحيدي حياد: كلمة يقولها الهارب، كأنه يسأل الحرب أن تتنحى عنه [مريدين لتكرارها]، من الحيدان، وهو الميل والانحراف عن الشيء، وحياد: مبني على الكسر كما في قولهم: فيحي فياح، أي: اتسعي، وحمي حمام: للداهية [أي هي من أسماء الأفعال كنزال]، أي: إنهم يقولون في المجلس سنفعل بالأعداء ما نفعل، فإذا جاء القتال فروا وتقاعدوا [وحيدي حياد كلمة كان يقولها العرب عند الفرار فهي من مصطلحات كلامهم].

(3) أي: من دعاكم وحملكم بالترغيب على نصرته لم تعز دعوته لتخاذلكم، فإن قاساكم وقهركم انتقضوا عليه فتعبوه. والأعاليل: إما جمع أعلال جمع علل جمع علة [ما يتعلل به من مرض وغيره]، أو جمع أعلولة. كما أن الأضاليل جمع أضلولة والأضاليل متعلقة بالأعاليل، أي: إنكم تتعللون بالأباطيل التي لا جدوى لها.

(4) [أي تطويل الموعد والمطل فيه].

ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ [1] لاَ يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ . وَلاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ [2] ؟ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ الْمَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ ـ وَاللهِ ـ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ [3] ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ [4] أَصْبَحْتُ وَاللهِ لاَ أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ ، وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ،

---

(١) أي : أنكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه ، والمطول : الكثير المطل ، وهو تأخير أداء الدين بلا عذر [ولا تخفى قوة التشبيه إذ المدين المطول يشتهي أبداً عدم المطالبة ويودّ نفسه ألا يراه غريمه وقد عقب الإمام على ذلك بقوله : « لا يمنع الضيم الذليل » ليسلمهم إلى سوء عملهم] . وقوله « لا يمنع الضيم ـ الخ » أي : أن الذليل الضعيف البأس الذي لا منعة له لا يمنع ضيماً ، إنما يمنع الضيم القوي العزيز

(٢) [يريد الإمام دار الإسلام] .

(٣) فاز بكم : من « فاز بالخير » إذا ظفر به ، أي : من ظفر بكم وكنتم نصيبه فقد ظفر بالسهم الأخيب ، وهو من سهام الميسر الذي لا حظ له [ولا تخفى دقة التشبيه بالميسر لكثرة خسارته] .

(٤) الأفوق من السهام : مكسور الفوق ، والفوق : موضع الوتر من السهم ، والناصل : العاري عن النصل [ولا تخفى طيش السهم الذي لا فوق له ولا نصل فإنه لا يكاد يتجاوز عن القوس مرسله] أي : من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى ، وإن رمى به لم يصب مقتلاً إذ لا نصل له . وهذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين عند إغارة الضحاك بن قيس ؛ فإن معاوية لما سمع فساد الجند على أمير المؤمنين دعا الضحاك بن قيس وقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدت من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه ، وإن وجدت له خيلاً أو مسلحة فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى . ولا تقيمن لخيل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقها فتقاتلها . وسرحه في ثلاثة آلاف ، فأقبل الضحاك ينهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب ، ثم لقي عمرو بن عميس بن

وَلَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ! مَا بَالُكُمْ؟! مَا دَوَاؤُكُمْ؟! مَا طِبُّكُمْ؟! الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ؟!(1) وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟! وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!(2).

ومن كلام له عليه السلام

في معنى قتل عثمان

[وهو حكم له على عثمان وعليه وعلى الناس بما فعلوا وبراءة له من دمه]

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً(3) غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ

مسعود الذهلي فقتله — وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود — وجيء بالخاتم، وقتل منهم وهم على طريقهم عند القطقطانة، فبلغ ذلك أمير المؤمنين، وأخذ يستنهض الناس إلى الدفاع عن ديارهم، وهم يتخاذلون، فوبخهم بما تراه في هذه الخطبة، ثم دعا حجر بن عدي فسيره إلى الضحاك في أربعة آلاف، فقاتله، فانهزم فاراً إلى الشام بعد أن قتل وجيء.

(1) [يعيب الإمام عليهم أنهم يقولون بغير علم والمراد بالعلم هنا الاعتقاد والإخلاص لله، فهم يقولون في مجالسهم ما لا يفعلون].

(2) [وذلك بخلاف العفة عن الدنيا مع الورع فهي صفة المؤمن وأما الطمع في غير حق فيريد به الإمام أنهم يوم أعطيتهم كانوا يطمعون بزيادة].

(3) يقول: إنه لم يأمر بقتل عثمان، ولا كان قاتلاً له، مع أنه بريء من قتله، ولم ينه عن قتله — أي لم يدافع عنه بسيفه، ولم يقاتل دونه — ولا كان ناصراً له. أما نهيه عن قتله بلسانه فهو ثابت، وهو الذي أمر الحسن والحسين أن يذبّا الناس عنه [والحق كان له أن يقول إن نهيه عن قتله بلسانه فهو ثابت، وأما بعمله فهو إرساله ولديه للذب عنه ومن الخطأ أن يفهم من ظاهر القول بأن علياً لم يأمر بقتله ولم ينه عنه — لأن دم عثمان صدر عنه من الأمور الجانحة ولكنه لم يأمر بقتله قطعاً ولم يمكنه الدفاع عنه مع ثورة الرأي العام حيث ذاك ولا يدخل ذلك

وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي(1) وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ: اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ(2) وَلِلّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ(3).

ومن كلام له عليه السلام

[لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل(4)]

لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ(5) يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ. وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ

في الأمور لماحة].

(1) أي: ان الذين نصروه ليسوا بأفضل من الذين خذلوه، فلا يستطيع ناصره أن يقول: إني خير من الذي خذله، ولا يستطيع خاذله أن يقول: إن الناصر خير مني، يريد أن القلوب متفقة على أن ناصريه لم يكونوا في شيء من الخير الذي يفضلون به على خاذليه

(2) أي: أنه استبد عليكم فأساء الاستبداد، وكان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم، وجزعتم لاستبداده فأسأتم الجزع، أي: لم ترفقوا في جزعكم، ولم تقفوا عند الحد الأولى بكم، وكان عليكم أن تقتصروا على الشكوى ولا تذهبوا في الاساءة الى حد القتل. ولله حكمه في المستأثر وهو عثمان، وفي الجازع وهو أنتم: فاما آخذه وآخذكم، أو عفا عنه وعفا عنكم، والأثرة - بفتحات - الاسم من قولهم «استأثر بالشيء» إذا استبد به وخص نفسه به.

(3) [ونسبة الحكم في المستأثر والجازع لله براءة لعلي من دم عثمان ويحتمل انه يريد الحكم اللاحق في الآخرة من الثواب والعقاب لكل من القتلة والمقتول].

(4) «يستفيئه» أي: يسترجعه [من فاء: رجع].

(5) ويروى «لا تلقينه» الأولى بالقاف والثانية بالفاء من «ألفاه يلفيه» وهي بمعنى تجده. و«عاقصاً قرنه» من «عقص الشعر» إذا ضفره وفتله ولواه، وهو تمثيل له في تغطرسه وتكبره وعدم انقياده. و«يركب الصعب» يستهين به ويزعم انه ذلول سهل [والصعب الدابة الجموح].

فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً[1] فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ٱبْنُ خَالِكَ[2] : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا[3] .

قال السيد الشريف : وهو — عليه السلام — أول من سمع منه هذه الكلمة ، أعني : « فما عدا مما بدا » .

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها يصف زمانه بالجور ويقسم الناس فيه خمسة اصناف ثم يزهد في الدنيا]

معنى جور الزمان

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ[4] يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً ، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى

(١) العريكة : الطبيعة ، [والخلق ، وأصل العَرْك : دلك الجلد بالدباغ وغيره] وعرفه بالحجاز : أطاعه فيه حيث عقد له البيعة . وأنكره بالعراق حيث خرج عليه وجمع لقتاله .

(٢) [وعلي ابن خال الزبير لأن أبا طالب وصفية أم الزبير من اولاد عبد المطلب بن هاشم] .

(٣) عدا الأمر : صرفه ، وبدا : ظهر ، و « من » هنا بمعنى عن . نقل ابن قتيبة « حدثني فلان من فلان » أي ، عنه ، أي ، ما الذي صرفك عما كان بدا وظهر منك [من طاعتي وبيعتي] .

(٤) العنود : الجائر من « عند يعند » كنصر ، جار عن الطريق وعدل ، والكنود ، الكفور ، ويروى « وزمن شديد » اي ، بخيل كما في قوله تعالى (وإنه لحب الخير لشديد) اي ، ان الانسان — لأجل حبه للمال — بخيل . والوصف لأهل الزمن والدهر كما هو ظاهر ، وسوء طباع الناس يحملهم على عد المحسن مسيئاً .

تَحِلَّ بِنَا[1] .

اصناف المسيئين

فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لاَ يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ إِلاَّ مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلاَلَةُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِهِ[2] ، وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ[3] . وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً ، وَمِمَّا

---

(١) الفارعة : الخطب [العظيم] تفرع من ينزل به ، أي : تصيبه .

(٢) القسم الاول من يقعد به عن طلب الامارة والسلطان حقارة نفسه ، فلا يجد معيناً ينصره . وكلالة حده ، أي : ضعف سلاحه عن القطع في اعدائه يقال كل السيف كلالة : اذا لم يقطع ، والمراد اعوازه من السلاح ، او لعجزه عن استعماله . ونضيض وفره قلة ماله . وكان مقتضى السبق ان يقول ، ونضاضة وفره ، لكنه عدل الى الوصف نصاً ، والنضيض القليل ، والوفر المال

(٣) القسم الثاني الذي يطلب الامارة وما هي من حقه ، ويجهر بذلك فهو مصلت سيفه — اي ، سال له — على اولئك الذين لا يسعون لسلطان الباطل ، والمعلن : المظهر ، والمجلب بخيله : من « اجلب القوم » اي : حشروا وتجمعوا من كل أوب للحرب ، والرجل : جمع راجل ، كالركب جمع راكب والصحب جمع صاحب ، وهو قليل ، و « اشرط نفسه » اي : هيأها وأعدها للشر والفساد في الارض ، او للعقوبة وسوء العاقبة و « اوبق دينه » اهلكه . والحطام : المال ، وأصله ما تكسر من اليبس . ينتهزه : يغتنمه او يختلسه ، والمقنب : طائفة من من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين ، وانما يطلب قود المقنب تعززاً على الناس وكبراً ، وفرع المنبر — بالفاء — اي علاه وفي علو المنبر والخطبة على الناس من الرفعة ما يبعث على الطلب فهذا القسم قد اضاع دينه وافسد الناس في طلب هذه الشهوات المذكورة .

لكَ عِنْدَ ٱللهِ عِوَضاً ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ ، وَلَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ ، وَٱتَّخَذَ سِتْرَ ٱللهِ ذَرِيعَةً إِلَى ٱلْمَعْصِيَةِ [1] ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ ٱلْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ [2] ، وَٱنْقِطَاعُ سَبَبِهِ ، فَقَصَرَتْهُ ٱلْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ ٱلْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ ٱلزَّهَادَةِ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدًى .

الراغبون في الله

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ ٱلْمَرْجِعِ [3] ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ ٱلْمَحْشَرِ ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ [4] ؛ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ

---

(١) الذريعة : الوسيلة ، وهذا قسم ثالث .

(٢) الضؤولة بالضم : الضعف ، وهذا هو القسم الرابع ، وليس من الزهادة في ذهاب ولا إياب ، أي : لا فعل ولا ترك .

(٣) هذا قسم خامس للناس مطلقاً ، والأقسام الأربعة للناس المعروفين الواقعين تحت نظر العامة . فقوله فيما سبق : « فالناس أربعة أصناف » إنما يريد به الذين يعرفهم النظر الجلي منا ، أما الرجال الذين غضوا أبصارهم عن مطامع الدنيا خوفاً من الآخرة وتذكراً لمعادهم فهؤلاء لا يعرفون عند العامة ، وإنما يتعرف أحوالهم أمثالهم ، فمكانهم في نظر الناس ليسوا بناس .

(٤) الناد : الهارب من الجماعة إلى الوحدة ، والمقموع : المقهور . والمكعوم : من كعم البعير : شد فاه لئلا يأكل أو يعض ، وما يشد به : كعام ككتاب . والثكلان : الحزين .

ٱلتَّقِيَّةُ (١) وَشَمِلَتْهُمُ ٱلذِّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ (٢) ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ ، وَقَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا (٣) ، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا (٤) .

الزهد في الدنيا

فَلْتَكُنِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ ٱلْقَرَظِ وَقُرَاضَةِ ٱلْجَلَمِ (٥) ، وَٱتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَٱرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ؛ فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ

---

(١) أخملته : أسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة . والتقية : اتقاء الظلم بإخفاء الحال ، والأجاج : الملح ، أي : إنهم في الناس كمن وقع في البحر الملح لا يجد ما يطفئ ظمأه أو ينقع غلته .

(٢) ضامزة : ساكنة ، من ضمز يضمز ، بالزاي المعجمة ، كنصر وضرب : سكت سكتت . والقرحة - بفتح فكسر - المجروحة .

(٣) أي إنهم أكثروا من وعظ الناس حتى ملهم الناس وسئموا من كلامهم ، [أو هم ملوا وعظ الخلق لعدم تأثيره فيه] .

(٤) [وقتلوا حتى قلوا أي : قتل منهم قوم ، وصح إسناد القتل إلى الكل لأنهم جميعاً كانوا يرادون به] .

(٥) الحثالة - بالضم - القشارة وما لا خير فيه ، وأصله ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشر إذا نقي . والقرظ - محركة - ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به ، والجلم - بالتحريك - مقراض يجز به الصوف ، وقراضته : ما يسقط منه عند القرض والجز . وبه فضل لهم محقق في الأدب بعد التقسيم المتقدم لما ثبت من أن الدنيا لم تصف إلا للأشرار . ثم المتقون الذين ذكرهم فهم لم يصيبوا منها إلا العناء ، وكل ما كان من شأنه أن يؤوي إلى الأشرار ويجفو الأخيار فهو أجدر بالاحتقار .

بِهَا عِنْكُمْ (١).

قال الشريف – رضي الله عنه – : أقول: وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا شك فيه، وأين الذهب من الرغام (٢) والعذب من الأجاج ؟ وقد دل على ذلك الدليل الخرّيت (٣) ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين، وذكر من نسبها إلى معاوية، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته أنه قال : هذا الكلام أشبه بكلام علي وبمذهبه في تصنيف الناس، وفي الاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال، ومن التقية والخوف – أليق (٤) قال : ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسالك الزهاد، ومذاهب العبّاد !

ومن خطبة له عليه السلام

عند خروجه لقتال أهل البصرة (٥) [وفيها حكمة مبعث الرسل]
[ثم يذكر فضله ويذم الخارجين]

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار (٦) وهو يخصف نعله (٧) فقال لي : ما قيمة هذه

(١) : أي : من كان أشد تعلقاً بها منكم .
(٢) الرغام – بالفتح – التراب، وقيل : هو الرمل المختلط بالتراب .
(٣) الخريت – بوزن سكيت – الحاذق في الدلالة، ومعناه كفرح .
(٤) تصنيف الناس : تقسيمهم، وتبيين أصنافهم .
(٥) في وقعة الجمل .
(٦) بلد بين واسط والكوفة، وهو قريب من البصرة، وكانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت فيه العرب قبل الاسلام .
(٧) يخصف نعله : يخرزها .

النعل؟ فقلت: لا قيمة لها! فقال عليه السلام: والله لهي أحب الي من إمرتكم، إلا ان أقيم حقاً، أو أدفع باطلا، ثم خرج فخطب الناس فقال:

حكمة بعثة النبي

إِنَّ ٱللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ ٱلنَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ[1] فَٱسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ[2]، وَٱطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ

فضل علي

أَمَا وَٱللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا[3] حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا:

---

(١) بوأهم محلتهم: أي بلغهم منزلتهم، فالناس قبل الاسلام كانوا كأنهم غرباء مشردون والاسلام هو منزلهم الذي يسكنون فيه ويأمنون من المخاوف، فالنبي ﷺ ساق الناس حتى وصلهم في منزلهم من الاسلام الذي كانوا قد ضلوا عنه وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك [ونفي وجود قراءة الكتب منصرف الى جمهور العرب الذين لم يكن لهم دين ولا كتاب أما من كانوا يقرأون فقد كان دينهم محرّفاً].

(٢) القناة: العود، والرمح [والمراد به القوة والغلبة والدولة] والكلام تمثيل لاستقامة أحوالهم. والصفاة: الحجر الصلد الضخم، والمراد به مواطيء اقدامهم. والكلام تصوير لاستقرارهم على راحة كاملة وخلاصهم مما كان يرجف قلوبهم ويزلزل اقدامهم. [واطمأنت صفاتهم أي انهم كانوا على حجر املس متزلزل فاطمأنت احوالهم وسكنوا في مواطنهم].

(٣) «إن كنت لفي» إن هذه هي مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، والأصل «إنه كنت لفي». والمعنى قد كنت، والساقة: مؤخر الجيش السائق لمقدمه، وولت بحذافيرها: بجملتها وأسرها، ويقال: «واحده

مَا عَجَزْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا (١)، وَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ (٢).

توبيخ الخارجين عليه

مَالِي وَلِقُرَيْشٍ! وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ (٣)، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ! (٤).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في استنفار الناس إلى أهل الشام [بعد فراغه من أمر الخوارج]
[وفيها يتأفف بالناس وينصح لهم بطريق السداد]

أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ! أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

«خدرها» بكسر الخاء وسكون الدال، وفي نسخة «خدورها» — بضم فسكون — وفي نسخة «خداعها»، والضمير في «سقتها» و«ولت» و«خدعها» عائد الى الحادثة المفهومة من الحديث وهي ما انعم الله به من بعثة النبي ﷺ ليخرجهم من الظلمات الى النور، ومن الذلة الى العزة. وقال الشارح ابن أبي الحديد: الضمير للجاهلية المفهومة من الكلام، وكونه في ساقتها انه طارد لها. ويضعفه أن ساقة الجيش منه لا من مقاتليه، فلو كان في ساقة الجاهلية لكان من جيشها لا طاردا له، ويمكن تصحيح كلام الشارح بحمل الساقة جمع سائق، اي كنت في الذين يسوقونها طرداً حتى ولت.

(١) اي: انه يسير الى الجهاد في سبيل الحق

(٢) الباطل يبادر الاوهام فيشتبه على الحق، ويقوم حجابا مانعا للبصيرة عن الحقيقة، فكأنه شيء اشتمل على الحق فستره، وصار الحق في طيه، والكلام تمثيل لحال الباطل مع الحق، وحال الامام في كشف الباطل واظهار الحق.

(٣) [اي لا قاتلنهم عندما كانوا على الفتنة والبعد عن الحق]

(٤) [في هذا اشارة الى عدم تغيير حاله عندما حارب مع النبي في بدء الدعوة كما حاربهم على الكفر في الجاهلية يحاربهم على البغي في الاسلام].

مِنَ ٱلْآخِرَةِ عِوَضاً؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ ٱلْعِزِّ خَلَفاً؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ (١)، وَمِنَ ٱلذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حِوَارِي فَتَعْمَهُونَ (٢). وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ (٣) فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ ٱللَّيَالِي (٤) وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ (٥) مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ ٱنْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ (٦)، لَبِئْسَ لَعَمْرُ ٱللهِ —

---

(١) [أف كلمة تضجر]. دوران الأعين: اضطرابها من الجزع، ومن غمرة الموت يدور بصره، فإنهم يريدون من غمرة الموت الشدة التي تنتهي إليه، يشير إلى قوله تعالى: (ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت)

(٢) [الذهول: النسيان والسهو] الحوار - بالفتح وربما كسر - هو مراجعة الكلام. و«يرتج» بمعنى يغلق، وتقول: رتج الباب - كضرب - أي أغلقه، أي: لا تهتدون لفهمه، فتعمهون: مضارع عمه - كعلم وقطع - أي: تتحيرون وتترددون [وهذه الحيرة والتردد بهم من مخافة دعوة الإمام وبهم من الموت].

(٣) المألوسة: المخلوطة بمس الجنون.

(٤) سجيس - بفتح فكسر - كلمة تقال بمعنى أبداً، وسجيس أصله من «سجس الماء» بمعنى تغير وكدر، وكان من الاستعمال ما دامت الليالي بظلامها، أي: ما دام الليل ليلاً. ويقال: سجيس الأوجس - بفتح الجيم وضمها - و«سجيس عجيس» مصغر، كل ذلك بمعنى أبد، أي: إنهم ليسوا بثقة عنده يركن إليهم أبداً [لخلفهم للوعد وكذبهم].

(٥) الزافرة من البناء: ركنه، ومن الرجل عشيرته [وأنصاره]. وقوله «يمال بكم» أي: يمال على العدو بعزكم وقوتكم [وهو وصف لهم بالذل والضعف].

(٦) [تشبيههم بالإبل التي ضل رعاتها دقيق رائع لضعفهم وتشتت آرائهم وعدم اجتماعهم على مصلحة].

سُعْرُ نارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ (1)، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقَصُ
أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ (2)، لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ
سَاهُونَ، غُلِبَ وَاللهِ الْمُتَخَاذِلُونَ (3)، وَأَيْمُ اللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ
لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ
انْفِرَاجَ الرَّأْسِ (4). وَاللهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ
لَحْمَهُ (5)، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ
مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ (6). أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ (7)

---

(1) السعر - بالضم - مصدر سعر النار - من باب نفع - أوقدها، أي: لبئس ما توقد به الحرب أنتم، ويقال: إن السعر جمع ساعر كشرب جمع شارب وركب جمع راكب [وليسوا كالحرب لجبنهم وقصورهم].

(2) امتعض: غضب.

(3) غلب - مبني للمجهول - والمتخاذلون: الذين يخذل بعضهم بعضاً ولا يتناصرون.

(4) حمس - كفرح - اشتد وصلب في دينه فهو حمس كفرح وحامس، والوغى: الحرب، واستحر: بلغ في النفوس غاية حدته، وقوله «انفراج الرأس» أي: انفراجاً لا التئام بعده، فإن الرأس إذا انفرج عن البدن أو انفرج أحد شقيه عن الآخر لم يعد للالتئام [وقيل: إن أول من تكلم به أكثم بن صيفي في وصية له، وقيل: انفراج الرأس معناه فساد انتظام عظمه فإنه لا يصح بعده، وقيل: انفراج رأس الولد عن أمه حين الولادة].

(5) يأكل لحمه حتى لا يبقى منه شيء على العظم، وفراه يفريه: مزقه يمزقه.

(6) ما ضمت عليه الجوانح: هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية، والجوانح: الضلوع تحت الترائب، والترائب: ما يلي الترقوتين من عظم الصدر، أو ما بين الثديين والترقوتين، يريد: ضعيف القلب.

(7) [أنت فكن ذاك إن شئت: قيل هو للتهديد] ويمكن أن يكون خطاباً

فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام (1) ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء

طريق السداد

أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، ولكم علي حق: فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم (2)، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم (3).

عظماً لكن من يمكن عدوه من نفسه. ويروى أنه خطاب للأشعث بن قيس عندما قال له: هلا فعلت فعل ابن عفان، فأجابه بقوله: إن فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له، وإن امرأ [أمكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رأيه !]

(1) أي: لا تمكن عدوه من نفسه حتى يكون دون ذلك ضرب بالمشرفية، وهي السيوف التي تنسب إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف. ولا يقال في النسبة إليها مشارفي، لأنه جمع ينسب إلى واحده، ويقال: إن المشرفية نسبة إلى موضع في بلاد اليمن لا إلى مشارف الشام، وفراش الهام: العظام الرقيقة التي تلي القحف، و«تطيح السواعد» أي: تسقط ومعه كباع ورق.

(2) الفيء: الخراج وما يجري مجرى المال.

(3) [بين لهم طريق السداد بأمور أربعة هي عليه لهم: توفير الفيء عليهم والنصح لهم وتعليمهم وتأديبهم، وأربعة هي عليهم له: الوفاء بالبيعة والنصيحة له غائباً وحاضراً وإجابة دعوته ودوام الطاعة له، فهي أربع لقاء أربع وليس لأحد فضل على الآخر من راع ولا من رعية].

ومن خطبة له عليه السلام

بعد التحكيم [وما بلغه من أمر الحكمين]
[وفيها حمد الله على بلائه ثم بيان سبب البلوى]

الحمد على البلاء

الْحَمْدُ لِلّٰهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ (١) وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ (٢) وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

سبب البلوى

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَيْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ (٣) أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ

---

(١) من فدحه الدين كقطع — أي: أثقله وعاله وعظم عليه، والحدث — بالتحريك — الحادث [وهو ما وقع من أمر الحكمين كما هو مشهور في التاريخ].

(٢) [وليس معه غيره تأكيد لكلمة التوحيد وتقرير لها].

(٣) الحكومة: حكومة الحكمين: عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وذلك بعدما وقف القتال بين علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان في حرب صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة فإن جيش معاوية لما رأى أن الدبرة تكون عليه رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم إلى كتاب الله، وكانت الحرب أكلت من الفريقين، فانخدع القراء وجماعة تبعوهم من جيش علي، وقالوا: دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق بالإجابة إليه، فقال لهم أمير المؤمنين: إنها كلمة حق يراد بها باطل، إنهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة! أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد

أمرٌ[1] فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجناة، والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه[2] وضنّ الزند بقدحه، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن :

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى ... فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

رفع الحق مقطعه ولم يبق إلا أن تعصف ريح الدين ظفروا، فخدعوا وخشعوا، فوقفت الحرب وزالت، وتكلم الناس في الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما في كتاب الله، فاختار معاوية عمرو بن العاص، واختار بعض أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعري، فلم يرض أمير المؤمنين واختار عبد الله بن عباس فلم يرضوا، ثم اختار الأشتر النخعي فلم يرضوا، فوافقهم على أبي موسى مكرهاً بعد أن أعذر في النصيحة لهم فلم يقبلوا. فقد محّض لهم أي أخلص رأيه في الحكومة أولاً وآخراً. [ووجه المشابهة أن المنخول ينتفع به وهو ما ينخل من دقيق ونحوه] ثم انتهى أمر التحكيم بخداع أبي موسى لعمرو بن العاص وخلعه أمير المؤمنين ومعاويه ثم صعود عمرو بعده وإثباته معاوية وخلعه أمير المؤمنين. وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين وأصحابه.

(1) هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش، وكان حاذقاً وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته فقال قصير: لا يطاع لقصير أمر، فذهبت مثلاً.

(2) يريد بالناصح نفسه، أي أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك في نصيحته وظن أن النصح غير نصح، وأن الصواب ما أجمعوا عليه وتلك سنة البشر إذا كثر المخالفون للصواب اتهم المصيب نفسه. وقوله: وضن الزند بقدحه، أي أنه لم يعد يقدح له رأي صالح لشدة ما لقي من خلافهم، وهكذا المشير الناصح إذا اتهم واستغش عشيت بصيرته وفسد رأيه. وأخو هوازن هو دريد بن الصمة. ومنعرج اللوى اسم مكان، وأصل اللوى من الرمل: الجدد بعد الرملة. ومنعرجه: منعطفه يمنة ويسرة. وفي هذه القصيدة:

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى ... غوايتهم وأنني غير مهتدي
وما أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

(في تخويف أهل النهروان[١])

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهَرِ، وَبِأَهْضَامِ هٰذَا الْغَائِطِ[٢] عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ. قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ[٣] وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ،

---

(١) النهروان: اسم لأسفل نهر بين لخافيق، وطرفاء على مقربة من الكوفة في طرف صحراء حروراء. ويقال لأعلى ذلك النهر «تامرا»، وكان الذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطأوه في التحكيم قد نقضوا بيعته، وجاهروا بعداوته، وصاروا له حرباً، واجتمع معظمهم عند ذلك الموضع، وهؤلاء يدعون بالحرورية لما تقدم أن الأرض التي اجتمعوا فيها كانت تسمى حروراء، وكان رئيس هذه الفئة الضالة حرقوص بن زهير السعدي، ويلقب بذي الثدية (تصغير ثدية) خرج إليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقالتهم، والعودة إلى بيعتهم، فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال أصحابه كرم الله وجهه، فأمر بقتالهم، وتقدم القتال بهذا الإنذار الذي تراه [وقيل إنه – عليه السلام – خطب بها الخوارج الذين قتلهم بالنهروان].

(٢) صرعى: جمع صريع، أي: طريح، أي: إني أحذركم من اللجاج في العصيان فتصبحوا مقتولين مطروحين، بعضكم في أثناء هذا النهر، وبعضكم بأهضام هذا الغائط. والأهضام: جمع هضم وهو المطمئن من الوادي. والغائط: ما سفل من الأرض والمراد منها المنخفضات.

(٣) أي: صرتم في متاهة ومضلة، لا يدع الضلال لكم سبيلا إلى مستقر من اليقين، فأنتم كمن رمت به داره وقذفته. ويقال: «تطاوحت به النوى» أي: ترامت. وقد يكون المعنى أهلكتكم دار الدنيا، كما اخترته في الطبعة الاولى. والمقدار: القدر الإلهي، واحتبلهم: أوقعهم في حبالته فهم مقيدون للهلاك لا يستطيعون منه خروجاً [وهي استعارة جيدة لإحاطة القدر بهم كما تحيط الحبالة بالصيد].

وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ (١) ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ (٢) ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ ، وَلَمْ آتِ — لَا أَبَا لَكُمْ — بُجْراً (٣) ، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(يجري مجرى الخطبة (٤))

[وفيه يذكر فضائله — عليه السلام — قاله بعد وقعة النهروان]

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا (٥) وَنَطَقْتُ

---

(١) جاء عن جماعة أهل الشام في طلب التحكيم بقوله : « وإنهم ما رفعوا المصاحف ليرجعوا الى حكمها — الى آخر ما تقدم في الخطبة السابقة » . وقد خالفوه بقولهم : دعينا الى كتاب الله فنحن أحق بالاجابة اليه ، بل أغلظوا في القول حتى قال بعضهم : لئن لم تجبهم الى كتاب الله لنلحقك بهم ونخيب عنك .

(٢) الهام : الرأس وخفتها كناية عن [الطيش] وقلة العقل

(٣) البجر — بالضم — : الشر والأمر العظيم والداهية ، وفي الحديث « أرمي عليها وهي شيء بجر » أي داهية وشر ، ولقيت منه البجاري ، وهي الدواهي ، واحدها بجري مثل قمري وقماري [ولا أبا لكم كلمة في لغة العرب يراد بها المدح أو الذم وهي دعاء عليهم بفقد الأب الذي يعزم منه بني العشيرة] .

(٤) هذا الكلام ساقه الرضي كأنه قطعة واحدة لغرض واحد وليس كذلك ، بل هو قطع غير متصلة ، كل قطعة منها في معنى غير ما للأخرى ، وهو أربعة فصول : الأول من قوله : فقمت بالأمر الى قوله : واستبددت برهانها ، والفصل الثاني من قوله : كالجبل لا تحركه القواصف الى قوله : حتى آخذ الحق منه . والفصل الثالث من قوله : رضينا عن الله قضاءه ، الى قوله : فلا أكون أول من كذب عليه . والفصل الرابع ما بقي [وهذا التقسيم كما في نسخة ابن ميثم] .

(٥) بجمعه في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ومعاصيه في الأمر بالمعروف

حِينَ تَعْتَعُوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ ٱللهِ حِينَ وَقَفُوا وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً (1) وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً (2) فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، وَٱسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا (3) كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ ٱلْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ ٱلْعَوَاصِفُ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ (4) وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ. ٱلذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ لَهُ، وَٱلْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُ. رَضِينَا عَنِ ٱللهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لَهُ أَمْرَهُ (5). أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى

والنهي عن المنكر امام الأحداث، اي انه قام بانكار المنكر حين فشل القوم، اي جبنوا وخوروا، والتقبع: الاختباء، والتطلع: ضده، ويقال: امرأة طلعة قبعة تطلع ثم تقبع رأسها، اي: تدخله كما يقبع القنفذ، اي: يدس رأسه في جلده، وقبع الرجل: أدخل رأسه في قميصه. اي: انه ظهر في إعزاز الحق والتنبيه على مواقع الصواب حين كان يختبئ القوم من الرهبة، ويقال: «تتعتع فلان في كلامه» إذا تردد من عي او حصر، فقد كان ينطق بالحق ويستقيم به لسانه، والقوم يترددون ولا يبينون [وبعض النسخ «تعتعوا» حيث وردت فيها، والتعتعة الاضطراب في الكلام]

(1) كناية عن ثبات الجأش، فإن رفع الصوت عند المخاوف إنما هو من الجزع، وقد يكون كناية عن التواضع ايضاً.

(2) الفوت: السبق.

(3) هذا الضمير وسابقه يعودان الى الفضيلة المعلومة من الكلام: فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو تمثيل حاله مع القوم بحال خيل الحلبة، والعنان للفرس معروف، وطار به: سبق به. والرهان: الخطر الذي وقع التراهن عليه.

(4) الهمز والغمز: الوقيعة، اي: لم يكن فيّ عيب أعاب به، وهذا هو الفصل الثاني، يذكر حاله بعد البيعة، اي انه قام بالخلافة كأحسن ... الخ. وقوله «الذليل عندي - الخ» أي: إني أنصر الذليل فيصير عزيزاً بنصري، حتى إذا أخذ حقه رجع الى ما كان عليه قبل الانتصار لي. ومثل ذلك يقال فيما بعده.

(5) قوله «رضينا - الخ» كلام قاله عندما تفرس في قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به من أنباء الغيب.

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَاللهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ . فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي (1) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها علة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها]

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ : فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى (2) وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى ، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر]
[وفيها يبدي عذره ويستنهض الناس لنصرته]

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ (3) وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ،

---

(1) قوله « فنظرت في أمري » هذه قطعة من كلام له في حال نفسه بعد وفاة رسول الله ﷺ يبين فيه أنه مأمور بالرفق في طلب حقه ، فأطاع الأمر في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فبايعهم امتثالاً لما أمره النبي به من الرفق ، وإيفاء بما أخذ عليه النبي من الميثاق في ذلك .

(2) سمت الهدى : طريقته ، وقوله « فما ينجو من الموت الخ » ليس متصلاً مع ما قبله فهو قطعة من كلام آخر جمعه الرضي على نحو ما جمع الفصول المقدمة [ويمكن أن يكون الكلام متصلاً ويكون الغرض منه التذكير بالموت وزوال الحياة لكي يرجع الضلال عن ضلالهم ويفهموا الأمور بعين الرأي فلا يقعوا في الشبهة] .

(3) منيت : ابتليت .

لَا أَبَا لَكُمْ ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ (1) أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْراً ، حَتَّى تَكَشَّفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ ؟ (2) فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ ؛ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ (3) ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (4)) .

---

(1) حمشه – كنصره – جمعه ، وحمش القوم : ساقهم بغضب ، أو من أحمشه : أغضبه ، أي تغضبكم على أعدائكم ، والمستصرخ : المستنصر [المستجلب من يصرخه بعونه] ، و « متغوثاً » أي قائلاً « واغوثاه » .

(2) تكشف : مضارع حذف إحدى تاءيه ، والأصل تتكشف ، أي إنكم لا تزالون تخالفوني وتخذلوني حتى تنكشف الأمور والأحوال عن العواقب التي تسوء ولا تسر [وهو تعبير يشير إلى نقض ثباتهم عن دعوته وانتظاره عقابهم على القعود عنه] .

(3) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته [عند عسفه] [واستعارة لفظ الجرجرة لكثرة تضجرهم مما يدعوهم إليه ونسبتها إلى الجمل لأن جرجرة الجمل الأسر أشد من جرجرة غيره] ، والأسر : المصاب بداء السرر ، وهو مرض في الكركرة ينشأ من الدبرة ، والنضو : المهزول من الإبل ، والأدبر : المدبور ، أي : المجروح المصاب بالدبرة – بالتحريك – وهي العقر والجرح من القتب ونحوه .

(4) وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين في غارة النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر من عمال أمير المؤمنين ، وعليها يومئذ من قبله مالك بن كعب الأرحبي [وكان أميراً على عين التمر من قبل علي وكان قد أسر النعمان بن بشير عند فراره من علي ثم أطلقه فعاد عليه النعمان بجيش من معاوية ولم يكن مع مالك سوى مائة رجل أو نحوها فكتب إلى أمير المؤمنين يستمده عدد] .

قال السيد الشريف: أقول. قوله عليه السلام: «متذائب» أي مضطرب، من قولهم تذاءبت الريح، أي: اضطرب هبوبها. ومنه يسمى الذئب ذئبا، لاضطراب مشيته.

ومن كلام له عليه السلام

في الخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله

قال عليه السلام: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ[1]! نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ[2]، وَلٰكِنَّ هٰؤُلاَءِ يَقُولُونَ: لاَ إِمْرَةَ إِلاَّ للهِ، وَإِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ[3] يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ[4].

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال:

---

(1) [أي قول الخوارج لا حكم إلا لله ودعاؤهم إلى كتاب الله ولكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل فتور الحرب عنهم].

(2) [وقول علي تصديق لقولهم ولكن له عليه الكلمة من لفظ ومعنى].

(3) برهان على بطلان زعمهم أنه لا إمرة، لأنه بين أن الضرورة قاضية أن الناس لا بد لهم من أمير بر أو فاجر حتى تستقيم أمورهم، وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لآخرته ودينه ودنياه، وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه الأجل ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة، وتجري سائر المصالح المذكورة. ويمكن أن يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البر، وبالكافر الأمير الفاجر، كما تدل عليه الرواية الأخرى. وقوله «أما الإمرة البرة الخ».

(4) [أي يستريح البر بوجودها ويستراح من تعدي الفاجر وبغيه].

حُكْمَ اللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ :

ثُمَّ قَالَ : أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ ؛ وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها ينهى عن الغدر ويحذر منه]

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ (١) ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً (٢) ، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ . مَا لَهُمْ ! قَاتَلَهُمُ اللهُ ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ،

---

(١) التوأم : الذي يولد مع الآخر في حمل واحد ، فالصدق والوفاء قرينان في المنشأ لا يسبق أحدهما الآخر في الوجود ولا في المنزلة . والجنة ـ بالضم ـ الوقاية [وأصلها ما استترت به من سلاح ونحوه] ومن علم أن مرجعه إلى الله ، وهو سريع الحساب ، لا يمكن أن يعدل عن الوفاء إلى الغدر [والعلم بكيفية المرجع يكون بالاطلاع على منازل الرحلة إلى الله وعلى أحوال الآخرة التي تصرف عن ارتكاب المحرمات] .

(٢) الكيس ـ بالفتح ـ العقل ، وأهل ذلك الزمان يعدون الغدر من العقل وحسن حيلة ، كأنهم أهل السياسة من بني زمننا ، وأمير المؤمنين يعجب من وهمهم ، ويقول : ما لهم قاتلهم الله يزعمون ذلك مع أن الحول القلب ـ بضم الأول وتشديد الثاني من اللفظين ، أي البصير بتحويل الأمور وتقليبها ـ قد يرى وجه الحيلة في بلوغ مراده ، لكنه يجد دون الأخذ به مانعاً من أمر الله ونهيه ، فيدع الحيلة وهو قادر عليها ، خوفاً من الله ، ووقوفاً عند حدوده .

وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ (1).

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[وفيه يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا]

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ (2)، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ. أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ (3) فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ (4) كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا، أَلاَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (5)، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ

---

(1) الحريجة . التحرج ، أي : التحرز من الآثام .

(2) طول الأمل : هو استفساح الأجل ، والتسويف بالعمل ، طلباً للراحة العاجلة ، وتسلية للنفس بإمكان التدارك في الأوقات المقبلة ، وهو من أقبح الصفات ، أما قوة الأمل في نجاح الأعمال الصالحة ، ثقة بالله ويقيناً بعونه ، فهي حياة كل فضيلة ، وسائقة لكل مجد ، والمحرومون منه آيسون من رحمة الله ، فهم أحياء وهم أموات لا يشعرون

(3) الحذاء بالتشديد : الماضية السريعة [والدنيا منسوبة إلى كل شخص مولية مدبرة لم يبق منها بالقياس إليه إلا اليسير] .

(4) الصبابة ــ بالضم ــ البقية من الماء واللبن في الإناء . واصطبها صابها ، كقولك أبقاها مبقيها ، أو تركها تاركها [ولما نبه ــ عليه السلام ــ إلى انقضاء الدنيا أردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق الآخرة] .

(5) [واستعارة لفظ الأبناء للخلق من لطائف كلامه ــ عليه السلام ــ لأن الابن لاحق بأبيه خلقة وميلاً] .

ولا حمل .

قال الشريف : أقول : الجذاء . السريعة ، ومن الناس من يرويه حذاء [1] .

ومن كلام له عليه السلام

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جريراً بن عبد الله البجلي إلى معاوية [2] [ولم ينزل معاوية على بيعته]

إنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلاقٌ لِلشَّامِ ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ أَرَادُوهُ وَلكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا ، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ [3] .

---

(١) جذاء – بالجيم – أي : مقطوع خيرها ودرها .

(٢) [هو من بجيلة ويكنى أبا عمرو أسلم سنة عشر في رمضان وهاجر إلى المدينة وكان جميلاً حتى قيل له يوسف هذه الأمة – وكانت صحابة نزهه ان اعتزل علياً ومعاوية وتوفي بالشراة سنة أربع وخمسين] .

(٣) [الاستعداد التهيؤ للأمر والخدع الأخذ بالحيلة والأناة اسم من التأني وأرودوا أمهلوا] يقول أمير المؤمنين إنه أرسل جريراً ليخابر معاوية وأهل الشام في البيعة له ، والدخول في طاعته ، ولم ينقطع الأمل منهم ، فاستعداده للحرب ، وجمعه الجيوش ، وسوقها إلى أرضهم إغلاق لأبواب السلم على أهل الشام ، وصرف لهم عن خير إن كانوا يريدونه . والرأي الأناة ، أي : التأني ، ولكنه لا يكره الاعداد ، أي . أن يعد كل شخص لنفسه ما يحتاج اليه في الحرب من سلاح ونحوه ، ويفرغ نفسه مما يشغله عنها لو قامت حتى إذا دعي اليها لم يبطىء في الاجابة ، ولم يجد ما يمنعه عن اقتحامها . وقوله « أرودوا » أي سيروا برفق .

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هٰذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ [1] ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ أَرَ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثًا ، وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا ، فَقَالُوا ، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا [2] .

ومن كلام له عليه السلام

لما هرب مَصْقَلة بن هُبيرة الشيباني إلى معاوية ، وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم [3] فلما طالبه

---

(١) مثل تقوله العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر ، وإنما خص الأنف والعين لأنهما أظهر شيء في صورة الوجه ، وهما مستعلا النظر . والمراد من الكفر في كلامه الفسق ، لأن ترك القتال تهاون بالنهي عن المنكر ، وهو فسق لا كفر

(٢) يريد من الوالي الخليفة الذي كان قبله [وهو عثمان بن عفان رضي الله عنه] ، وذلك لأحداث معروفة في التاريخ ، وهي التي أدت بالقوم إلى التألب على قتله ، ويروى « فقال » بالقاف بدل اللام ، ولا تصح إلا تحريفاً ، وإن كنت أثبت على تفسيرها في الطبعة الأولى .

(٣) كان الخريت بن راشد الناجي — أحد بني ناجية — مع أمير المؤمنين في صفين ، ثم نقض عهده في صفين ، ونقم عليه في التحكيم ، وخرج يفسد الناس ، ويدعوهم للخلاف ، فبعث إليه أمير المؤمنين كتيبة مع معقل ابن قيس الرياحي ، لقتاله هو ومن انضم إليه ، فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس ، وبعد دعوته إلى التوبة وإبائه قبولها شدت عليه ، فقتل وقتل معه كثير من قومه ، وسبي من أدرك في رحالهم من الرجال والنساء والصبيان ، فكانوا خمسمائة أسير . ولما رجع معقل بالسبي مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وكان عاملا لعلي على أردشير ، فبكى إليه النساء والصبيان ، وتصايح الرجال يستغيثون في فكاكهم ، فاشتراهم من معقل بخمسمائة ألف درهم ، ثم امتنع من أداء المبلغ [وقيل بل أدى منه مائتي ألف وعجز عن الباقي] ولما ثقلت عليه المطالبة بالحق لحق بمعاوية فرارا تحت أستار الليل

بالمال خاس به وهرب إلى الشام (1) [خوفاً من أمير المؤمنين ـ عليه السلام]

قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ! فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ (2)، وَلاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ (3)، وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ (4).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وهو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر، وفيها يحمد الله ويذم الدنيا]

حمد الله

اَلْحَمْدُ لِلّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ (5)، الَّذِي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ.

ذم الدنيا

وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ (6)، وَلأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلاَءُ، وَهِيَ

[وناجية قبيلة ينسبون أنفسهم إلى سامة بن لؤي بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب وسمتهم بني ناجية وهي أمهم].

(1) خاس به: خان.

(2) [ما أنطق مادحه حتى أسكته معناه أنه ما كاد يثير مادحه على ما فعل من الفداء حتى أسكته بما فعل من الفرار. وذلك كقولهم: ما جمعوا حتى تفرقوا]

(3) [قبحه الله أي نحاه عن الخير. وبكته: قرّعه]، ميسوره: ما تيسر له.

(4) وفوره: زيادته [مصدر وفر المال أي كثر. وقد أنكر عليه الإمام عليه السلام النقص في أخلاقه وتعجب له إذ عمل عمل أهل الحمية فاشترى القوم وأعتقهم ثم عمل عمل العبيد الجبناء إذ فرّ].

(5) [القنوط: اليأس. والاستنكاف: الاستكبار] وهي هنا — بمعناه

حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ[1]، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ[2] وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ[3]، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ[4] وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ[5].

ومن كلام له عليه السلام

عند عزمه على المسير إلى الشام[6]

[وهو دعاء دعا به ربه عند وضع رجله في الركاب]

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ[7]، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ،

الفعل للمجهول ــ أي: قدر لها، والجلاء: الخروج من الأوطان.

(١) تمثل ما عذب بلذة الذوق، وبروق النظر.

(٢) عجلت للطالب: أسرعت إليه، والتبست بقلب الناظر: اختلطت به محبة وعلقة.

(٣) أحسن ما بحضرتكم: أي أفضل الأشياء الحاضرة عندكم، وذلك فضائل الأخلاق، وصالح الأعمال.

(٤) الكفاف: ما يكفك، أي يمنعك عن سؤال غيرك، وهو مقدار القوت.

(٥) البلاغ: ما يتبلغ به، أي يقتات به [مدة الحياة].

(٦) وذلك بعد حرب الجمل حيث خرج عليه معاوية بن أبي سفيان، ولم يدخل في بيعته، وقام لمطالبته بدم عثمان، واستهوى أهل الشام، واستنصرهم لرأيه فعززوه على الخلاف، وسار إليه أمير المؤمنين، والتقى بصفين، واقتتلا مدة غير قصيرة، وانتهى القتال بتحكيم الحكمين عمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري.

(٧) الوعثاء: المشقة [وأصله المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الأرجل فيه] والكآبة: الحزن. والمنقلب: مصدر بمعنى الرجوع، وأول الكلام مروي عن رسول الله ﷺ في الكتب الصحيحة، وتمه أمير المؤمنين بقوله: «ولا يجمعهما غيرك ــ الخ». وذلك لأنه تستوي عنده الأمكنة كما تستوي الأزمنة، فالحضر والسفر عنده سواء، وليس هذا لشيء غير الذات الأقدس.

وأنت الخليفة في الأهل ، ولا يجمعهما غيرك (١) ؛ لأن المستخلف لا يكون مستصحباً ، والمستصحب لا يكون مستخلفاً

قال السيد الشريف رضي الله عنه : وابتداء هذا الكلام مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قفاه أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام.

ومن كلام له عليه السلام

في ذكر الكوفة

كأني بك يا كوفة تمدين مدّ الأديم العكاظي (٢) ، تعركين بالنوازل ، وتركبين بالزلازل (٣) ، وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغل ، ورماه بقاتل.

---

(١) [ضمير التثنية في يجمعهما راجع الى الاستخلاف والاستصحاب وقد رجع الامام عنهما بعد في قوله : لأن المستخلف الخ].

(٢) العكاظي : نسبة الى عكاظ - كغراب - وهو سوق كانت تقيمه العرب في صحراء بين نخلة والطائف ، يجتمعون اليه من ابتداء شهر ذي القعدة ينشدون - أي يتفاخرون - كل بما لديه من فصاحة وأدب ، ويستمر الى عشرين يوماً ، وليتبايعوا أيضاً ، وأكثر ما كان يباع [ذلك] الأديم بذلك السوق فنسب اليها [فلما جاء الاسلام رفع ذلك] ، والأديم : الجلد المدبوغ ، وجمعه أدم - بفتحتين ، وضمتين - ، وآدمة كأرغفة وقوله « تمدين الخ » تصوير لما يصيبها من العسف والخبط ، و « تعركين » من « عركتهم الحرب » : دارستهم ، والنوازل : الشدائد ، والزلازل : المزعجات من الخطوب .

(٣) [وقوله - عليه السلام - كأني بك كذا وكذا إنما هو قول مشاهد الكوفة العارف بمستقبلها . وهو شهادة بكثرة الظلم الواقع على أهلها ولذلك شبهه بمدّ الأديم].

ومن خطبة له عليه السلام

عند المسير إلى الشام

[قيل إنه خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين]

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ (1)، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ (2)، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ ٱلْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافَأِ ٱلْإِفْضَالِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي (3) وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا ٱلْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ ٱلنُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ (4)، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ ٱلْقُوَّةِ لَكُمْ (5).

---

(1) وقب: دخل. وغسق: اشتدت ظلمته.

(2) خفق النجم: غاب، ولاح: ظهر [وفي الجملتين إشارة إلى تعاقب الليل والنهار وكمال النعمة بطلوع النجوم وغروبها، وذلك يستلزم حمد الله دائماً].

(3) أراد بمقدمته صدر جيشه، ومقدمة الإنسان – بفتح الدال – صدره، والملطاط: حافة الوادي وشفيره وساحل البحر، والسمت أي الطريق، وقول الشريف «يعني بالملطاط السمت» يعني مراد أمير المؤمنين من لفظ الملطاط في كلامه، لا تعبيراً لفظ في نفسه، وقوله «وهو شاطئ الفرات» بيان للسمت، أي: الطريق، وقوله «ويقال ذلك» أي: نعت الملطاط، تعبير لفظ الملطاط في استعمال العربي، فاندفع بهذا ما أورده ابن أبي الحديد على عبارته من أنها خالية من المعنى.

(4) الشرذمة: النفر القليلون، والأكناف: الجوانب، و«موطنين الأكناف» أي: جاعلونها وطناً، يقال: أوطنت البقعة [وكانت هذه الشرذمة التي اقتطعها ثمانمائة رجل من أهل المدائن وهم الموطنون أكناف دجلة].

(5) الامداد: جمع مدد، وهو ما يمد به الجيش لتقويته، وهذه الخطبة تتعلق

قال السيد الشريف: أقول: يعني — عليه السلام — بالملطاط هنا السمت الذي أمرهم بلزومه وهو شاطىء الفرات، ويقال ذلك أيضاً لشاطىء البحر، وأصله ما استوى من الأرض. ويعني بالنطفة ماء الفرات. وهو من غريب العبارات وأعجبها.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيه جملة من صفات الربوبية والعلم الإلهي]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ(١)، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ: فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ(٢): سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ. وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ(٣) فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ

بها أمير المؤمنين وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين. [وكانت المقدمة التي بعثها — عليه السلام — تحت زياد بن النضر وشريح بن هانىء في اثني عشر ألف فارس وأمرهم أن يلزموا شاطىء الفرات فأخذوا شاطئها من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغوا عانات].

(١) بطن الخفيات: علمها [من بطنها] والأعلام: جمع علم — بالتحريك — وهو ما يهتدى به، ثم عم في كل ما دل على شيء، وأعلام الظهور: الأدلة الظاهرة التي بظهورها تظهر غيرها.

(٢) كان الأليق بعد قوله «وامتنع على عين البصير» بصره ما جاء في رواية أخرى، وهو «فلا قلب من لم يره ينكره ولا عين من أثبته تبصره»، وما جاء في الكتاب معناه أن من لم يره لا ينكره اعتماداً على عدم رؤيته لظهور الأدلة عليه، ومن أثبته لا يستطيع اكتناه حقيقته.

(٣) علا كل شيء بذاته وكماله وجلاله. وقرب من كل شيء بعلمه وإرادته وإحاطته وعنايته، فلا شيء إلا وهو معه، فأي شيء يبعد عنه؟

شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ بِهِ فِي ٱلْمَكَانِ. لَمْ يُطْلِعِ ٱلْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ [1]، فَهُوَ ٱلَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ ٱلْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي ٱلْجُحُودِ [2] تَعَالَى ٱللهُ عَمَّا يَقُولُ ٱلْمُشَبِّهُونَ وَٱلْجَاحِدُونَ لَهُ - عُلُوّاً كَبِيراً.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[وفيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن]

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ ٱلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً [3] عَلَى غَيْرِ دِينِ ٱللهِ، فَلَوْ أَنَّ ٱلْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ ٱلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى ٱلْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ ٱلْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ ٱلْبَاطِلِ ٱنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ ٱلْمُعَانِدِينَ [4] وَلٰكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هٰذَا ضِغْثٌ [5]

---

(١) [يعني من دقته أنه لا تحد حقيقته ولكنه وهب لكل نفس قسطاً من معرفته].

(٢) إن قلب الجاحد وإن تنكره بالافتعال، عرض عليه من أثر المواهب الخارجة عن قدرته وظهور أعلام الوجود في الدلالة عليه لا يقوى على مدافعة تأثيره على الجاحد، فلا مناص له من الإقرار في الواقع، وإن ظهر الجحود في كلامه وبعض أعماله.

(٣) يستعين عليها رجال برجال.

(٤) المرتادين: الطالبين للحقيقة، أي لو كان الحق خالصاً من ممازجة الباطل ومشابهته لكان ظاهراً لا يخفى على من طلبه.

(٥) الضغث – بالكسر – قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس، يريد أنه إن أخذ الحق من وجه لم يعدم شبهاً له من الباطل يلتبس به، وإن نظر إلى الباطل لاح كأن عليه صورة الحق فاشتبه، فذلك ضغث الحق، وهذا ضغث

فَيَمْتَزِجَانِ ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى .

ومن خطبة له عليه السلام

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة[1] الفرات بصفين ومنعوهم الماء

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ[2] فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ؛ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تُرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ . وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ[3] . وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ[4] حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ[5] .

الباطل ومصادر الاهواء التي ينشأ عنها وقوع الفتن انما هي من الالتباس الواقع بين الحق والباطل .

(١) الشريعة : مورد الشاربة من النهر .

(٢) طلبوا منكم ان تطعموهم القتال كما يقال « فلان يستطعمني الحديث » أي . يستدعيه مني . وقوله « فأقروا الخ » أي إما ان تثبتوا على الذل وتأخر المنزلة ، وإما ان ترووا سيوفكم الخ .

(٣) [وقوله فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين من لطائف الكلام ومحاسنه لقوله ان الموت الذي عساهم يفرون من القتال خوفاً منه موجود في الغاية التي يطلبونها من ترك القتال] اللمة : بضم اللام وتشديد الميم : الأصحاب في السفر ، ومخففها - الجماعة القليلة مطلقـــاً ، او من الثلاثة الى العشرة . والتقليل مستفاد من الاول بطريق الكناية ، ومن الثاني على الحقيقة الصريحة ، وفي الأول الاشارة الى انهم ليسوا بأهل حرب

(٤) عمس الكتاب والخبر - كنصر - اخفاه و « عمس عليه » اي أريته انك لا تعرف الأمر وأنت به عارف ، والأعراض . جمع غرض ، وهو الهدف .

(٥) [وتشبيه النحور بأغراض المنية وجهه انها اشبهت ما ينصبه الرامي هدفاً

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وهي في التزهيد من الدنيا وثواب الله للزاهد ونعم الله على الخلق]

التزهيد في الدنيا

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ (١) فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا (٢) وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ (٣) أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً (٤) فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ (٥) أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ (٦) فَأَزْمِعُوا

وهو قول بليغ].

(١) [تنكر معروفها جهل منها ما كان معروفاً] حذاء: مسرعة ورحم حذاء: مقطوعة غير موصولة، وفي رواية «جذاء» ـ بالجيم ـ أي مقطوعة الدر والخير.

(٢) تحفزهم: تدفعهم وتسوقهم، حفزه يحفزه: دفعه من خلفه أو هو بمعنى تطعنهم من «حفزه بالرمح» إذا طعنه.

(٣) تحدر ـ بالراء ـ من باب نصر وضرب ـ أي: تحطهم بالموت، وفي رواية ـ وهي الصحيحة ـ «تحدو» بالواو بعد الدال، أي تسوقهم بالموت إلى الهلاك، فتكون الفقرة في معنى سابقتها مؤكدة لها.

(٤) أمرّ الشيء: صار مراً، وكدر كدراً ـ كفرح فرحاً ـ وكدر ـ بالضم ـ كظرف ـ كدورة: تعكر وتغير لونه واختلط بما لا يستساغ هو معه.

(٥) السملة ـ محركة ـ: بقية الماء في الحوض، والإداوة: المطهرة، وهي إناء الماء الذي يتطهر به، والمقلة ـ بالفتح ـ حصاة يضعها المسافرون في إناء، ثم يصبون الماء فيه ليغمرها، فيتناول كل منهم مقدار ما غمرها، لا يزيد أحدهم عن الآخر في نصيبه: يفعلون ذلك إذا قل الماء، وأرادوا قسمته بالسوية.

(٦) التمزز: الامتصاص قليلاً قليلاً، والصديان: العطشان، وقوله «لم ينقع» أي: لم يرو.

عِبادَ اللهِ الرَّحيلَ عَنْ هذهِ الدارِ المَقْدُورِ عَلى أَهْلِها الزَّوالُ(١) ولا يَغْلِبَنَّكُمْ فيها الأَمَلُ، ولا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ.

ثواب الزهاد

فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنينَ الوُلَّهِ العِجالِ(٢) وَدَعَوْتُمْ بِهَديلِ الحَمامِ(٣) وَجَأَرْتُمْ جُؤارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبانِ(٤) وخَرَجْتُمْ إِلى اللهِ مِنَ الأَمْوالِ والأَوْلادِ، التِماسَ القُرْبَةِ إِلَيْهِ في ارْتِفاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْها كُتُبُهُ، وحَفِظَها رُسُلُهُ(٥) — لَكانَ قَليلاً فِيما أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوابِهِ، وأَخافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقابِهِ.

نعم الله

وتَاللهِ لَوِ انْماثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِياثاً(٦)، وسالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيا — ما الدُّنْيا باقِيَةٌ(٧) ما جَزَتْ أَعْمالُكُمْ عَنْكُمْ — وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ

---

(١) أزمعوا الرحيل: أي اعزموا عليه، يقال: أزمع الأمر، ولا يقال أزمع عليه، وجوزه الفراء بمعنى عزم عليه وجمع، والمراد من العزم على الرحيل مراعاته والعمل له.

(٢) كل أنثى فقدت ولدها فهي واله ووالهة، والعجال من الإبل: التي فقدت ولدها

(٣) هديل الحمام: صوته في بكائه لفقد إلفه.

(٤) جأرتم: رفعتم أصواتكم، والجؤار: الصوت المرتفع، أي: تضرعتم إلى الله بأرفع أصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل، والمتبتل: المنقطع للعبادة.

(٥) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد.

(٦) انماثت: ذابت.

(٧) «ما الدنيا باقية» أي: مدة بقائها.

جُهْدِكُمْ، أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ(1).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكرى يوم النحر [وصفة الأضحية]

وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا(2) وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا. فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ(3) تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ(4).

قال السيد الشريف: والمنسك هنا المذبح.

---

(1) قوله «ما جزت» جواب «لو كانت». وقوله «أنعمه عليكم العظام» مفعول «جزت» أي: ما كافأ ذلك أنعمه الكبار عليكم. وقوله «ولو لم تبقوا شيئاً الخ» اعتراض بين الفعل والمفعول لبيان غاية السعي في المطلوب. وقوله «وهداه إياكم» عطف على أنعمه من عطف الخاص على العام؛ فإن الهداية إلى الإيمان من أكبر النعم.

(2) الأضحية: الشاة التي طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى، واستشراف الأذن: تفقدها حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوقة. وفي الحديث: «أمرنا أن نستشرف العين والأذن»، أي: نتفقدهما. وذلك من كمال الأضحية، أي: من كمال خلقها وتمام صفتها. وتكون سلامة عينها عطفاً على أذنها. وقد يراد من استشراف الأذن طولها وانتصابها، يقال: «أذن شرفاء» أي: منتصبة طويلة، فسلامة عينها عطف على استشراف. والتفسير الأول أمس بقوله «فإذا سلمت الأذن».

(3) عضباء القرن: مكسورته.

(4) «تجر رجلها الى المنسك» أي عرجاء. والمنسك: المذبح، وفي صفات الأضحية وعيوبها المخلة بها تفصيل وخلافات تطلب من كتب الفقه.

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام]

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وُرُودِهَا [1] قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا ، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا [2] حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ ، وَقَدْ قَلَّبْتُ هٰذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ [3] فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم [4] فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ [5] .

ومن كلام له عليه السلام

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلُّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةَ [6] الْمَوْتِ ؟ فَوَاللهِ مَا أُبَالِي

---

(١) تداكوا : تزاحموا عليه يدك بعضهم بعضاً ، والهيم : العطاش [من الابل] ويوم ورودها . يوم شربها [من الورد]

(٢) جمع المثناة –بفتح الميم وكسرها– حبل من صوف او شعر يعقل به البعير.

(٣) [أي انه – عليه السلام – قلب وجوه الرأي حتى يتبين له ما يلزم في ترك القتال من الحظ] .

(٤) قتال البغاة من الواجب على الامام ؛ فان لم يقاتلهم على قدرة منه – كان معانداً لأمر الله في ترك ما اوجبه عليه ؛ فكأنه جاحد لما جاء به رسول الله ﷺ .

(٥) [استعار لفظ الموتات للأهوال والشدائد في الدنيا والآخرة لما بين الموت وبينها من المناسبة في الشدة] .

(٦) [نصب كراهية على المفعول لأجله] .

أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ(١). وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ، فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يصف أصحاب رسول الله وذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح]

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا: مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ(٢) وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ

---

(١) روي أن أمير المؤمنين بعدما ملك الماء على أصحاب معاوية ساهمهم فيه؛ رجاء أن يعطفوا إليه، ولزوماً للمعدلة وحسن السيرة، ومكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه منه شيء، واستبطأ الناس إذنه في قتال أهل الشام واحتجوا في سبب التريث، فقال بعضهم: كراهة الموت، وذهب بعضهم إلى الشك في جواز قتال أهل الشام؛ فأجابهم: أما الموت فلم يكن ليبالي به، وأما الشك فلا موضع له، وإنما يرجو بدفع الحرب أن ينحازوا إليه بلا قتال، فإن ذلك أحب إليه من القتال على الضلال، وإن كان الإثم عليهم، وتبوء بآثامها: ترجع بها، وتعشو إلى ضوئه: تستدل عليه ولو كان ببصر ضعيف — في ظلام الليل فتهتدي إليه. عشا إلى النار أي: أبصرها ليلاً ببصر ضعيف فقصدها.

(٢) اللقم — بالتحريك ووزنه جرد أيضاً — معظم الطريق أو جادته، ويقال عليك بلقم الطريق: الزمه، ويقال أيضاً: لقم الطريق — من باب نصر — إذا سده، ومضض الألم: لذعته وبرحاؤه.

تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا[1] أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ: فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ[2] وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ[3]، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ. وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ، وَايْمُ اللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً[4] وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في صفة رجل مذموم ثم في فضله هو عليه السلام]

أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ[5] يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ

---

(١) يتخالسان: كل منهما يطلب اختلاس روح الآخر، والتصاول: أن يحمل كل قرن على قرنه.

(٢) الكبت: الذل والخذلان.

(٣) جران البعير بالكسر: مقدم عنقه من مذبحه الى منحره، وإلقاء الجران: كناية عن التمكن.

(٤) الاحتلاب: استخراج ما في الضرع من اللبن، والضمير المنصوب يعود الى أفعالهم المفهومة من قوله «ما أتيتم»، واحتلاب الدم تمثيل لاحتوائها على أنفسهم سوء العاقبة من أفعالهم، وسيشعرون تلك الاعمال بالندم عندما تصيبهم دائرة السوء أو تحل قريباً من دارهم.

(٥) مندحق البطن: عظيم البطن بارزه، كأنه لعظمه مندلق من بدنه يكاد يبين عنه، وأصل «اندحق» بمعنى اندلق، وفي الرحم داحصة. والدحوق من النوق – التي يخرج رحمها عند الولادة، ورحب البلعوم: واسعه، يقال: عنى به زياداً، وبعضهم يقول: عنى المغيرة بن شعبة، والبعض يقول: معاوية [وبعضهم يقول عنى به الحجاج]

تَقْتُلُوهُ![1] أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي: أَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي: فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ. وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّأُوا مِنِّي، فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ[2].

ومن كلام له عليه السلام

كلم به الخوارج[3] [حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا: ألا حكم إلا لله]

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ[4]، وَلاَ بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ. أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ! فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاًّ شَامِلاً وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً[5].

قال الشريف: قوله عليه السلام «ولا بقي منكم آبر» يروى بالباء

(١) أمرهم ألا يقتلوه، لأنه لا يستحق ذلك، ثم أخبر أنهم ليسوا بقاتليه، وأنهم سيعجزون هذا الأمر.

(٢) قد يسب شخصاً وهو مكره، وذنبه مغتفر، فيعفو من شر من كرهك، وما أكرهت على سبه لا مستعظم لأمره يريد أن يحط منه وذلك زكاة المسبوب. أما البراءة من شخص فهي الانسلاخ من مذهبه.

(٣) زعم الخوارج خطأ الإمام في التحكيم وغلوا فشرطوا في العودة الى طاعته أن يعترف بأنه كان قد كفر ثم آمن، فخاطبهم بكلام منه هذا الكلام.

(٤) الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب والحصباء، والجملة دعاء عليهم بالهلاك.

(٥) وأوبوا شر مآب، انقلبوا شر منقلب بضلالكم في زعمكم، وارتدوا على أعقابكم بفساد هواكم، فلن يضرني ذلك شيئاً وأنا على بصيرة في أمري. ثم أنذرهم بما سيلاقون من سوء المنقلب والأثرة والاستبداد فيهم، والاختصاص بفوائد الملك دونهم، وحرمانهم من كل حق لهم.

والراء من قولهم للذي يأبر النخل أي: يصلحه - ويروى «آثر» وهو الذي يأثر الحديث ويرويه أي يحكيه، وهو أصح الوجوه عندي، كأنه عليه السلام قال: لا بقي منكم من يروي حديث، ويروى «آبز» - بالزاي المعجمة - وهو الواثب. والهالك أيضاً يقال له آبز.

وقال عليه السلام [في الخوارج]

لما عزم على حرب الخوارج وقيل له: إن القوم عبروا جسر النهروان:

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ(1) وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ.

قال الشريف: يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جماً.

ولما قتل الخوارج قيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم

قال عليه السلام

كَلَّا وَاللهِ، إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ(2) كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ

(1) إنه ما نجا منهم إلا تسعة تفرقوا في البلاد، وما قتل من أصحاب أمير المؤمنين إلا ثمانية.

(2) «قرارات النساء» كناية عن الأرحام، و«كلما نجم منهم قرن» أي كلما ظهر وطلع منهم رئيس قتل، حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصاً سلابين لا يقومون بملك، ولا ينتصرون إلى مذهب، ولا يدعون إلى عقيدة، شأن الأشرار الصعاليك الجهلة.

وقال عليه السلام :

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ (يعني معاوية وأصحابه[1])

ومن كلام له عليه السلام

لمّا خُوِّفَ من الغيلة[2]

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً[3]، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي، فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ[4].

ومن خطبة له عليه السلام

[يحذر من فتنة الدنيا]

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا[5]، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ

---

(١) الخوارج من بعده — وإن كانوا قد ضلوا بسوء عقيدتهم فيه، إلا أن ضلالهم لشبهة تمكنت من نفوسهم فاعتقدوا الخروج عن طاعة الإمام مما يوجبه الدين عليهم، فقد طلبوا حقاً وأرادوا تقريره شرعاً فأخطؤوا الصواب فيه — لكنهم بعد أمير المؤمنين يخرجون بزعمهم هذا على من غصب على الأمر بغير حق، وهم الملوك الذين طلبوا الخلافة باطلاً فأدركوها وليسوا من أهلها، فالخوارج على ما بهم أحسن حالاً منهم.

(٢) الغيلة: القتل على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القتل [وكان خُوِّفَ من ابن ملجم مراراً، خوّفه منه الأشعث].

(٣) الجنة — بالضم — الوقاية، والملجأ، والحصن.

(٤) طاش السهم عن الهدف — من باب باع — أي: جاوزه ولم يصبه. الكلم — بالفتح — الجرح [واستعار السهم للمرض ونحوه من ضرب أو قتل فيكون سبباً للموت وبعد الكلم للأثر الناشيء عن تلك الأسباب] الكلم بالفتح الجرح

(٥) أي من رام السلامة من محنتها فليهيء وسائل النجاة وهو فيها، إذ

كَانَ لَهَا (١). أُبْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ (٢) وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ. وَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ (٣): بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ (٤)، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ.

ومن خطبة له عليه السلام

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ (٥)، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ (٦) وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ

بعد موت لا يمكن التدارك، ولا ينفع الندم. ووسائل النجاة من عمل صالح، أو إقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح، وكلاهما لا يكون إلا في دار التكاليف وهي دار الدنيا.

(١) أي: لا نجاة لمن يعمل للدنيا، بل كل من يقصد به لذة دنيوية فإنه هالك لا نجاة.

(٢) «ما أخذوه منها لها» كالمال يدخر للذة، ويقتنى لقضاء الشهوة، و«ما أخذوه لغيرها» كالمال ينفق في سبيل الخيرات، يقدم صاحبه في الآخرة على ثوابه بالنعيم المقيم.

(٣) إضافة «الفيء» إلى «الظل» إضافة الخاص للعام؛ لأن الفيء لا يكون إلا بعد الزوال.

(٤) [[illegible]] سابغاً: ممتداً ساتراً للأرض؛ وقلص: نقص، وحتى هنا [illegible]، أي أن [illegible] لانقباض [illegible] النقص.

(٥) «بادروا الآجال بالأعمال» أي: سابقوها وعاجلوها بها، أي استكملوا أعمالكم قبل حلول آجالكم.

(٦) ابتاعوا: اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدي، بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية.

بِكُمْ(١)، وَٱسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ(٢) وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَٱنْتَبَهُوا(٣) وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَٱسْتَبْدَلُوا؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى(٤)، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ(٥).

(١) «الترحل» الانتقال، والمراد هنا لازمه، وهو: إعداد الزاد الذي لا بد منه للراحل، والزاد في الانتقال عن الدنيا ليس إلا زاد التقوى. وقوله «فقد جد بكم» أي: فقد حثثتم وأزعجتم الى الرحيل، او فقد أسرع بكم مسترحلكم وأنتم لا تشعرون.

(٢) الاستعداد للموت: إعداد العدة له، او طلب العدة للقائه، ولا عدة له إلا الأعمال الصالحة. وقوله «فقد أظلكم» اي: قرب منكم حتى كأن له ظلا قد ألقاه عليكم.

(٣) اي: كونوا قوماً حذرين اذا أخذتهم الغفلة وقتاً ما، ثم صيح بهم صائح الموعظة، تنبهوا من نومهم، وهبوا لطلب نجاتهم. وقوله «وعلموا – الخ» اي: عرفوا الدنيا، وأنها ليست بدار بقاء وقرار، فاستبدلوها بدار الآخرة، وهي الدار التي ينتقل اليها.

(٤) تعالى الله ان يعمل شيئاً عبثاً وقد خلق الانسان وآتاه قوة العقل التي تصغر عندها كل لذة دنيوية، ولا تقف رغائبها عند حد منها مهما عظمت رتبته، فكأنها مفطورة على استصغار كل ما يلاقيه في هذه الحياة وطلب غاية أعلى مما يمكن ان ينال فيها؛ فهذا البعث الفطري لم يوجده الله تعالى عبثاً، بل هو الدليل الواحد في المرشد الى ما وراء هذه الحياة. و«سدى» اي: مهملين بلا راع يزجركم عما يضركم ويسوقكم الى ما ينفعكم. وأصل السدى – بضم السين، وتفتح – الابل المهملة بلا راع، ويقال بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، ورعاتنا: الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحفاظهم.

(٥) «ان ينزل به» في محل رفع بدل من الموت، اي: ليس بين الواحد منا وبين الجنة إلا نزول الموت به ان كان قد أعد للجنة عدتها، ولا بينه وبين النار إلا نزول الموت به ان كان قد عمل بعمل اهلها، فما بعد هذه الحياة إلا الحياة الاخرى وهي إما شقاء وإما نعيم.

وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ (1) وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ (2) وَإِنَّ قَادِماً يَقْدَمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا، فِي الدُّنْيَا، مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً (3) فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ، نَصَحَ نَفْسَهُ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ، غَلَبَ شَهْوَتَهُ (4) فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا (5) حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا (6) فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي

---

(1) تلك الغاية هي الأجل، و «تنقصها» أي: تنقص مدة الانتهاء إليها، وكل لحظة تمر فهي نقص في الأمد بينك وبين الأجل، والساعة تهدم ركناً من ذلك الأمد، وما كان كذلك فهو جدير بقصر المدة.

(2) ذلك الغائب هو الموت. و «يحدوه»: يسوقه، والجديدان الليل والنهار، لأن الأجل المقسوم لك إن كان بعد ألف سنة فالليل والنهار بتكرورهما عليك يسوقان إليك ذلك المنتظر على رأس الألف، وما أسرع مرهما، والانتهاء إلى العدد، وما أسرع أوبة ذلك الغائب الذي يسوقانه إليك أي: رجوعه. والموت هو ذلك القادم إما بفوز وإما بشقوة، وعدته الأعمال الصالحة، والملكات الفاضلة.

(3) «ما تحرزون به أنفسكم» أي: تحفظونها به، وذلك هو تقوى الله في السر والنجوى، وطاعة الشرع، وعصيان الهوى.

(4) قوله «فاتقى عبد ربه» وما بعده: أوامر بصيغة الماضي، ويجوز أن يكون بياناً للتزود المأمور به في قوله «فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم» أو بياناً لما يحرزون به أنفسهم.

(5) «يسوفها» أي: يؤجلها، ويؤخرها.

(6) قوله «أغفل ما يكون» حال من الضمير في «عليه». والمنية: الموت، أي: لا يزال الشيطان يزين له المعصية ويمنيه بالتوبة أن تكون في مستقبل العمر ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو في أشد الغفلة عنه.

غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً[1]، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ، نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ[2]، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ.

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها مباحث لطيفة من العلم الالهي]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً[3] فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ[4]، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ

(١) يكون عمره حجة عليه لأنه أوتي فيه المهلة، وتمكن فيه من العمل، فلم يشتغل له.

(٢) لا تبطره النعمة: لا تطغيه، ولا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر اليه.

(٣) فانه من وصف فهو كذلك بحسب وجوده، فكما ان ذاته سبحانه — لا يعتورها التغير والتبدل، فكذلك اوصافه هي ثابتة له معاً لا يسبق منها وصف وصفاً، وان كان مفهوماً قد يشعر بالتعاقب — اذا اضيفت الى غيره — فهو أول وآخر أزلا وأبدا، اي: هو السابق وجوده لكل موجود، وهو بذلك السبق باق لا يزول، وكل وجود سواه، فعلى أصل الزوال مستنده، ثم هو في ظهوره بأدلة وجوده، باطن بكنهه: لا تدركه العقول، ولا تحوم عليه الاوهام.

(٤) الواحد: أقل العدد، ومن كان واحداً منفرداً عن الشريك محروماً من المعين كان محتقراً لضعفه، ساقطاً لقلة أنصاره، أما الوحدة في جانب الله — فهي علو الذات عن التركيب المشعر بدوام الانحلال، وتفردها بالعظمة والسلطان، وفناء كل ذات سواها اذا اعتبرت منقطعة النسبة اليها، فوصف غير الله بالوحدة تقليل، والكمال في عالمه ان يكون كثيراً، إلا الله. فوصفه بالوحدة تقديس

قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا (١) وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ (٢)، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ (٣)، وَلَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ،

وتنزيه. وبقية الاوصاف ظاهرة.

(١) السامعون من الحيوان والانسان لقوى سمعهم حد محدود، فما خفي من الاصوات لا يصل اليها، فهي صم عنه، فيصم — بفتح الصاد — مضارع صم — من باب علم — إذا أصيب بالصمم وفقد السمع، وما عظم من الاصوات حتى فات المألوف الذي يستطاع احتماله يحدث فيها الصمم بصدمته لها، فيصم — بكسر الصاد، وضم حرف المضارعة — مضارع أصم، وما بعد من الاصوات عن السامع — بحيث لا يصل موج الهواء المتكيف بالصوت اليه — ذهب عن تلك القوى فلا تدركه. كل ذلك في غيره سبحانه. اما هو جل شأنه فيستوي عنده الخفي والشديد، والقريب والبعيد، لأن نسبة الاشياء اليه واحدة. ومثل ذلك يقال في البصر والبصراء.

(٢) الباطن هنا غيره فيما سبق، أي كل ما هو ظاهر بوجوده الموهوب من الله سبحانه فهو باطن بذاته، أي لا وجود له في نفسه، فهو معدوم بحقيقته، وكل باطن سواه فهو خفي المعنى، فلا يمكن ان يكون ظاهراً بذاته، بل هو باطن ابداً.

(٣) الند — بكسر النون — النظير والمثل، ولا يكون إلا مخالفاً، وجمعه أنداد، مثل حل وأحلال، ويقال: فلان ند فلان، أي: نظيره. ويقال: فلانة ند فلانة، ولا يقال: فلانة ندة فلان. والمثاور: المواثب والمحارب. والشريك المكاثر أي المفاخر بالكثرة، هذا إذا قرىء بالثاء المثلثة. ويروى المكابر — بالباء الموحدة — أي: المفاخر بالكبر والعظمة، والضد النظير أي المحاكي في الرفعة

ولا ضدّ مثاور ؛ ولكن خلائق مربوبون ، وعباد داخرون [1] ، لم يحلل في الأشياء فيقال هو كائن ، ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن [2] . لم يؤده خلق ما ابتدأ [3] ، ولا تدبير ما ذرأ [4] ، ولا وقف به عجز عمّا خلق ، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدّر [5] ، بل قضاء متقن ، وعلم محكم ، وأمر مبرم [6] . المأمول مع النقم ، والمرجوّ مع النعم .

ومن كلام له عليه السلام

[في تعليم الحرب والمقاتلة]

[والمشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الهرير أو أول اللقاء بصفين]

معاشر المسلمين ، استشعروا الخشية [7] وتجلببوا السكينة ، وعضّوا على النواجذ [8] فإنّه أنبى للسيوف عن الهام . وأكملوا

وحسب ، يقال : ثاوره في الحرب مثاورة ، أي واثبه وأنت وثبت عليه .

(1) مربوبون : أي مملوكون ، وداخرون : أذلاء ، من دخر .

(2) ولم ينأ عنها : أي لم ينفصل انفصال الجسم حتى يقال هو بائن ، أي : منفصل .

(3) لم يؤده : أي لم يثقله ، آده الأمر يؤوده : أثقله وأتعبه .

(4) ذرأ أي : خلق .

(5) ولجت عليه : دخلت .

(6) مبرم : محكم ، وأصله من أبرم الحبل ، جعله طاقين ثم فتله . وهذا أحكمه

(7) استشعر : لبس الشعار ، وهو ما يلي البدن من الثياب . وتجلبب : لبس الجلباب ، وهو ما تغطي به المرأة بدنها من فوق ؛ وجعل الخشية — أي : الخوف من الله — خشية قلبية عبر في جانبها بالاستشعار ، وعبر بالتجلبب في جانب السكينة لأن عوارضها تظهر في البدن ، كما لا يخفى .

(8) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو أقصى الأضراس . ولكل إنسان أربعة نواجذ

اللَّأْمَةَ (١) وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا (٢)، وَالْحَظُوا الْخَزْرَ (٣) وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ (٤) وَنَافِحُوا بِالظُّبَا (٥)، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا (٦). وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ (٧)، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ (٨) فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً (٩)، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ

وهي بعد الأرحاء. ويسمى الناجذ ضرس العقل؛ لأنه ينبت بعد البلوغ. وإذا عضضت على ناجذك تصلبت أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماغك فكانت هامتك أصلب وأقوى على مقاومة السيف، فكان أنبى عنها، وأبعد عن التأثير فيها. والهام: جمع هامة، وهي الرأس.

(١) اللأمة: الدرع. وإكمالها أن يزاد عليها البيضة ونحوها. وقد يراد من اللأمة آلات الحرب والدفاع، وإكمالها على هذا استيفاؤها.

(٢) مخافة أن تستعصي عن الخروج عند السل.

(٣) الخزر — محركة — النظر، كأنه من أحد الشقين، وهو علامة الغضب.

(٤) اطعنوا — بضم العين — وإن كان في النسب مثلاً كان المضارع مفتوحها، وقد يفتح فيهما. والشزر — بالفتح — الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً.

(٥) نافحوا: كافحوا وضاربوا، والظبا — بالضم — جمع ظبة، وهي طرف السيف وحده.

(٦) «صلوا» من الوصل، أي اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا أعدائكم جمع خطوة، أو إذا قصرت سيوفكم عن الوصول إلى أعدائكم فصلوها بخطاكم.

(٧) «بعين الله» أي: ملحوظون بها.

(٨) الفر: الفرار، وهو عار في الأعقاب؛ أي: في الأولاد، لأنهم يعيرون بفرار آبائهم. وقوله «وطيبوا عن أنفسكم نفساً» أي: ارضوا ببذلها فإنكم تبذلونها اليوم لتحرزوها غداً.

(٩) السجح — بضمتين — السهل.

الْمُطْنَبِ[1]، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ[2]، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ[3]، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً، فَصَمْداً صَمْداً[4] حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ، وَاللهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ[5]).

ومن كلام له عليه السلام

قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة[6] بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام:

فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟

قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟

---

(١) الرواق - ككتاب وغراب - الفسطاط، والمطنب: المشدود بالأطناب جمع طنب - بضمتين - وهو حبل يشد به سرادق البيت. وأراد بالسواد الأعظم جمهور أهل الشام، والرواق: رواق معاوية.

(٢) الثبج - بالتحريك - الوسط.

(٣) كسره - بالكسر - شقه الأسفل، كناية عن جوانبه التي يفر إليها المنهزمون، والشيطان الكامن في الكسر: مصدر للأمر بالهجوم والرجوع، فإن جبنتم مد يده للوثبة، وإن شجعتم أخر للنكوص والهزيمة رجله.

(٤) الصمد: القصد، أي: فاثبتوا على قصدكم.

(٥) لن ينقصكم شيئاً من جزائها.

(٦) سقيفة بني ساعدة اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لاختيار خليفة له.

فقال عليه السلام :

لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ !

ثم قال عليه السلام :

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قالوا : احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه السلام : أَحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ[1] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فمُلِكَتْ عليه وقُتل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ[2] ، وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ ، بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ[3] وَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً ، وَكَانَ لِي رَبِيباً[4] .

---

(١) يريد من الثمرة آل بيت الرسول ﷺ [والثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وغرسها] .

(٢) العرصة : كل بقعة واسعة بين الدور . والمراد من خلى لهم مجالاً للمعصية . والمراد بالعرصة عرصة مصر ، وكان محمد قد فر من عدوه ظناً منه أنه ينجو بنفسه ، فأدركوه وقتلوه .

(٣) « بلا ذم لمحمد » الخ ، لما يتوهم من مدح عتبة .

(٤) قالوا : إن أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب ، فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت منه محمداً ، ثم تزوجها علي بعده ، وتربى محمد في حجره ، وكان جارياً مجرى أولاده ، حتى قال علي كرم الله وجهه : محمد ابني من صلب أبي بكر .

ومن كلام له عليه السلام

[في توبيخ بعض أصحابه]

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ (1)، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ (2)، كُلَّمَا حِيصَتْ (3) مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ! أَكُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا؟ (4)، الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ (5). إِنَّكُمْ ـ وَاللهِ ـ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ (6)، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ (7)، وَلٰكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي، أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ (8)، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ (9). لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ

---

(1) البكار ـ ككتاب ـ جمع بكر: الفتي من الإبل. والعمدة ـ بفتح فكسر ـ التي انفضخ داخل سنامها من الركوب، وظاهره سليم.

(2) المتداعية: الخلقة المتخرقة، ومداراتها: استعمالها بالرفق التام.

(3) حيصت: خيطت، وتهتكت: تخرقت.

(4) المنسر ـ كمجلس ومنبر ـ: القطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير. وأطل: أشرف. وانجحر: دخل الجحر، والوجار ـ بالكسر ـ: جحر الضبع وغيرها.

(5) الأفوق من السهام: مكسور الفوق، أي: موضع الوتر منه. والناصل: العاري من النصل، والسهم إذا كان مكسور الفوق عارياً عن النصل لم يؤثر في الرمية، فهم في ضعف أثرهم وعجزهم عن النكاية بعدوهم أشبه به.

(6) الباحات: الساحات.

(7) أودكم ـ بالتحريك ـ: اعوجاجكم.

(8) أي: أذل الله وجوهكم.

(9) وأتعس جدودكم، أي: حط من حظوظكم. والتعس: الانحطاط

الْبَاطِلَ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ.

وقال عليه السلام

في سحرة اليوم الذي ضرب فيه

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ؟ فَقَالَ: «ادْعُ عَلَيْهِمْ» فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي.

قال الشريف: يعني بالأود الاعوجاج، وباللدد الخصام. وهذا من أفصح الكلام.

ومن خطبة له عليه السلام

في ذم أهل العراق [في زمانه وكانت بعد وقعة صفين]

[وفيها يوبخهم على ترك القتال والنصر يكاد يتم ثم تكذيبهم له]

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَمَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا، وَوَرِثَـ

والهلاك والتبار.

(١) السحرة — بالضم — السحر الأعلى من آخر الليل.

(٢) ملكتني عيني: غلبني النوم. وسنح لي رسول الله: مر بي كما تسنح الظباء والطير.

(٣) أملصت: [أسقطت] وألقت ولدها ميتاً.

أَبْعَدُهَا(1) أَمَا وَاللهِ مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِيَاراً، وَلكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً(2) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: يَكْذِبُ(3) قَاتَلَكُمُ اللهُ، فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى اللهِ؟ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ(4)! كَلاَّ وَاللهِ، وَلكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا(5) وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيْلُمِّهِ! كَيْلاً بِغَيْرِ

---

(1) قيمها: زوجها، وتأيمها: خلوها من الأزواج، يريد أنهم لما شارفوا استئصال أهل الشام وبدت لهم علامات الظفر بهم جنحوا إلى السلم إجابة لطلاب التحكيم، فكان مثلهم مثل المرأة الحامل، لما أتمت أشهر حملها، ألقت ولدها بغير الدافع الطبيعي، بل بالحادث العرضي كالضربة والسقطة، ولم تلبث كذلك إلا هالكاً، ولم يكتف في تمثيل خيبتهم في ذلك حتى قال: ومات مع هذه الحالة زوجها، وطال تأيمها بفقدها من يقوم عليها، حتى إذا هلكت من غير ولد ورثها الأباعد البعيدون في درجة القرابة ممن لا يلتفت إلى نسبه.

(2) يقسم أنه لم يأت العراق مختاراً باعثه اختياراً تفضيله لهم على من سواهم، وإنما سيق إليهم بسائق الضرورة؛ فإنه لولا وقعة الجمل لم يفارق المدينة المنورة. ويروى هذا الكلام بعبارة أخرى وهي «ما أتيتكم اختباراً ولا جئت إليكم شوقاً» بالشين المعجمة.

(3) [والضمير راجع إليه هو ـ عليه السلام ـ].

(4) كان كرم الله وجهه كثيراً ما يخبرهم بما لا يعرفون، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فيقول المنافقون من أصحابه: إنه يكذب! كما كان المنافقون يقولون مثل ذلك للنبي ﷺ، فهو يرد عليهم قولهم بأنه أول من آمن بالله وصدق رسوله فكيف يجترئ على الكذب على الله أو على رسوله مع قوة إيمانه وكمال يقينه! ولا يجتمع كذب وإيمان صحيح!

(5) «لهجة غبتم عنها» أي: ضرب من الكلام أنتم في غيبة عنه، أي: بعد عن معناه، وبعد طبع عما حواه، فلا تفهمونه، ولذا تكذبونه.

ثَمَنٍ(1)! لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ . (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)(2)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَلَّم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله [والدعاء له]

[وفيها بيان صفات الله سبحانه وصفة النبي والدعاء له]

صفات الله

اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ(3) ، وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ ، وَجَابِلَ

---

(1) ويلمه : كلمة استعظام تقال في مقام المدح وإن كان أصل وضعها الضد [وقد يكون القصد منها الترحم ، ويحتمل أن يكون التعجب] ، ومثل ذلك معروف في لسانهم يقولون للرجل يعظمونه ويقرظونه : لا أبا لك ، وفي الحديث « فاظفر بذات الدين تربت يداك » وفي كلام الحسن يحدث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويعظم أمره « ومالك والتحكيم ، والحق في يديك ، ولا أبا لك » وأصل الكلمة : ويل أمه . وقوله « كيلا » مصدر يقع مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف أي إنه يكيل العلم والحكمة كيلا بلا ثمن ، لو أجد وعاء ، أي : لو يكيل فيه ، أي لو أجد نفوساً قابلة ، وعقولاً عاقلة .

(2) [اقتبس الآية المنبئة عن مقصوده والضمير في نبأه يعود على خبره وإنذاره لهم ، وبعد حين : أي بعد مفارقته لهم وابتلائهم من بعده]

(3) « داحي المدحوات » أي : باسط المبسوطات ، والمراد منها الأرضون ، وبسطها أن يكون كل قطعة منها صالحة لأن تكون مستقرة ومحلا للبشر وسائر الحيوان ، يتصرف عليها هذه المخلوقات في الأعمال التي وجهت إليها ، لا ينافي الكروية كما هو المشهور لغير البصر ، وإن كانت الأرض في جملتها كرية الشكل . و « داعم المسموكات » : مقيمها وحافظها [بالدعامة] ، تقول : دعمه - كمنعه - أقامه وحفظه . والمسموكات : المرفوعات ، وهي السموات ، وتقول : سمك الشيء سمكاً - كنصر نصراً - فسمك هو سموكاً - كخرج خروجاً - يتعدى ويلزم ، ومعه وقد ورد من هذا الوصف مجهول سمكاً يفوق كل سمك ، والسمك

الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا (١) شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا

صفة النبي

أَجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ (٢) الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ (٣) قَائِمًا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزًا فِي

السمك معروف في اصطلاح علم الكلام بالعمق، ودعمه للسموات: إقامته لها، وحفظها من أن تهوي بقوة معنوية، وإن لم يكن ذلك بدعائم حسية. قال صاحب القاموس: المسموكات لحن، والصواب مسمكات، ولعل هذا في إطلاق اللفظ اسماً للسموات، أما لو أطلق صفة، كما في كلام الإمام فهو صحيح فصيح، بل لا يصح غيره؛ فإن الفعل سمك لا أسمك

(١) وجابل القلوب: خالقها، والفطرة: أول حالات المخلوق التي يكون عليها في مبدأ وجوده، وهي للإنسان حالة خالية من الآراء والأهواء والديانات والعقائد، وقوله: شقيها وسعيدها، بدل من القلوب، أي: جابل الشقي والسعيد من القلوب على فطرته الأولى التي هو بها كسب عمله، فيشقى باختياره أو يهتدي إلى السعادة، وصوت فطرته يصلح في حرق الشهوة

(٢) الشرائف: جمع شريفة، والنوامي: الزوائد، والخاتم لما سبق: أي لما تقدمه من النبوات، والفاتح لما انغلق: أي كانت أبواب القلوب قد غلقت بأقفال الضلال عن طوارق الهداية ففتحها صلى الله عليه وآله وسلم بآيات نبوته، والمعلن الحق بالحق: أي مظهره بالحق والبرهان، والأباطيل: جمع باطل على غير قياس: كما أن الأضاليل جمع ضلال على غير قياس، والجيشات: جمع جيشة -بفتح فسكون- من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها، والصولات: جمع صولة، وهي السطوة، والدامغ: من دمغه إذا شجه حتى بلغت الشجة دماغه، والمراد أنه قامع ما نجم من الباطل، والكاسر لشوكة الضلال وسطوته، وذلك بسطوع البرهان، وظهور الحجة.

(٣) أي: أعلن الحق بالحق، ودفع الباطل، وقهر الضلال، كما حمل ذلك الأعمال

مُرْضَاتِكَ ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ [1] وَاعِياً لِوَحْيِكَ ، حَافِظاً عَلَى عَهْدِكَ ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ ٱلْقَابِسِ ، وَأَضَاءَ ٱلطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ [2] وَهُدِيَتْ بِهِ ٱلْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ ٱلْفِتَنِ ، وَإِلَى مُوضِحَاتِ ٱلْأَعْلَامِ ، وَنَيِّرَاتِ ٱلْأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ ٱلْمَخْزُونِ [3] ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ

الخليقة بتحمله أعباء الرسالة ، فاضطلع ـ أي : نهض بها قوياً ـ والضلاعة : القوة ، والمستوفز : المسارع المستعجل ، وقد تكون الكاف في « كما حمل » للتعليل كما في قوله :

فقلت له أبا الملحاء خذها كما أوسعتنا بغياً وعدوا

(1) الناكل : الناكص والمتأخر ، أي غير جبان يتأخر عند وجوب الاقدام ، والقدم ـ بضمتين ـ المشي الى الحرب ، ويقال : مضى قدماً ، أي : سار ولم يعرج والواهي : الضعيف . و عياً : أي حافظاً وفاهماً ، وعيت الحديث ، اذا حفظته وفهمته . و ماضياً على نفاذ امرك ، أي : نافذاً في سيره على ما فيه نفاذ امر الله ...

(2) يقال : ورى الزند ـ كرمى ـ وورِي ـ كولي ـ يري وريه ورياً ورية فهو وار . خرجت ناره ، وأوريته ووريته واستوريته . والقبس : شعلة من النار ، والقابس : الذي يطلب النار ، يقال : قبسني ناراً فأقبسني ، أي : طلبت منه فأعطاني والكلام تمثيل لنجاح طلاب الحق بسطوع طلبتهم منه وإشراق النفوس المستعدة لقبوله بما سطع من أنواره . والخابط : الذي يسير ليلاً على غير جادة واضحة فإضاءة الطريق له : جعلها مضيئة ظاهرة ، فيستقيم عليها حتى الى الغاية ، وهي السعادة فكان من ذلك ان هديت به القلوب الى ما فيه سعادتها ، بعد ان خاضت الفتن اطواراً ، واقتحمتها مراراً ، والخوضات : جمع خوضة ، وهي المرة من الخوض ، كما قال : « وهديت به القلوب ـ الخ » . والاعلام : جمع علم ـ بالتحريك ـ وهو ما يستدل به على الطريق كالمنار ونحوه ، والاعلام : موضحات الطرق لأنها تبينها للناس وتكشفها .

(3) العلم المخزون : ما اختص الله به من شاء من عباده ، ولم يبح لغير اهل

الدِّينِ(١)، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ(٢)، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ

الدعاء للنبي

اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ(٣)، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ(٤)، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ(٥)، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَّةٍ فَصْلٍ. اللَّهُمَّ

الخطورة به أن يخاطر عنه، وذلك لا يتعلق بالأحكام الشرعية.

(١) شهيدك: شاهدك على الناس، كما قال الله تعالى: «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً».

(٢) «بعيثك»: أي مبعوثك، فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح.

(٣) افسح له: وسع له ما شئت أن توسع «في ظلك» أي: إحسانك وبرك، فيكون الظل مجازاً، ومضاعفات الخير: أطواره ودرجاته.

(٤) أراد من بنائه ما شيده ﷺ بأمر ربه من الشريعة العادلة، والهدي الناصع، يسعى إليه المهتدون ويأوي إليه المضطهدون، فالإمام يسأل الله أن يعلي بناء شريعته على جميع الشرائع، ويرفع شأن هديه فوق كل هدي غيره، وإكرام المنزلة بإتمام النور، والمراد من إتمام النور تأييد الدين حتى يعم أهل الأرض، ويظهر على الدين كله، كما وعده بذلك، وإكرام المنزلة في الآخرة قد تقدم في قوله «افسح له، واجزه مضاعفات الخير».

(٥) أي: اجزه على بعثك له إلى الخلق وقيامه بما حملته، واجعل ثوابه — على ذلك — الشهادة المقبولة، والمقالة المرضية يوم القيامة. وتلك الشهادة والمقالة تصدران منه، وهو ذو منطق عدل، و«فصل» أي أمر فاصل. ويروى «وخطبة» بزيادة باء بعد الطاء — أي: مقال فاصل. وقد روي أنه ﷺ يقوم ذلك المقام يوم القيامة فيشهد على أمته وعلى غيرها من الأمم، فيكون كلامه الفصل.

أَجْمَعْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ ٱلْعَيْشِ وَقَرارِ ٱلنِّعْمَةِ (١) وَمُنَى ٱلشَّهَواتِ، وَأَهْواءِ ٱللَّذَّاتِ، وَرَخاءِ ٱلدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى ٱلطُّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ ٱلْكَرامَةِ (٢)

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا: لمّا أُخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، استشفع بالحسن والحسين عليهما السلام (٣) إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلّماه فيه، فخلّى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

أَوَلَمْ يُبايِعْنِي قَبْلَ قَتْلِ عُثْمانَ؟ لا حاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّها كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ (٤)، لَوْ بايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ (٥). أَما إِنَّ لَهُ

---

(١) تقول العرب «عيش بارد» أي لا حرب فيه ولا نزاع لأن البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة والحركة، وقرار النعمة: مستقرها حيث تدوم ولا تفنى.

(٢) منى: جمع منية — بالضم — وهي ما يتمناه الإنسان لنفسه، والشهوات: ما يشتهيه، يدعو بأن يتفق مع النبي ﷺ في جميع رغباته وميله. والرخاء: من قولهم «رجل رخي البال» أي: واسع الحال. والدعة: سكون النفس واطمئنانها. والتحف: جمع تحفة، وهي ما يكرم به الإنسان من البر واللطف. وقد كان ﷺ من أرحم الناس بالأمة، وأرفقهم بالضعفاء، وللسلام منزلة في القلوب فالإمام يطلب من الله أن يديمه له في جميع الصفات الكريمة. [ويريد من تحف الكرامات ثمرات الجنة وقطوفها]

(٣) استشفع بهما إليه: طلب أن يشفعا له عنده وليس من الجيد قولهم: استشفعت به.

(٤) كف يهودية، أي غادرة ماكرة.

(٥) السبت — بالفتح — الاست، وهو يحرض الإنسان على حدثه، وكني

بِإِمْرَةٍ كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ(١)، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ(٢) وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ(٣)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ(٤)

به عن العدد خفي، واختاره لتحقير العدد. وقد يكون ذلك إشارة الى ما كانت تفعله سفهاء العرب عند العدد بعقد أو عهد من أنهم كانوا يحمقون عند ذكره استهزاء.

(١) تصوير لقصر مدتها، وكانت تسعة أشهر.

(٢) جمع كبش، وهو من القوم رئيسهم، وفسروا الأكبش ببني عبد الملك ابن مروان بعده، وهم الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، قالوا: ولم يتول الخلافة أربعة إخوة سوى هؤلاء. ويجوز أن يراد بهم بنو مروان لصلبه وهم: عبد الملك، وعبد العزيز، وبشر، ومحمد، وكانوا كبشاً أبطالاً: أما عبد الملك فولي الخلافة، وولي محمد الجزيرة، وعبد العزيز مصر، وبشر العراق.

(٣) [في عبد إشارة الى ما يصيب الناس من ولده من القتل وتهتك الحرمة أما وصف اليوم بالأحمر فإن العرب تصف الأمر الشديد بالاحمرار لكون حمرة لون الدم].

(٤) يقسم بالله ليسلمن الامر في الخلافة لغيره ما دام النظام عامراً بالمسلمين وحافظاً لهم من الفتنة، طلباً لثواب الله على ذلك، وزهداً في الامور التي تنافسوها — أي رغبوا فيها — وإن كان في ذلك جور عليه خاصة. والزخرف:

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوَلَمْ يَنْهَ أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي (١) ؟ أَوَ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي ! وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي (٢) أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ (٣) وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ (٤) وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ

الذهب وكذلك الزبرج ـ بكسرتين ، بينهما سكون ـ ثم أطلق على كل مموه مزور ، وأغلب ما يقال الزبرج على الزينة من وشي أو جوهر ، و « من زخرفة » أي من لمعانه ، ولكن حرف آخر النعلين ، أي : ب الرغبة بما كان الباعث عليها الزخرف والزبرج ، ولولا لزوم ذلك للامارة ما كان فيها التنافس [ولا يخفى أن تسليم علي للراشدين غير التسليم بعدوه ولذلك لزمه قتاله !] .

(١) قرفه قرفاً ـ بالفتح ـ عابه ، و « علمها » فاعل « ينه » ، و « أمية » مفعول . أي : ألم يكن في علم بني أمية بحالي ومكاني من الدين والتحرج من سفك الدماء بغير حق ما ينهاهم عن أن يعيبوني بالاشتراك في دم عثمان ؟ خصوصاً وقد علموا أني كنت له لا عليه ، ومن أحسن الناس قولاً فيه ، و « سابقته » حاله المعلومة لهم مما تقدم . و « وزع » بمعنى : كف ، والتهمة ـ بفتح الهاء بعد ضم التاء ـ رميه بعيب الاشتراك في دم عثمان .

(٢) « ولما ـ الخ » اللام هي التي للتأكيد ، و « ما » موصول مبتدأ ، و « أبلغ » خبره . والله قد وعظهم في الغيبة بأنها في منزلة أكل لحم الأخ ميتاً .

(٣) « حجيج المارقين » أي : خصيمهم ، والمارقون : الخارجون من الدين ، والمرتابون : الذين لا يقين لهم ، وهو ـ كرم الله وجهه ـ قد رعاهم بالبرهـــان الساطع فغالبهم .

(٤) الأمثال : متشابهات الأعمال والحوادث : تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع ، وما خالفه فهو الباطل الممنوع ، وهو ـ كرم الله وجهه ـ قد

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في الوعظ بعشرين عظة]

رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا[1]، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا[2]: رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصاً، وَعَمِلَ صَالِحاً، اكْتَسَبَ مَذْخُوراً[3]، وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً، رَمَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ عِوَضاً[4]، كَابَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ، رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ[5]، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ، اغْتَنَمَ الْمَهَلَ[6]، وَبَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

جرى على حكم كتاب الله في عماله، فليس لعمر عليه أن يشير إليه بطعن، ما دام ملتزماً لأحكام الكتاب.

(١) الحكم هنا: الحكمة، قال الله تعالى: «وآتيناه الحكم صبياً»، ووعى: حفظ وفهم المراد واعتبر، أي: سمع وعمل عليه، ودنا: قرب من الرشاد الذي دعا إليه.

(٢) الحجزة ـ بالضم ـ معقد الإزار، ومن السراويل موضع التكة، والمراد الاقتداء والتمسك، يقال: أخذ فلان بحجزة فلان، إذا اعتصم به ولجأ إليه.

(٣) اكتسب مذخوراً: كسب بالعمل الصالح ثواباً يدخره ويعده لوقت حاجته.

(٤) رمى غرضاً: قصد إلى الحق فأصابه، وكابر هواه: غالبه. ويروى «كاثر» بالمثلثة ـ أي: غالبه بكثرة أفكاره الصائبة مثله.

(٥) الغراء: البيضاء الواضحة، والمحجة: جادة الطريق ومعظمه، والطريقة الغراء والمحجة البيضاء: سبيل الحق ومنهج العدل.

(٦) المهل هنا: مدة الحياة مع العافية، فإنه أمهل فيها دون أن يؤخذ بالموت أو يحل به نازلة العذاب، فهو يغتنم ذلك ليعمل فيه لآخرته، فيبادر الأجل قبل حلوله بما يتزوده من طيب العمل.

ومن كلام له عليه السلام

[وذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه]

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقاً. وَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ!

ويروى «التراب الوذمة» وهو على القلب (1)

قال الشريف: وقوله عليه السلام «ليفوقونني» أي: يعطونني من المال قليلا كفواق الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها، والوذام جمع وذمة وهي: الحزة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض (2)

ومن كلمات كان يدعو بها

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي (3) اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ

---

(1) على القلب، أي: إن الحقيقة «الوذام التربة» كما في الرواية الأولى، لا «التراب الوذمة» إذ لا معنى له، فهذه الرواية يراد منها مقلوبها.

(2) الحزة ـ بالضم ـ القطعة، وفسر صاحب القاموس «الوذمة» بمجموع المعى والكرش [واستعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا].

(3) وأيت: وعدت، وأى ـ كرعى ـ وعد وضمن، وإذا عزمت على عمل خير فكأنك وعدت من نفسك تأدية أمر الله فإن لم توف به فكأن الله لم يجد عندك وفاء بما وعدته، فتكون قد أخلفته، وخلف الوعد مسيء، فهو يطلب المغفرة على هذا النوع من الإساءة.

قَلْبِي[1]. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ[2]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يحرم تعلم التنجيم]

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك – من طريق علم النجوم

فقال عليه السلام

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ[3]؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ؛ وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ، لِأَنَّكَ – بِزَعْمِكَ أَنْتَ –

---

(1) التقرب باللسان مع مخالفة القلب، كأن يقول: الحمد لله على كل حال، ويسخط على أغلب الأحوال، أو يقول: إياك نعبد وإياك نستعين، وهو يستعين بغير الله، ويعظم أشباهاً من دونه.

(2) رمزات الألحاظ: الإشارة بها، والألحاظ جمع لحظ، وهو باطن العين. أما اللحاظ – وهو مؤخر العين – فلا أعرف له جمعاً، لا لحظ – بحسب ما بين يدي – وسقطات الألفاظ: لغوها، والجنان: القلب، والمراد وشهواته: ما يكون من ميل منه إلى غير الفضيلة، وهفوات اللسان: زلاته.

(3) حاق به الضر: أحاط به.

هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَأَمِنَ الضُّرَّ !

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ (١) ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ ، وَالْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ (٢) ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ .

ومن خطبة له عليه السلام

بعد [فراغه] من حرب الجمل ، في ذم النساء ببيان نقصهن

مَعَاشِرَ النَّاسِ ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ (٣) ، نَوَاقِصُ

---

(١) طلب لتعلم علم الهيئة الفلكية وسير النجوم وحركاتها للاهتداء بها ، وإنما يحذر مما يسمى علم التنجيم ، وهو العلم المبني على الاعتقاد بروحانية الكواكب ، وبأن لتلك الروحانية العلوية سلطاناً معنوياً على العوالم العنصرية ، وأن من يتصل بأرواحها ـ بنوع من الاستعداد ومعاونة من الرياضة ـ تكاشفه بغيب من أسرار الحال والاستقبال .

(٢) الكاهن : من يدعي كشف الغيب ، وكلام أمير المؤمنين حجة حاسمة لخيالات المعتقدين بالرمل ، والجفر ، والتنجيم ، وما شاكلها ، ودليل واضح على عدم صحتها ، ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية .

(٣) خلق الله النساء ، وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سن معينة لا تكاد تنتهي حتى تستعد لحمل وولادة ، وهكذا فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية . فلذلك قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته ، وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن ، فحقق إليهن من العقول بقدر ما يحتجن إليه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة ، فكن ـ في أحكامه ـ غير لاحقات للرجال ، لا في العبادة ، ولا الشهادة ولا الميراث .

الْحُظُوظِ ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ : فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ ، فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ (1)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في بيان الزهادة]

أَيُّهَا النَّاسُ ، الزَّهَادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ (2) فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ

---

(1) لا يريد ان يترك المعروف لمجرد امرهن به ، فان في ترك المعروف مخالفة السنة الصالحة ، خصوصاً ان كان المعروف من الواجبات ، بل يريد ان لا يكون عمل المعروف صادراً عن مجرد طاعتهن ، فاذا فعلت معروفاً فافعله لأنه معروف ولا تفعله امتثالاً لأمر امرأة . ولقد قال الامام قولاً صدقته التجارب في الاحقاب المتطاولة ، ولا استثناء بما قال ، إلا بعضاً منهن وهبن فطرة تفوق في سموها ما سمت به الفطن ، او تفاوتت ، او احدث تسلطاً من التربية طباعهن على خلاف ما غرز فيها وحولتها الى غير ما وجهت الخلقة اليه [ويجوز ان يكون النهي عن طاعتهن في المعروف ما يطمعن من ترسه التي تحق فيكون الاكثار منه سبباً لأن يطلبن ما لا يحل] .

(2) الورع : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات ، يقال : ورع الرجل — من باب علم وقطع وكرم وحسب — ورعاً مثل وعد ، وورعاً — بفتحتين كطلب — وورعة ، اي جانب الاثم ، وكف عن المعاصي ، وترك الشبهات . اي اذا عرض المحرم فمن الزهادة ان يكف عما يشتبه به ، فضلاً عنه . والشكر عند

الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا (١) تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ، فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ (٢).

ومن كلام له عليه السلام

في ذم صفة الدنيا

ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته (٣)، ومن قعد عنها واتته، ومن

النعم الاعتراف بأنها من الله، والتصرف فيها على وفق ما شرع، وقصر الأمل توقع الموت والاستعداد له بالعمل، وليس المراد منه انتظار الموت بالبطالة.

(١) عزب عنكم — من باب ضرب ونصر — عزوبا، بضمتين كقعود: أي بعد عنكم وفاتكم، والاشارة الى ما تقدم من قصر الأمل، أي إن تعسر عليكم أن تقصروا آمالكم وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم، فلا يغلب الحرام صبركم، أي فلا يفتكم الكف عن المحرمات، ولا تفتكم شكر النعم، واجتناب المحرم، ودوام الشكر على النعم، [illegible] بسعادة الحياة المعاشية [illegible]، والنصر والسعادة [illegible] في الدنيا والشقاء في الآخرة.

(٢) أعذر: بمعنى أنصف، وبمعنى بالغ في الطلب، فأعذرت فلانا قبلت عذره، أي ما جعلت له عذرا بعده لو خالف ما نصحته به. ويقال: أعذرت الى فلان، أي أقمت لنفسي عنده عذرا وصحة فيما نزل به من العقوبة، حيث حذرته، ويصح أن تكون العبارة في الكتاب على هذا المعنى [illegible] من هو الأقرب من لفظه، اليكم، ويكون الكلام على تجوز، ومعنى [illegible] فيه العذر لنا. والمسفرة: الكاشفة عن شبهها الصحيحة، وبارزة العذر: ظاهرته.

(٣) من جرى معها في مطلبها، والقصد بذلك أنه اهتم وجد في طلبها.

أبصَرَ بِها بَصَّرَتهُ[1]، وَمَنْ أَبْصَرَ إِليْها أعْمَتْهُ.

قال الشريف: أقول: وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام «من أبصر بها بصرته» وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته ولا يدرك غوره، ولا سيما إذا قرن إليه قوله «ومن أبصر إليها أعمته»، فإنه يجد الفرق بين «أبصر بها» و«أبصر إليها» واضحاً نيراً وعجيباً باهراً — صلوات الله وسلامه عليه.

ومن خطبة له عليه السلام

وهي الخطبة العجيبة وتسمى الغراء

[وفيها نعوت الله جل شأنه ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا ثم ما يلحق من دخول القيامة ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الأعراض ثم فضله عليه السلام في التذكير]

صفته جل شأنه

الحَمْدُ لِلّهِ الّذي عَلا بِحَوْلِهِ[2]، وَدَنا بِطَوْلِهِ[3]، مانِحِ كُلِّ

وقوله «فتنته» أي سحرته، فإنه كلما نال منها شيئاً فتحت له أبواب الآمال فيها، فلا يكاد يقضي منها وطراً [illegible] حتى يتعدّاه إلى مطلوب، وقوله «ومن قعد عنها واتته» يريد به أن من قوم الله نفسه بقناعته بحقه، وعفّ عن الوصول إليها بما يكون بالعيب، [illegible] الحسرة عليها، والقانع لا يكاد يخلو من شوب الألم عند [illegible]، فإنه لا يأسف على فائت منها، ولا يبطر بحاضر، ولا يعني [illegible] الاستعداد لمستقبل.

(١) «أبصر بها» أي جعلها مرآة يرى فيها آثار الجد في عظائم الأعمال ويمثل له فيها كل محمدة [illegible] الكاملين، وتنكشف له عواقب أهل الجهالة من المترفين، فقد صارت [illegible] بصره ونور عينه [illegible]. ومن أبصر إليها واشتغل بها فإنها تعمي عن كل خير فيها [illegible] ما أحسن [illegible]!

(٢) «علا بحوله» أي علا وارتفع عن جميع ما سواه، بقوته المستعلية الغالبة لأحد على كل قوة.

(٣) «دنا بطوله» أي: إنه مع علوه، سبحانه، وارتفاعه في عظمته فقد دنا

غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ[1] أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ[2] ، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً[3] ، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً ، وَأَسْتَعِينُهُ قَادِراً قَاهِراً وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً — صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ — عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ[4] وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ[5] .

الوصية بالتقوى

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللَّهِ بِتَقْوَى ٱللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ الْأَمْثَالَ[6] ،

وقرب من خلقه بطوله ، أي : عطائه وإحسانه .

(١) الأزل ـ بالفتح ـ الضيق والشدة ، وكاشف الشدة : المنفس منها ، كما أن مانح الغنيمة : معطيها المتفضل بها .

(٢) العواطف : ما يعطفك على غيرك ، ويدنيه من معروفك . وصفة الكرم في الجانب الإلهي ، وصفته في البشر ؛ بما يعطف الكريم على موضع الإحسان . وسوابغ النعم : كواملها ، من سبغ الظل ، إذا عم وشمل .

(٣) أولاً بادياً : موضعه من سابقه كموضع « قريباً هادياً » ومن بعده به بعده من سوابقها ؛ فهي أحوال من الضمير الراجعة الى الله سبحانه وتعالى ، فيكون « أولاً » صفة نصبت على الحال من ضمير به ، أي أصدق بالله حال كونه سابق كل شيء في الوجود ، فهو البادي ، أي الظاهر بذاته المظهر لغيره ، ومن كان كذلك لم يخالط التصديق به ريبة . والقريب الهادي جدير بأن يطلب منه الهداية ، والقادر القاهر حقيق بأن يستعان به ؛ لأنه قوي على المعونة ، والكافي الناصر حري بأن يتوكل عليه .

(٤) إنهاء عذره : إبلاغه ، والعذر هنا كناية عن الحجج العقلية والنقلية التي أقيمت ببعثة النبي ﷺ على أن من خالف شريعته استحق العقاب ، ومن جرى عليها استحق جزيل الثواب .

(٥) النذر : جمع نذير ، أي : الأخبار الإلهية المنذرة بالعقاب على سوء الأعمال ، أو هو مفرد بمعنى الإنذار .

(٦) ضرب الأمثال : جاء في الكلام ؛ لإيضاح الحجج ، وتقريبها في

وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَكُمْ بِالإِحْصَاءِ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرِّفَدِ الرَّوَافِغِ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ وَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ، وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

التنفير من الدنيا

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا(1) رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا(2) وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ(3) وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ

الادهان، و«وقت الآجال»: جعلها في أوقات محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر والرياش: ما ظهر من اللباس، ووجه النعمة فيه انه ساتر للعورة واق من الحر والبرد. وقد يراد بالرياش الخصب والغنى، فيكون تنبيهاً على المحن و«أرفغ لكم» أي: أوسع، يقال: رفغ عيشه - بالضم - رفاغة، أي: اتسع. و«أحاطكم بالاحصاء» أي: جعل إحصاء أعمالكم وأنفاسكم محيطاً بكم كالسور لا تعدونه ولا تتعدونه، ولا تشذ عنه شذوة، و«أرصد لكم الجزاء»: أعده لكم فلا محيص عنه، والرفد: جمع رفدة - ككسرة وكسر - وهي: العطية، والروافغ: الواسعة، والحجج البوالغ: الظاهرة البينة، و«وظف لكم مدداً» أي قدر لكم، والمدد: جمع مدة، أي: عين لكم أزمنة تحيون فيها، «في قرار خبرة» اي: في دار ابتلاء واختبار وهي دار الدنيا، وفيها الاعتبار والاختبار، والحساب عليها، اي: على ما يأتي من خير وشر

(1) رنق - كفرح - كدر، وردغ: كثير الطين والوحل. والمشرع: مورد الشاربة للشرب.

(2) يونق: يعجب، ويوبق: يهلك

(3) حائل: اسم فاعل من حال، اذا تحول وانتقل، اي: من شأنها الغرور

مَائِلٍ (١) حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا؛ قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا (٢)، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ (٣) قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ (٤)، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ (٥)، وَثَوَابِ الْعَمَلِ، وَكَذَٰلِكَ الْخَلَفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ: لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَامًا (٦) وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا (٧) يَحْتَذُونَ

الذي لا بقاء له وسقط من بعض الروايات قوله «وضوء آفل» أي: غائب لا يلبث أن يظهر حتى يغيب.

(١) السناد ـ بالكسر ـ ما يستند إليه أو دعامة يسند بها السقف، و«ناكرها» اسم فاعل من «نكر الشيء» ـ من باب علم ـ أي: جهله فأنكره.

(٢) قمص الفرس وغيره يقمص ـ من باب ضرب ونصر ـ قمصا وقماصا، أي استن؛ وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجن برجليه، وفي المثل المضروب للضعيف لا حراك به «عير دل وما بالعير من قماص»، وإنما قال «أرجل» وليس للدنيا إلا رجلان لأنه نزل البدن لها منزلة الأرجل؛ لأن المشي على جميعها. ويروي «بأرحلها» ـ بالحاء ـ جمع رحل الناقة، و«قنصت بأحبلها» أي اصطادت وأوقعت من اعترض في شباكها وحبائلها، و«أقصدت» قتلت مكانها من غير تأخير.

(٣) أعلقت به: ربطت بعنقه، و«أوهاق المنية» جمع وهق ـ بالتحريك وقد يفتح فسكون، كما يقال نهر ونهر، أي: حبال الموت.

(٤) ضنك المضجع: ضيق المرقد، والمراد القبر.

(٥) معاينة المحل: مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم، وثواب العمل: جزاؤه الأعم من شقاء وسعادة، والخلف: المتأخرون، والسلف: المتقدمون. و«يعقب السلف» أي: يتبع، ويروى «بعقب» ـ بباء الجر ـ فيكون عقب بالسكون بمعنى بعد، وأصله جري الفرس بعد جريه، يقال: لهذا الفرس عقب حسن.

(٦) «لا تقلع» أي: لا تكف المنية عن اخترامها، أي: استئصالها للأحياء.

(٧) «لا يرعوى الباقون» أي: لا يرجعون ولا يكفون عن اجترام السيئات. و«يحتذون مثالاً» أي: يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم، ويقتدون

مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً، إِلَى غَايَةِ الْانْتِهَاءِ وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ (1).

بعد الموت البعث

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ (2)، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ (3) رَعِيلاً صُمُوتاً، قِيَاماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ (4) وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي،

بهم «ويمضون ارسالا» جمع رسل بالتحريك وهو القطيع من الابل والغنم والخيل.

(1) صيور الامر ـ كتنور ـ مصيره وما يؤول اليه ، يريد الامام من ذلك ان الدنيا لا تزال تغر بنيها حتى يأنسوا اليها بالارتياح الى لذائذها ، واستسهال احتمال آلامها ، ثم تنقلب بهم الى ما لا بد منه ، وهم في غفلة لاهون.

(2) «أزف النشور» قرب البعث ، والضمير في «أخرجهم» الى البعث على سبيل المجاز ، او الى الله تعالى ، والضرائح : جمع ضريح وهو الشق وسط القبر ، وأصله من «ضرحه» اي : دفعه وأبعده ، فان المقبور مدفوع مبعود ، وهو بعد الاشياء عن الاحياء ، والاوكار : جمع وكر ، وهو مسكن الطير وجمع الكثرة وكور ، والأوجرة : جمع وجار ـ ككتاب وسحاب ـ وهو الجحر ، والذين يبعثون من الاوكار والأوجرة هم الذين افترستهم الطيور الصائدة والسباع الكاسرة.

(3) «مهطعين» اي : مسرعين الى معاده سبحانه ، الذي وعد ان يعيدهم فيه ، وقوله «رعيلا صموتا» الرعيل : القطعة من الخيل ، شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل ـ اي : القطعة المتقدمة منها ـ لأن الاسراع لا يدع احداً منهم ينفرد عن الآخر ، فان الانفراد من الابطاء ، ولا يدعهم يجتمعون جمعاً ، فيكونا التضام ولا التصاف كما يكون من الاطمئنان.

(4) «ينفذهم البصر» يخرقهم ، اي : يأتي عليهم ويحيط بهم ، اي : لا يعزب واحد منهم عن بصر الله.

عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِكَانَةِ (١)، وَضَرَعُ الِاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ، وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً (٢)، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً، وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ، وَأُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ (٣) وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ.

عجب الخلق

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً (٤)، وَمَقْبُوضُونَ

---

(١) اللبوس - بالفتح - ما يلبس، والاستكانة: الخضوع، والضرع - بالتحريك -: الوهن والضعف والخشوع، هذا إن جعلنا «عليهم» متعلقاً بمحذوف خبر عن «لبوس وضرع»، فإن جعلناه متعلقاً بالداعي - بمعنى المنادي والصائح عليهم - جعلت لبوس حالاً مسندة ويكون «لبوس» جمع لابس، وضرع - محركاً - اسم جمع لضريع بمعنى الذليل.

(٢) «هوت الأفئدة» خفقت من مخافة ولا من من العاقبة، «كاظمة» أي: ساكنة كأنها لم يزعجها من الفزع، و«مهينمة» أي مخافية، والهينمة: الكلام الخفي، و«ألجم العرق» كثر حتى امتلأت به الأفواه لغزارته فمنعها من النطق، وكان كاللجام، والشفق - محركاً - الخوف.

(٣) أرعدت: عرتها الرعدة، و«زبرة الداعي» صوته وصيحته، ولا يقال «زبرة» إلا إذا كان فيها زجر وانتهار، فإنها واحدة الزبر - أي: الكلام الشديد - والمقايضة: المعارضة، أي: مبادلة الخير بالخير، والشر بالشر.

(٤) «مربوبون»: مملوكون، والاقتسار: الغلبة والقهر، أي: إنهم كما خلقوا باقتدار الله سبحانه وقوته، فهم مملوكون له بسطوة عزته، لا خيرة لهم في ذلك، وإذا جاء الأجل قبضت أرواحهم إليه، بما يحضر عند الأجل من مرهقات الأرواح والقوى المسلطة على الفناء، و«احتضر فلان» حضرته الملائكة تقبض روحه، وكانت العرب تقول: «لبن محتضر» أي فاسد، يعنون أن الجن حضرته.

أَخْتِضَاراً ، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً ، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً ، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً ، وَمَدِينُونَ جَزَاءً ، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً ، قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ [1] ، وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتَبِ ، وَكُشِفَ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ [2] وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ [3] وَرَوِيَّةِ الْإِرْتِيَادِ ، وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ [4] فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ ، وَمُضْطَرَبِ

يقال : قلب محتضر فعل بنائه ، والأحداث . جمع حدث – بفتحتين – وهو القبر واحتدث الرجل . اتخذ حدثاً ، ويقال : جدث – بالفاء و ومضمنون لأحداث : محصورون في ضمنها ، والرفات : الحطام ، ويقال : رفته – كنصر وضرب – اي . كسره ودقه ، اي : فئته بعده كما دقت المدر والعظم الذي ، و « مبعوثون افراداً » اي : كل يسأل عن نفسه ، لا يبعث لرابطة تجمعه مع غيره ، و « مدينون » اي : مجزيون ، والدين : الجزاء ، قال (مالك يوم الدين) ، و « مميزون حساباً » كل يحاسب على عمله منفصلاً عن سواه (ولا تزر وازرة وزر اخرى) .

(١) المخرج : الخلاص من ربقة المعصية بالتوبة والانابة الخالصة ، والمنهج : الطريقة الواضحة التي دلت عليها الشريعة المطهرة ، والمستعتب المسترضي ، ويقال : ايضاً ، « استعتبه » اذا أعطاه العتبى ، وهي : الرضا ، واما ضرب لذلك مهل المستعتب لأنك اذا ستوجبت شخصاً وطلبت منه ان يرضى فلا ترهقه في المطالبة ، بل تفسح له حتى يرضى بقلبه لا بلسانه ، اي : ان الله افسح لهم في الآجال حتى يتمكنوا من مرضاته ، وأوتوا من العمر مهلة من يطلب العتبى – اي : الرضا – بأحسن العمل . ستعتبه : اتاه العتبى ، فهو المستعتب ، والمفعول مستعتب

(٢) السدف . جمع سدفة – بفتح – وهي الظلمة ، والريب : جمع ريبة ، وهي الشبهة وابهام الأمر : وكشف ذلك بما اتى من البراهين الواضحة .

(٣) خلوا : تركوا في مجال يتسابقون فيه الى الخيرات ، والجياد من الخيل : كرامها ، والمضمار المكان الذي تضمر فيه الخيل ، والمدة التي تضمر فيها ايضاً ، والروية اعمال الفكر في الأمر ليأتي على اسلم وجوهه ، والارتياد هنا : طلب مراد

(٤) الاناة : الانتظار والتؤدة ، والمقتبس : المرتاد ، اي : الذي اخذ بيده مصباحاً ليرتاد على ضوئه شيئاً غاب عنه ، ومثل هذا يتأنى في حركته خوف ان

المَهَل .

فضل الذكر

فيها أمثالاً صائبةً ، ومواعظَ شافيةً ، لو صادفت قلوباً زاكيةً ، وأسماعاً واعيةً ، وآراءً عازمةً ، وألباباً حازمةً ، فاتّقوا تقيّةَ مَنْ سمعَ فخشعَ ، واقترفَ فاعترفَ (1) ووجِلَ فعملَ ، وحاذرَ فبادرَ ، وأيقنَ فأحسنَ وعُبِّرَ فاعتبرَ ، وحُذِّرَ فازدجرَ ، وأجابَ فأنابَ (2) ، ورجعَ فتابَ ، واقتدى فاحتذى ، وأُرِيَ فرأى ، فأسرعَ طالباً ، ونجا هارباً ، فأفادَ ذخيرةً (3) ، وأطابَ سريرةً ، وعمّرَ معاداً ، واستظهرَ زاداً (4) ليومِ رحيلِهِ ، ووجهِ

يطأ مصبحه ، ويخشى أن يموت في بعض خطواته من يمشي عليه لو أسرع ، فهذا ضرب المثل به . والمضطرب : مدة الاضطراب ، أي : الحركة في العمل .

(1) اقترف : اكتسب ، ومنه : قرف يقرف لعياله ، أي : كسب يكسب . وفي التنزيل : (وليقترفوا ما هم مقترفون) وقال صاحب اللسان : وقترف الذنب اقترفه . واقترف : أذنب أتاه . ووجل : خاف ، وجلاً وموجلاً - بفتح الجيم والحاء - وبادر : سارع ، وعُبِّر - مبني للمجهول مشدد الباء - أي : عرضت عليه العبر مراراً كثيرة فاعتبر ، أي : اتعظ ، وحُذِّر - مبني للمجهول أيضاً - أي : خوف من عواقب الخطايا فازدجر ، أي : امتنع عنها . ويروى « وحذر فحذر ، وزجر فازدجر » .

(2) أجاب داعي الله الى طاعته فأناب اليه ، أي : رجع ، و « احتذى » : شاكل بين عمله وعمل مقتداه ، أي : أحسن القدوة ، و « أُري » - بضم همزة - مبني للمجهول أي : أرته الشريعة ما يجب عليه وما يجب له وما يعقب الطاعة وما يعقب المعصية ، فرأى ذلك رؤية صحيحة ترتب عليها حسن العمل .

(3) أفاد الذخيرة : استفادها واقتناها ، وهو من الأضداد .

(4) واستظهر زاداً : حمل زاداً على ظهر راحلته الى الآخرة ، والكلام تمثيل ،

سَبِيلِهِ ، وَحَالِ حَاجَتِهِ ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ (١) ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ (٢) وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ (٣) وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ

التذكير بضروب النعم

منها : جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا ، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا (٤) ، وَأَشْلَاءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا (٥) ، فِي

ووجه السبيل . المقصد الذي يركب السبيل لأجله .

(١) الجهة ـ مثلثة ـ الناحية والجانب ، وهو ظرف متعلق بمحذوف حال من ضمير « اتقوا » أي : متوجهين جهة ما خلقكم لأجله من العمل النافع لكم ، الباقي أثره لأخلافكم .

(٢) حذركم من نفسه سبحانه أن تتعرضوا لما يغضبه بمخالفة أوامره ونواهيه ؛ و « كنه ذلك » غايته ونهايته ، أي : احذروا نهاية ما حذركم ، ولا تقصروا في شيء مما يغضبه . وقد يكون المراد من كنه ما حذرنا هو البحث عن كنهه وحقيقته ، مشيراً الامام بالتقوى والبعد عن البحث في حقيقته وكنهه ، فإن الوصول إلى كنه ذاته محال .

(٣) « تنجز الوعد » طلب وفائه على عجل ، وتنجز ما وعد الله إنما يكون بالعمل له ، وبهذا التنجز العملي يستحق ما أعد الله للصالحين ، والحذر معطوف على التنجز .

(٤) عناها : أهمها ، وتعيه : تحفظه ، وتجلو من « جلا عن المكان » إذا فارقه أي : تخلص من عماها ، أي : لتبصر ، ولا تكون مبصرة حقيقة حتى يفيدها الإبصار حركة إلى نافع ، وانقباضاً عن ضار ، والأشلاء : جمع شلو : الجسد ، أو العضو ، وعلى الثاني يكون المعنى أن كل عضو فيه أعضاء باطنة أو صغيرة

(٥) الأحناء جمع حنو ـ بالكسر ـ وهو كل ما اعوج من البدن ، وملاءمة

تَرْكِيبِ صُوَرِهَا ، وَمُدَدِ عُمُرِهَا بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا (1) وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا ، فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ (2) وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ ، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ . أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الْآمَالِ ، وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوَانِ (3) ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ الْهَرَمِ ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ (4) ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ (5) وَأُزُوفِ الْإِنْتِقَالِ ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ ، وَتَلَفُّتِ الْاسْتِغَاثَةِ

الاعضاء ، وتناسبها معها . وقد يراد من الأحناء الجهات والحدود ؛ و «ملاءمة» حال من الاعضاء وملاءمة الاعضاء لجهات التي وضعت فيها ، ان يكون العضو في تلك الجهة انفع منه في غيرها ، فتكون العين في موضعها المعروف انفع من كونها في قمة الرأس مثلاً . وقوله «تركيب صورها» اي : آتية في صورها المركبة ، كما تقول . ركب في سلاحه ، اي متسلحاً .

(1) الارفاق جمع رفق ـ بالكسر ـ : المنفعة ، أو ما يستعان به عليها ، و «رائدة» اي : طالبة .

(2) مجللات ـ على صيغة اسم الفاعل ـ من «جلله» بمعنى عمه ، اي : غامرات نعمه ، يقولون : سحاب مجلل ، اي يطبق الارض .

(3) الخلاق . النصيب الوافر من الخير ، والخناق ـ بالفتح ـ حبل يخنق به . وبالضم : داء يمتنع معه نفوذ النفس . و «ارهقتهم» أعجلتهم ، و «أنف» ـ بضمتين ـ يقال : أمر انف ، اي : مستأنف لم يسبق به قدر . والأنف ايضاً : المشية الحسنة .

(4) البضاضة . رخص الجلد ورقته وامتلاؤه . والغضارة النعمة والسعة والخصب .

(5) الزيال : مصدر زايله مزايلة وزيالا اي فارقه .

بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ ، فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ (١) وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِيناً (٢) وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً ، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ (٣) وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ (٤) وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا ، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا (٥) وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا (٦) مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا ، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ؛ وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّءِ زَلَلِهَا (٧) أَوَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءَ ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ ،

(١) الأقارب: الدنو والقرب، والنحب: شهيق وغصة وهلع بصوت المريض والمضطر. والمحض: نوع الحزن من القلب، والحرص: الرق، والحفدة: البنات وأولاد الأولاد والأصهار.

(٢) غودر: ترك وبقي، ورهيناً: حبيساً.

(٣) هتكت: خرقت جلدته فقطعتها، والهوام: الحيات وكل ذي سم يقتل.

(٤) النواهك: من نهكه، نهكه السلطان: بالغ في عقوبته، وعفت: أي محت، والعواصف: الرياح الشديدة، والمعالم: جمع معلم، وهو ما يستدل به. [والحدثان مصدر يدل على الاضطراب بمعنى ما يحدث].

(٥) الشحبة — بفتح — : أي الهالكة، والبضة هنا الواحدة من البض، وهو: مصدر بمعنى ... ترشح قليلاً قليلاً، أي بعد امتلائها حتى كأن الدم يترشح منها، ونخرة: بالية.

(٦) الأعباء: الأثقال، جمع عبء، أي: حمل، وموقنة بغيب أنبائها، أي: مستكشفة ما كان غائباً عنها من أخبارها، وما أعد لها في الآخرة.

(٧) «لا تستزاد — الخ» أي: لا يطلب منها زيادة العمل، فإنه لا عمل بعد الموت، «ولا تستعتب» مبني للمفعول — أي: لا يطلب منها تقديم العتبى، أي: التوبة من العمل القبيح، أو مبني للفاعل، أي: لا يمكنها أن تطلب الرضى ولا إزالة من خطئها السيء.

وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ [1] وَتَطَؤُونَ جَادَّتَهُمْ ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا ، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا ، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا ! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا [2] وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا .

التحذير من هول الصراط

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ [3] فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ [4] ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ [5] ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ [6] وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ، ظَافِراً

---

(١) القدة — بكسر فتشديد — الطريقة ، و « تطؤون جادتهم » تسيرون على منهجهم بلا انحراف عنهم في شيء ، أي : يمسكم ما أصابهم بلا أدنى تفاوت .

(٢) « كأن المعني » أي : المقصود بالتكاليف الشرعية ، والموجه إليه التحذير والتبشير غيرها . وقوله « وكأن الرشد — الخ » أي : مع أن الرشد لم ينحصر في هذا ، بل الرشد كل الرشد إحراز الآخرة لا الدنيا .

(٣) « أن مجازكم — الخ » أنكم تجوزون على الصراط مع ما فيه من مزالق الدحض والدحض : هو انقلاب الرجل بغتة فيسقط المار ، والزلل : هو زلاق القدم ، والتارات : النوب والدفعات .

(٤) « أنصب الخوف بدنه » : أتعبه .

(٥) الغرار — بالكسر — : القليل من النوم وغيره ، و « أسهره التهجد » أي : أزال قيام الليل نومه القليل ، فذهب به بالمرة . و « أظمأ الرجاء — الخ » أي : أظمأ نفسه

بفرحة البُشرى، وراحة النُّعمى(١) في أنعم نومه، وآمن يومه، قد عبر معبر العاجلة حميداً(٢) وقدم الآجلة سعيداً، وبادر من وجل، وأكمش في مهل، ورغب في طلب، وذهب عن هرب(٣) وراقب في يومه غده، ونظر قُدُماً أمامه(٤) فكفى بالجنة ثواباً ونوالاً، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً، وكفى بالله

في هاجرة اليوم، والمعنى صام رجاء الثواب. و«ظلف الزهد ـ الخ» أي: منعها وظلف: منع، و«أوجف الذكر» تقول: «أوجف به» أي: حركه. ويروى «وجف بالذكر» أي: أسرع، كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الدابة براكبها، و«إبان الشيء» بكسر فتشديد ـ وقته الذي يلزم ظهوره فيه أي: انه خاف في الوقت الذي يعم فيه الخوف، ويروى «لأمنه» أي: خاف في الدنيا ليأمن في الآخرة، و«تنكب الشيء» مال عنه، والخالج: المشغوب من الطريق المائل عن وضحه، والوضح ـ محركة ـ الجادة، و«عن وضح» متعلق بالخالج، أي: تنكب السبل المائلات عن الجادة، واقصد المسالك: أقومها. و«لم تفتله الخ» أي: لم ترده ولم تصرفه، و«لم تعم عليه» أي: لم تخف عليه الأمور المشتبهة حتى يقع فيها بجهل على غير بصيرة.

(١) النعمى ـ بالضم ـ سعة العيش ونعيمه و«ظافراً» حال من الضمائر السابقة العائدة على «ذي لب»، و«في أنعم» متعلق براحة النعمى، وجعل اتصافه بتلك الاوصاف في حال الظفر تمثيلاً لاتصال السعادة بالفضيلة وملازمتها اياها.

(٢) العاجلة: الدنيا، وسميت معبراً لأنها طريق يعبر منها الى الآخرة، وهي الآجلة، «بادر من وجل» أي: سبق الى خير الاعمال خوفاً من انقضاء الآجال و«أكمش» أسرع، ومثله انكمش، وكمشته تكميشاً: أعجلته، والمراد جد السير في مهل الحياة.

(٣) اي: رغب فيما ينبغي طلبه، وذهب وانصرف عما يجب الهروب منه

(٤) القدم ـ بفتحتين ـ السابق، اي نظر الى ما يتقدم امامه من الاعمال ويروى قدماً ـ بضمتين ـ وهو المضي الى امام، اي مضى متقدماً.

مُنْتَقِماً وَنَصِيراً، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً (1).

الوصية بالتقوى

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ (2)، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الْآذَانِ نَجِيّاً (3) فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ (4)، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ (5)، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

ومنها في صفة خلق الانسان:

أَمْ هذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ (6)، وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ،

---

(1) الكتاب: القرآن، و«حجيجاً وخصيماً» أي: مقنعاً لمن خالفه بأنه قد حق الهلاك على نفسه، وقد يراد من الكتاب ما أحصى من الأعمال على العامل إذا عرض عليه يوم الحساب.

(2) أعذر بما أنذر: «ما» مصدرية، أعذر: أي سلب عذر المعتذر بإنذاره إياه بمواقف العمل، وقد سبقت له الحجة على الصالحين بما نهج، ووضح من طرق الخير والمعصية.

(3) ذلك العدو هو الشيطان، و«نفذ في الصدور ـ الخ» تمثيل لدقة مجاري وسوسته في الأنفس؛ فهو فيها بسوله يجري مجرى الأنفاس، ويسلك بما يأتي من مسالك الأصدقاء كأنه يجيء يسارّك، وينفث في أذنك بما تظنه خيراً لك، وأردى: أهلك، و«وعد فمنّى» أي: صور الأماني كذباً.

(4) القرينة: النفس التي يقارنها بالوسوسة، واستدرجها: نقلها من درجة الرشد إلى درجته من الضلالة، واستغلق الرهن: جعله بحيث لا تمكن تخليصه.

(5) «أنكر ـ الخ» بيان لعمل الشيطان وبراءته ممن أغواه عندما تحق كلمة العذاب.

(6) «ثم» بمعنى بل الانتقالية، بعد ما بيّن وصف الشيطان انتقل لبيان صفة

نُطْفَةً دِهَاقاً[1] وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لَافِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً، حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ[2] نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ سَادِراً[3] مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ[4] كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ، لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً[5] وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً: لَمْ

الاستار و «شغف الأستار»: جمع شغاف ـ مثل سحاب وسحب ـ وهو في الاصل غلاف القلب، استعارة للمشيمة.

(1) «دهاقاً»: متدفقاً «دفقها» أي: صبها بقوة، وقد تفسر الدهاق بالممتلئة، أي: ممتلئة من جراثيم الحياة، و«علقة محاقاً» أي: خفي فيها ومحق كل شكل وصورة وتخطيط، والجنين الولد مدة وجوده ما دام في بطن أمه، واليافع: الغلام راهق العشرين ويقصر: يكف عن الرذائل منعاً لها بالعقل والروية.

(2) «استوى مثاله» أي: بلغت قامته حد ما قدر لها من النمو.

(3) «خبط البعير»: إذا ضرب بيده الأرض لا يتوقى شيئاً، والسادر: المتحير والذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع.

(4) «متح الماء»: نزعه وهو في غرب الهوى، والمائح الذي ينزل البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو، والغرب: الدلو العظيمة، أي: لا يستقي إلا من هوى، والكدح: شدة السعي، والبدوات: جمع بداة وهي ما بدا من الرأي، أي: دائماً ما يبدو له من رغائبه، غير متقيد بشريعة، ولا ملتزم حدود عصبة

(5) «لا يحتسب رزية» أي: لا يظنها، ولا يفكر في وقوعها، «ولا يخشع» من التقية والخوف من الله تعالى، «وغريراً» ـ وزان سهمين ـ أي مغروراً، ويروى «عريراً» ـ بمهملتين ـ أي: شديداً، وهي رواية ضعيفة غير ملائمة سياق النظم، و«عاش في هفوته يسيراً»: عاش في أخطائه وخطيئاته الناشئة عن خطأ في تقدير الموقف زمناً يسيراً وهو مدة الأجل. ويروى «أسيراً».

يُفِدْ[1] عِوَضاً ، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً ، دَهَمَتْهُ[2] فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ ، فَظَلَّ سَادِراً[3] وَبَاتَ سَاهِراً ، فِي غَمَرَاتِ الآلامِ ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً ، وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً[4] وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ[5] وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً[6] وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ[7] وَنِضْوَ سَقَمٍ ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ[8] وَحَشَدَةُ الْإِخْوَانِ ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ[9]

---

(١) «لم يفد» أي: لم يستفد ثواباً.

(٢) دهمته: غشيته، وغُبَّر - بضم فتشديد - جمع غابر، أي: باق، أي في بقية جمحته على الحق، وعدم انقياده له، والسنن: الطريقة، والمراح: شدة الفرح والبطر.

(٣) «ظل سادراً» أي: حائراً، وذلك بعد ما غشيته فجعات المنية، وهي عوارض الأمراض المهلكة التي تفضي إلى الموت.

(٤) اللادمة: الضاربة.

(٥) الغمرة: الشدة تحيط بالعقل والحواس، والكارثة القاطعة للآمال، أو من «كرثه الغم» إذا اشتد عليه، والأنة - بفتح فتشديد - الواحدة من الأنين، أي التوجع، و«جذبة مكربة» أي: جذبات الأنفاس عند الاحتضار، والسوقة من ساق المريض نفسه عند الموت سوقاً وسياقاً، وسيق - على المجهول - أسرع في نزع الروح.

(٦) أبلس يبلس إبلاساً فهو مبلس، و«سلساً» أي: سهلاً لعدم قدرته على الممانعة.

(٧) رجيع من الدواب: ما رجع به من سفر إلى سفر فكلّ، والوصب: التعب، ونضو - بالكسر - مهزول.

(٨) الحفدة: الأعوان، والحشدة: المسرعون في التعاون.

(٩) منقطع الزورة: حيث لا يزار.

حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ (1) الامْتِحَانِ، وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةُ نُزُولُ الْحَمِيمِ (2)، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ (3) وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ (4) وَعَذَابِ السَّاعَاتِ! إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ

عِبَادَ اللهِ، أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا (5) وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا (6) وَسَلِمُوا فَنَسُوا (7)! أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً! احْذَرُوا الذُّنُوبَ

---

(1) النجي: من تحدثه سراً، والميت لا يسمع كلامه سوى الملائكة المكلمين له، وبهتة السؤال: حيرته.

(2) الحميم في الأصل: الماء الحار، والتصلية: الاحراق. والمراد هنا دخول جهنم، والسورة: الشدة، والزفير: صوت النار عند توقدها.

(3) الفترة: السكون، أي لا يفتر العذاب حتى يستريح المعذب من الألم، ولا تكون دعة ـ أي راحة ـ حتى تزيح ما أصابه من التعب، وليست قوة تحجز عنه، وتدفع عنه العذاب، ولا تعرض له موتة حاضرة تذهب بإحساسه عن الشعور بتلك الآلام، والناجز: الحاضر، والسنة ـ بالكسر والتخفيف ـ أول النوم، مسلية ملهية عن الألم.

(4) «أطوار الموتات ـ الخ» كل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدتها، وأطوار هذه الموتات: ألوانها، وأنواعها.

(5) «عمروا ـ الخ» عاشوا فتنعموا.

(6) أمهلوا فألهاهم المهل عن العمل، وذلك بعد أن عمروا ففهموا، وكان مقتضى الفهم أن لا يغتروا بالمهلة، ويضيعوا الفرصة.

(7) سلمت عافياتهم ورزقهم فنسوا نعمة الله في السلامة.

الْمُوَرِّطَةِ، وَالْعُيُوبِ الْمُسْخِطَةِ[1].

أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ، أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ![2] أَمْ لَا؟ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ[3]! أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ! أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ قِيدُ قَدِّهِ[4]، مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ. الْآنَ عِبَادَ اللهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ[5] وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ[6] وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ، وَبَاحَةِ الِاحْتِشَادِ[7] وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ[8] وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ[9] قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ[10] وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ

---

(١) المورطة: المهلكة.

(٢) «محار» أي: مرجع إلى الدنيا بعد فراقها.

(٣) تؤفكون: تقلبون، أي: تصرفون.

(٤) قيد قده — بكسر القاف وفتحها من الثاني — مقدار طوله، يريد مضجعه من القبر.

(٥) الخناق: الحبل الذي يخنق به، وإهماله: عدم شده على العنق مدى الحياة، أي وأنتم في فسحة من العمل وسعة من الأمل.

(٦) الفينة: بمعنى الحين والساعة والوقت، ويروى «فينة الارتياد» بمعنى الطلب.

(٧) باحة الدار: ساحتها، والاحتشاد: الاجتماع، أي أنتم في ساحة يسهل عليكم فيها التعاون على البر بالاجتماع بعضكم على بعض.

(٨) أنف — بضمتين — مستأنف المشيئة، أي: لو أردتم استئناف مشيئة وإرادة حسنة لأمكنكم.

(٩) الحوبة: الحالة أو الحاجة.

(١٠) الروع: الخوف، والزهوق: الاضمحلال.

الْمُنْتَظَرِ، وَأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ »

قال الشريف: وفي الخبر أنه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمي هذه الخطبة «الغراء».

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر عمرو بن العاص

عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ(٢) يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً(٣) وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ، أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ(٤)! لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثِماً. أَمَا ـ وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ ـ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ(٥)، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ(٦)، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا(٧)، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ

---

(١) الغائب المنتظر: الموت.

(٢) النابغة: المشهورة فيما لا يليق بها، من «نبغ» إذا ظهر [وكانت] سميت أم عمرو النابغة.

(٣) الدعابة ـ بالضم ـ المزاح واللعب، وتلعابة ـ بالكسر ـ كثير اللعب.

(٤) أعافس: أعالج الناس وأضاربهم مزاحاً، ويقال: المعافسة معالجة النساء بالمغازلة، والممارسة كالمعافسة.

(٥) «فيلحف» أي يلح، و«يسأل» الأولى مبني للفاعل، و«يسأل» في الجملة بعدها مبني للمفعول.

(٦) الإلّ ـ بالكسر ـ القرابة، والمراد أنه يقطع الرحم.

(٧) أي أنه في الحرب زاجر وآمر عظيم، أي محرض حاث، ما لم تأخذ

أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَرْمَ سُبَّتَهُ[1] أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً[2].

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها ثماني صفات من صفات الجلال]

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تَعْقِدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ[3] وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

مِنْهَا: فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ[4] وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ[5] وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ

السيوف مآخذها، فعند ذلك يكون كما قال، فإذا كان ذلك الخ.

(1) السبة ـ بالضم ـ الاست. تعريض له بفعلته عندما نازل أمير المؤمنين في وقعة صفين، فصال عليه وكاد يضرب عنقه، فكشف عورته، فالتفت أمير المؤمنين عنه وتركه.

(2) الأتية: العطية، ورضخ له: أعطاه قليلاً، والمراد بالأتية والرضيخة ولاية مصر.

(3) تعقد: مجاز عن استقرار حكمها، أي ليس له كيفية فتحكم بها.

(4) الآي: جمع آية، وهي الدليل. والسواطع: الظاهرة الدلالة

(5) البوالغ: جمع البالغة عن السنن لكشف عواقب التفريط. والنذر: جمع نذير، بمعنى الإنذار، أو المخوف، والمراد انذار المنذرين.

وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلاَئِقُ الْأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ[1]، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ[2]، وَ«كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ»: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

ومنها في صفة الجنة:

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا[3].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

[وفيها بيان صفات الحق جل جلاله ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة]

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

عظة الناس

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ، قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ[4]، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ

(1) المفظعات: من «أفظع الأمر» إذا اشتد، ويقال: أفظع الرجل — مبنياً للمجهول — إذا نزلت به الشدة.

(2) الورد — بالكسر — الأصل فيه الماء يورد للشرب، والمراد به الموت أو الحشر.

(3) بئس — كسمع — اشتدت حاجته.

(4) «إرهاق الأجل»: أن يعجل المفرط عن تدارك ما فاته من العمل، أي: يحول بينه وبينه.

بِكَظَمِهِ[1] وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ، فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ، فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللهَ، سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمًى: قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ[2] وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً[3] حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ[4] وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، فَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ[5] فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ[6] وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ

---

(1) الكظم - بالتحريك - الحلق، أو مخرج النفس، والأخذ بالكظم كناية عن التضييق عند مداركة الأجل.

(2) بين لكم أعمالكم وحددها

(3) عمر نبيه: مد في أجله.

(4) محابه: مواضع حبه، وهي الأعمال الصالحة.

(5) اصبروا أنفسكم، اجعلوا لأنفسكم صبراً فيها.

(6) الظلمة جمع ظالم [والمراد مع توسع الإنسان في الأمور المباحة واستيفائه

بِكُمُ (١) ٱلْإِدْهَانُ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ. عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَٱلْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ (٢) وَٱلْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ (٣) وَٱلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَٱلشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ ٱلرِّيَاءِ شِرْكٌ (٤). وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ (٥) وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ. جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ. ٱلصَّادِقُ عَلَى شَرَفِ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ. وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ (٦) وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ، وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ (٧) فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ

حده مشابه به من فعل ذلك شارف المكروه ثم ربما لحظ أنه لا عقاب في فعله فقادته شهوته إلى فعله فسقط في حده وشارف المحظور].

(١) المداهنة: إظهار خلاف ما في الطوية، والإدهان: مثله.

(٢) المغبون: المخدوع.

(٣) والمغبوط: المستحق لتطلع النفوس إليه، والرغبة في نيل مثل نعمته.

(٤) الرياء: أن تعمل ليراك الناس، وقلبك غير راغب فيه.

(٥) «منساة للإيمان»: موضع لنسيانه، وداعية للذهول عنه، و«محضرة للشيطان» مكان لحضوره، وداع له.

(٦) «فإنها» أي المباغضة «الحالقة» أي: الماحية لكل خير وبركة.

(٧) الأمل الذي يذهب العقل وينسي ذكر الله وأوامره ونواهيه هو استقرار النفس على ما وصلت إليه غير ناظرة إلى تغير الأحوال، ولا آخذة بالحزم في الأعمال.

ومن خطبة له عليه السلام

[وهي في بيان صفات المتقين وصفات الفساق والتنبيه الى مكان العترة الطيبة والظن الخاطىء لبعض الناس]

عِبَادَ ٱللهِ ، إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ ٱللهُ عَلَى نَفْسِهِ فَٱسْتَشْعَرَ ٱلْحُزْنَ ، وَتَجَلْبَبَ ٱلْخَوْفَ (١) فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَأَعَدَّ ٱلْقِرَى لِيَوْمِهِ ٱلنَّازِلِ بِهِ (٢) ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ ، وَهَوَّنَ ٱلشَّدِيدَ (٣) : نَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَذَكَرَ فَٱسْتَكْثَرَ (٤) ، وَٱرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سَهُلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً (٥) ، وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً (٦) . قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى مِنَ ٱلْهُمُومِ إِلَّا هَمّاً وَاحِداً ٱنْفَرَدَ بِهِ (٧) فَخَرَجَ

---

(١) استشعر : لبس الشعار ، وهو ما يلي البدن من اللباس ، وتجلبب : لبس الجلباب ، وهو ما يكون فوق جميع الثياب ، والحزن المعبر عن الوجد بالواجب ، وهو قلبي لا يظهر له أثر في العمل الظاهر . أما الخوف فيظهر أثره في البعد عما يغضب الله ، والمسارعة لعمل ما يرضيه ، وذلك أثر ظاهر ، وزهر مصباح الهدى : تلألأ وأضاء .

(٢) القرى — بالكسر — : ما يهيأ للضيف ، وهو هنا العمل الصالح يهيئه لله ، للموت وحلول الأجل .

(٣) جعل الموت على بعده قريباً منه فعمل له ولذلك هان عليه الصبر عن اللذائذ الفانية ، والأخذ بالجد في إحراز الفضائل السامية ، وذلك هو الشديد .

(٤) ذكر الله فاستكثر من العمل في رضاه ، والعذب والفرات مترادفان .

(٥) النهل : أول الشرب ، والمراد أخذ حظاً لا يحتاج معه الى العلل ، وهو الشرب الثاني .

(٦) الجدد — بالتحريك — : الأرض الغليظة ، أي : الصلبة المستوية ، ومثلها يسهل السير فيه .

(٧) الهم الواحد : هو هم الوقوف عند حدود الشريعة .

مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى ، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى ، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ [1] ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا ، وَمِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا ، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ — سُبْحَانَهُ — فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ [2] مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ [3] ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ [4] . يَقُولُ فَيُفْهِمُ ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ : قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ . قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ ، فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيَ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا [5] ، وَلَا

---

(١) جمع غمر — بالفتح — وهو معظم البحر ، والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة .

(٢) لأن من كان همه التزام حدود الله في أوامره ونواهيه نفذت بصيرته إلى سر الله في ذلك ، فصار من درجات العرفان بحيث لا يرد عليه أمر إلا أصدره على وجهه ، ولا يعرض له فرع إلا رده إلى أصله .

(٣) عشوات : جمع عشوة ، وهي سوء البصر أو العمى ، أي : إنه يكشف عن ذوي الغشوات غشاواتهم . ويروى « عشوات » : جمع عشوة — بتثليث الأول — وهي الأمر الملتبس ، والمعضلات : الشدائد والأمور لا يهتدى لوجهها .

(٤) الفلوات : جمع فلاة ، وهي الصحراء الواسعة ، مجاز عن مجالات العقول في الوصول إلى الحقائق .

(٥) أمها : قصدها .

مَظِنَّةً إِلاَّ قَصَدَهَا[1]، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ[2] فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[3] وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

صفات الفاسق

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ[4] فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّلٍ وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ: قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ؛ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤْمِنُ[6] مِنَ الْعَظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وَفِيهَا وَقَعَ. وَيَقُولُ: وَأَعْتَزِلُ الْبِدَعَ، وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لاَ يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَلاَ بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ، فَذلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ.

---

(١) «مظنة» أي: موضع ظن لوجود الفائدة.

(٢) الكتاب: القرآن، وأمكنه من زمامه: تمثيل لانقياده لأحكامه، كأنه مطية والكتاب يقوده إلى حيث شاء.

(٣) ثقل المسافر ـ محركة ـ: متاعه وحشمه، وثقل الكتاب: ما يحمل من أوامر ونواه.

(٤) «وآخر ـ الخ»، هذا عبد آخر غير العبد الذي وصفه بالأوصاف السابقة، يخالف في وصفه وصفه؛ واقتبس: استفاد. جهائل: جمع جهالة، ويراد منها تصور الشيء على غير حقيقته، ولا يستفاد من الجهال إلا ذلك، والأضاليل الضلالات، جمع ضلال على غير قياس، أو هو جمع أضلولة، ويقال: لا واحد لها من لفظها وهو الأشهر، والضلال ـ بضم فتشديد ـ: جمع ضال.

(٥) «عطف الحق ـ الخ»، حمل الحق على رغبته، أي: لا يعرف حقاً إلا ما

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ؟ (1) وَالأَعْلَامُ قَائِمَةٌ ، وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ ، وَالمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ (2) بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ ؟ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَهُمْ أَزِمَّةُ الحَقِّ ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ (3) وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الهِيمِ العِطَاشِ (4)

أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . « إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ (5) وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ » فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ (6) وَأَعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَا

---

(1) تؤفكون : تقلبون وتصرفون مبني للمجهول ـ والأعلام : الدلائل على الحق من معجزات ونحوها ، والمنار : جمع منارة ، والمراد بها ما يقام علامة على الخير والشر .

(2) يتاه بكم : من التيه بمعنى الضلال والحيرة ، وتعمهون : تتحيرون وعترة الرجل : نسله ورهطه .

(3) أي حلوا عترة النبي من نفوسكم محل القرآن من التعظيم والاحترام ، وإن القلب هو أحسن منازل القرآن .

(4) هلموا الى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم أي الابل العطشى ـ الى الماء .

(5) خذوا هذه القضية عنه ، وهي أنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت ، لبقاء روحه ساطعة النور في عالم الظهور .

(6) الجاهل يستوحش الحقيقة فينكرها ، وأشد الحقائق دقائق .

هُوَ ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ (١) وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ ، وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي ، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي (٢) وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ، فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ .

حن عالمي ،

منها : حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ (٣) تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذٰلِكَ . بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ (٤) يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً .

---

(١) الثقل هنا : بمعنى النفيس من كل شيء ، وفي الحديث عن النبي [ﷺ] قال : « تركت فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي » اي النفيسين ، وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر ، وهو القرآن ، وترك الثقل الأصغر – وهو ولداه ، ويقال عترته – قدوة للناس .

(٢) فرشتكم : بسطت لكم .

(٣) مقصورة عليهم ، مسخرة لهم ، كأنهم شدوها بعقال كالناقة « تمنحهم درها » اي لبنها .

(٤) مجة – بضم الميم – واحدة المج – بضمها أيضاً – وهي نقط العسل اي قطرة عسل تكون في افواههم كما تكون في فم النحلة يذوقونها زمانا ثم يقذفونها وهذا التفسير افضل من تفسير المجة – بالفتح – بالواحدة من مصدر « مج الشراب من فيه » اذا رمى به .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها بيان للاسباب التي تهلك الناس]

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ (١) إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ (٢) وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ ، وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ ـ مُعْتَبَرٌ (٣) . وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ ، فَيَا عَجَباً ! وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هٰذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ! لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ (٤) يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ . الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا ، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا (٥) ، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ

---

(١) يقصم : يهلك ، وأصل القصم الكسر .

(٢) جبر العظم طبه بعد الكسر حتى يعود صحيحاً ، والأزل ـ بالفتح ـ الشدة .

(٣) العتب ـ بسكون التاء ـ يريد منه عتب الزمان ، مصدر « عتب عليه » إذا وجد عليه ، وإذا وجد الزمان على شخص اشتد عليه وقهره ، والاصح أنه بتحريك التاء ، إما مفرد بمعنى الامر الكريه والفساد ، أو جمع عتبة ـ بالتحريك ـ بمعنى الشدة . يقال « ما في هذا الامر رتبة ولا عتبة » أي شدة . يقول : إنكم جديرون أن تعتبروا بأقل من الشدة المقبلة عليكم بعد ضعف أمركم وأقل من الخطب العظيم الذي مر بكم ، فكيف بمثل هذه الامور الجسام ، فأنتم أجدر أن تعتبروا بها !

(٤) ولا يعفون ـ بكسر العين وتشديد الفاء ـ من « عف عن الشيء » إذا كف عنه .

(٥) أي يستحسنون ما بدا لهم استحسانه ، ويستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون

فِي الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ. قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى وَثِقَاتٍ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبلاغ الامام عنه]

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ[1]، وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ[2]، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا[3]، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا[4] عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا. ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ[5]. فَاعْتَبِرُوا، عِبَادَ اللهِ،

رجوع الى دليل بين، أو شريعة واضحة، يثق كل منهم بخواطر نفسه، كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى، على ما بها من جهل ونقص.

(١) [الفترة ما بين زماني الرسالة] «اعتزام» من قولهم «عتزم الفرس» إذا مر جامحاً، أي. وغلبة من الفتن. ويروى «اعترام» بالراء المهملة من العرام ويقال عترم الفرس، سقط ومال.

(٢) و «تلظ» أي: تلهب.

(٣) هذا وما بعده تمثيل لتغير الدنيا، وشرافها على الزوال، ويأس الناس من التمتع بها ايام الجاهلية. واغورار الماء: ذهابه، ويروى «اعورار مائها» بالمهملة من قولهم «فلاة عوراء» أي: لا ماء بها.

(٤) من «تجهمه» أي: استقبله بوجه كريه.

(٥) «ثمرها الفتنة» أي. ليست لها نتيجة سوى الفتن، والجيفة: إشارة الى أكل العرب الميتة من شدة الاضطرار، والشعار من الثياب. ما يلي البدن، والدثار

وَٱذْكُرُوا تِلْكَ ٱلَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ (1) وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ ٱلْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ ٱلْأَحْقَابُ وَٱلْقُرُونُ (2). وَمَا أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ. وَٱللهِ مَا أَسْمَعَهُمُ ٱلرَّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا ٱلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ ٱلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِٱلْأَمْسِ، وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ ٱلْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ ٱلْأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ ٱلْأَوَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا ٱلزَّمَانِ. وَٱللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا جَهِلُوهُ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ (3). وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ جَائِلًا خِطَامُهَا (4)، رِخْوًا بِطَانُهَا، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ ٱلْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

فوق الشعار. ومن كان الخوف يتقدم السيف كان الخوف شعاراً والسيف دثاراً، وأيضاً فالخوف باطن والسيف ظاهر.

(1) «تلك» إشارة إلى حالات الأمم وبواطن العقائد، وخواتيم العادات، و«هم بها مرتهنون» أي محبوسون على عواقبها في نصيب من الذل والضعف.

(2) الأحقاب: جمع حقب ـ بالضم وبضمتين ـ قيل: ثمانون سنة، وقيل أكثر، وقيل: هو الدهر.

(3) يريد أن حالهم كحال من سبقهم، وأن من السابقين من اهتدى بهدي الرسول فنجا من سوء عاقبة ما كان فيه، ومنهم من جهل فحل به من النكال ما حل. والإمام اليوم مع هؤلاء كما كان الرسول مع أولئك، وحال السامعين في المدارك كحال السابقين، وليس هؤلاء مخصصين بشيء حرمه أولئك، ولا عالمين بأمر جهلوه. «وأصفيتم» أي خصصتم، مبني للمجهول.

(4) الخطام ـ ككتاب ـ ما يوضع في أنف البعير ليقاد به، وجولان

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته ويختمها بالوعظ]

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ[1]، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً؛ إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ[2] وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلَا فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ: ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ[3] وَإِلٰهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ[4]: يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ[5] وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ، إِلَى

لجام حركته وعدم استقراره لأنه غير مشدود. والعبارة تصوير لانطلاق الفتنة أخذ فيهم بآخذها، لا مانع لها ولا مقاوم، ووضين البعير حزام يجعل تحت بطنه، ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط

(١) روية: فكر، وإمعان نظر.

(٢) الأرتاج: جمع رتج ـ بالتحريك ـ وهو الباب العظيم، والداجي: المظلم، والساجي: الساكن، والفجاج: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين، والمهاد ـ بزنة كتاب ـ الفراش. والخلق: بمعنى المخلوق، و«ذو اعتماد» أي: بطش وتصرف بقصد وإرادة.

(٣) مبتدع الخلق: منشئه من العدم المحض، ووارثه: الباقي بعده.

(٤) دائبان: تثنية دائب، وهو الجاد المجتهد، ووصفهما بذلك لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران ولا يسكنان، وذلك كما أراد الله سبحانه.

(٥) «من الضمير» بيان لما تخفي الصدور، وذلك أخفى من خائنة الأعين،

أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ. هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ[1] وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ[2]، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

عِبَادَ اللهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ[3] وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ[4]

وهي ما تفرق من الظرف بين ما لا يحصى، وتلك أحصى، فيهما من الأرحام والظهور، أي فيها. أو يكون «من» للتبعيض أي الجزء الذي كانوا فيه من أرحام الأمهات وظهور الآباء.

(1) عازه: رام مشاركته في شيء من عزته، وشاقه: نازعه، وناوأه: خالفه.

(2) جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض، والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين، إظهاراً لتحقق الجزاء على العمل. قال تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة).

(3) العنف — بضم فسكون — ضد الرفق، ويقال: عنف عليه، وعنف به — من باب كرم فيهما — ووصف العنيف الذي لا رفق له بركوب الخيل، وجمعه عنف — وتقول أيضاً: اعتنفت الأمر، إذا أخذته بقوة وعنف، أي انقادوا إلى ما يطلب منكم بالحث الرفيق قبل أن تساقوا إليه بالعنف الشديد.

(4) «من لم يعن» بالبناء للمجهول، أي: من لم تكن له من الله عون على نفسه حتى يكون له من وجدانها منبه لم ينفعه تنبيه غيره، ويجوز أن يكون مبنياً للفاعل،

ومن خطبة له عليه السلام

تعرف بخطبة الأشباح (1) ، وهي من جلائل خطبه عليه السلام ،
وكان سأله سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عيانا ،
فغضب عليه السلام لذلك

[وفيها صفة الله تعالى وصفات مخلوقاته وختمها بالدعاء]

وصف الله تعالى

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ (2) ، وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ ، وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ ، عِيَالُهُ الْخَلْقُ ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ . الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ

أي من لم يعن الزواجر على نفسه ، والتذكير والاعتبار ، لم تؤثر فيه .

(1) [الأشباح : الأشخاص]

(2) [وعن الصادق عليه السلام أنه قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام هذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك أن رجلاً أتاه فقال له يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حباً وبه معرفة فغضب ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم خطبها] . لا يفره : لا يزيد ما عنده البخل والجمود — وهو أشد البخل — و « لا يكديه » أي لا يفقره .

شيءٌ بعدَهُ، والرادعُ أناسيَّ الأبصارِ عن أنْ تنالَهُ أو تُدرِكَهُ (١) ما اختلفَ عليهِ دهرٌ فيختلفَ منهُ الحالُ، ولا كانَ في مكانٍ فيجوزَ عليهِ الانتقالُ، ولو وهبَ ما تنفَّستْ عنهُ معادنُ الجبالِ (٢) وضحكتْ عنهُ أصدافُ البحارِ، من فِلزِّ اللُّجينِ والعِقيانِ (٣) ونُثارةِ الدُّرِّ وحصيدِ المرجانِ، ما أثَّرَ ذلكَ في جودِهِ، ولا أنفدَ سَعةَ ما عندَهُ، ولكانَ عندَهُ من ذخائرِ الإنعامِ ما لا تُنفِدُهُ مطالبُ الأنامِ (٤)، لأنَّهُ الجوادُ الذي لا يَغيضُهُ سؤالُ السائلينَ (٥) ولا يُبخِلُهُ إلحاحُ المُلحّينَ.

---

(١) الأناسي جمع إنسان، وإنسان البصر هو ما يرى وسط الحدقة ممتازاً عنها في لونها.

(٢) أبدع الامام في تسمية انفلاق المعادن عن الجواهر تنفساً، فان اغلب ما يكون من ذلك، بل كله، عن تحرك مواد ملتهبة في جوف الارض الى الخارج، وهي في سيرها اشبه بالنفس، كما ابدع في تسمية انفتاح الصدف عن الدر ضحكاً.

(٣) الفلز - بكسر الفاء واللام - الجوهر النفيس [وقيل ان الفلز ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض]، واللجين الفضة الخالصة، والعقيان ذهب ينمو في معدنه، ونثارة الدر - بالضم - منثوره، وفعالة - بالضم - تأتي كثيراً لما كان موضوعاً لحدث المختار: كالخلاصة، او الساقط المتروك: كالقلامة، وحصيد المرجان محصوده [illegible]، وقد حققت كاشفات الفنون [illegible]

(٤) أنفده بمعنى أفناه، ونفد - كفرح - فني.

(٥) يغيضه - بفتح حرف المضارعة - من غاض المتعدي، يقال غاض الماء لازماً، وغاضه الله متعدياً، ويقال أغاضه أيضاً، وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ما عنده، ويبخله - بالتخفيف - من أبخله [illegible] وجده بخيلاً، أي [illegible] - بالتشديد - [illegible]

فانظر أيها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به[1]، واستضئ بنور هدايته، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله سبحانه، فإن ذلك منتهى حق الله عليك. واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب – الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب[2] فمدح الله – تعالى – اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا، فاقتصر على ذلك، ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين. هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته[3] وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته[4] وتولهت

(١) «ائتم به» أي اسلك صفته كما وصفه اقتداء به.

(٢) السدد . جمع سدة ، وهي باب الدار ، والإقرار : فاعل «أغناهم».

(٣) ارتمت الأوهام : ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها ، ومنقطع الشيء . ما إليه ينتهي .

(٤) «مبرأ – الخ» أي الملابس هذه الخطرات المعلوم أنه لا يصل الى شيء لوقوعه عند وساوسه .

القُلُوبُ إلَيْهِ [1] لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَتِهِ [2] وَغَمُضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ [3] رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ [4] مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الِاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ [5] وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ [6] الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ [7] وَلَا

---

(١) تولهت القلوب إليه: اشتد عشقها حتى أصابها الوله، وهو الحيرة، وهو هنا ميلها لمعرفة كنهه.

(٢) لتجري الخ: لتجول بفكرها في تحقيق كيف قامت صفاته بذاته، أو كيف اتصف سبحانه بها.

(٣) وغمضت الخ: أي خفيت طرق الفكر ودقت، وبعدت في الخفاء والدقة إلى حد لا يبلغه الوصف.

(٤) ردعها الخ: جواب الشرط في قوله «إذا ارتمت ـ الخ»، وردعها: ردها، والمهاوي: المهالك، والسدف بضم ففتح ـ جمع سدفة، وهي القطعة من الليل المظلم، وجبهت: من جبهه إذا ضرب جبهته، والمراد ردت خائبة.

(٥) الجور: العدول عن الطريق، والاعتساف: سلوك غير جادة. وسلوك العقول في طريق طلباً لاكتناه ذاته، والوقوف على ما لم يكلف الوقوف عليه من كيفية صفاته، يعد جوراً وعدولاً عن الجادة، فإن العقول الحادثة ليس في طبيعتها ما يؤهلها للإحاطة بالحقائق الأزلية، اللهم إلا ما دلت عليه الآثار، وذلك هو الوصف الذي جاء في الكتاب والسنة، وأما كنه معرفته فشغل وبال.

(٦) الرويات: جمع روية، وهي الفكر.

(٧) ابتدع الخلق: أوجده من العدم المحض على غير مثال سابق، وامتثله: أي حاذاه، ولا مقدار سابق احتذى عليه، أي قاس وطبق عليه، وكان ذلك المثال أو المقدار من خالق معروف سبقه بخلقة، أي لم يقتد بخالق آخر في شيء من الخلقة، إذ لا خالق سواه.

مقدار احتذى عليه، من خالق معبود كان قبله، وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوته[1]، ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته، وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته وأعلام حكمته، فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه، وإن كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة. فأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة[2] لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك[3]، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ند لك، وكأنه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين إذ يقولون (تالله إن كنا لفي ضلال مبين، إذ نسويكم برب العالمين)

---

(1) المساك ـ كسحاب وكتاب ـ ما يمسك الشيء، كالملاك ما به تملك «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا»، وقد جعل الحاجة الظاهرة من المخلوقات إلى إقامة وجودها بما يمسكها من قوته بمنزلة الناطق بذلك المعترف به، وقوله «باضطرار» متعلق بدلنا، و«على معرفته» متعلق به أيضاً، أي دلنا على معرفته بسبب أن قيام الحجة اضطرنا إلى ذلك، و«ما دلنا» معمول لأرانا، و«ظهرت في البدائع الخ» معطوف على «أرانا».

(2) الحقاق: جمع حق ـ بضم الحاء ـ وهو رأس العظم عند المفصل، واحتجاب المفاصل: استتارها باللحم والجلد، وذلك الاستتار له دخل في تقوية المفاصل على تأدية وظائفها التي هي الغاية من وضعها في تدبير حكمة الله في خلقه للأبدان، والمراد من شبهه بالإنسان ونحوه.

(3) غيب الضمير: باطنه، والمراد منه هنا العقل والنفس، أي لم يحكم بيقينه في معرفتك بما أنت أهل له.

كذبَ العادلون بك[1] إذ شبّهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم[2]، وجزّأوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم، وقدّروك على الخلقة المختلفة القوى[3] بقرائح عقولهم، وأشهدُ أنّ من ساواك بشيءٍ من خلقك فقد عدل بك، والعادلُ بك كافرٌ بما تنزّلت به محكماتُ آياتك، ونطقت عنه شواهدُ حججِ بيّناتك، وإنّك أنت الله الذي لم تتناهَ في العقول فتكون في مهبّ فكرها مكيّفاً[4]، ولا في رويّات خواطرها فتكون محدوداً مصرّفاً[5].

ومنها: قدّر ما خلق فأحكم تقديره، ودبّره فألطف تدبيره، ووجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته، ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته، ولم يستصعب إذ أُمر بالمضيّ على إرادته[6]، وكيف وإنّما صدرت الأمور عن مشيئته؟ المنشئ

---

(١) العادلون بك: الذين عدلوا بك غيرك، أي سوّوه بك وشبّهوه به.

(٢) نحلوك: أعطوك، [illegible] [illegible] من حسّية [illegible] [illegible] وصفوك بصفات المخلوقين، [illegible] يكون من [illegible] الذي لا [illegible] [illegible] ولو [illegible] [illegible] [illegible] بذلك.

(٣) [illegible].

(٤) أي لم تكن ممّا يحدّه الوصف حتى تحيط بك العقول فتكون لك كيفية مخصوصة.

(٥) مصرّفاً: أي تصرّفك العقول بأوهامها في حدودها.

(٦) استصعب المركوب: صعب على السير راكبه، وكل مخلوق حقه [illegible] الأمر [illegible] [illegible] ويقصر دون ذلك [illegible] غير مستصعب.

أَصْنافَ ٱلأَشْياءِ بِلا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا ، وَلا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا[1] وَلا تَجْرِبَةٍ أَفادَها مِنْ حَوادِثِ ٱلدُّهُورِ[2] وَلا شَرِيكٍ أَعانَهُ عَلَى ٱبْتِداعِ عَجائِبِ ٱلأُمُورِ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِطاعَتِهِ ، وَأَجابَ إِلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ ٱلْمُبْطِئِ[3] وَلا أَناةُ ٱلْمُتَلَكِّئِ[4] فَأَقامَ مِنَ ٱلأَشْياءِ أَوَدَها[5] وَنَهَجَ حُدُودَها[6] وَلاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضادِّها ، وَوَصَلَ أَسْبابَ قَرائِنِها[7] وَفَرَّقَها أَجْناساً مُخْتَلِفاتٍ فِي ٱلْحُدُودِ وَٱلأَقْدارِ وَٱلْغَرائِزِ وَٱلْهَيْئاتِ[8] بَدايا خَلائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَها[9] وَفَطَرَها عَلَى ما أَرادَ وَٱبْتَدَعَها .

---

(١) غريزة: طبيعة ومزاج، أي ليس له مزاج كالمخلوقات الجسمية فيصدر عنه الفعل، بل هو سبحانه يفعل بمقتضى ذاته، لا بأمر عارض.

(٢) أفادها: استفادها.

(٣) لم يعترض دونه، أي: دون الخلق وإجابة دعوة الله، والريث: البطء في الأمر، أي أجاب الخلق دعوة خالقه ووهب الله فطرته بدون مهل.

(٤) الأناة: التؤدة: التمهل والتروي في حصول العمل وتركه، والمتلكئ: المتمهل [illegible] لا يتلكأ.

(٥) أودها: عوجها.

(٦) نهج: عبّد ورسم.

(٧) قرائنها: جمع قرينة، وهي النفس، أي وصل حبال النفوس، وهي من عالم النور، بالأبدان، وهي من عالم الظلمة.

(٨) الغرائز: الطبائع.

(٩) بدايا: جمع بديء، أي مصنوع.

وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا (١)، وَلاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا (٢)، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا (٣). وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا (٤)، وَنَادَاهَا

---

(١) رهوات: جمع رهوة، أي المكان المرتفع. ويقال للمنخفض أيضاً، فهو من الأضداد، والفرج: جمع فرجة ـ بضم فسكون ـ وهي المكان الخالي، يقول: قد فرج الله ما بين جرم وآخر من الأجرام السماوية، ونظمهـــا على ذلك سماء، بدون تعليق إحداها بالأخرى، وربطها بآلة حسية.

(٢) لاحم: أي ألصق، والصدوع: جمع صدع، وهو الشق، أي ما كان في الجرم الواحد منها من صدع فقد سدّه، وأصلحه فسوّاه، وذلك كما كان في بدء خلقة الأرض، وانفصالها عن الأجرام السماوية، وانفراج الأجرام عنها، فما تصدع بذلك أصلحه الله (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما).

(٣) «وشّج» بالتضعيف ـ أي شبّك من «وشج محمله» إذا شبكه بالأشرطة حتى لا يسقط منه شيء، ويقال «وشجت العروق» بالتخفيف ـ أي اشتبكت، وتقول «بينهم رحم واشجة» أي مشتبكة، أي أنه سبحانه شبّك بين كل سماء وأجرامها، وبين أزواجها ـ أي أمثالها وقرنائها ـ من الأجرام الأخرى، في الصفات العامة والمعنى عينه، وارتبط ما ينسكه بالجاذبية العامة، وهي من أعظم المظاهر لقدرته.

(٤) الهابطين والصاعدين: الأرواح العلوية والسفلية، والحزونة: الصعوبة، وقوله «وناداها ـ الخ» رجوع إلى بيان ما كانت عليه قبل النظم، يقول: كانت السموات هباءً دخاناً أشبه بالدخان منظراً، وبالبخار مادة، فنحى من الله عنها سر التكوين فتجمعت عرى أشراجها، والأشراج: جمع شرج ـ بالتحريك ـ وهي العروة، وهي مقبض الكوز والدلو وغيرهما، وتقول «أشرجت العيبة» أي أقفلت شرجهـــا، وتسمى مجرة السماء شرجاً، تشبيهاً بشرج العيبة، والشرج أو وادٍ ... على التشبيه، وتشير بإضافة العرى للأشراج إلى أن كل

بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا . وَفَتَقَ بَعْدَ الْارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا [١] . وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا [٢] وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ [٣] ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا [٤] وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا [٥] وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا [٦] ، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا ، مِنْ خَفِيَّاتِ

جزء من أجزائها عروة الآخر تضمه إليه ليمسك به ، فكل منها ممسك وكل ممسوك [illegible] عروة وله عروة .

(١) بعد ما كانت شيئاً واحداً فتق بعد رتقه ، وفصل بين أجرامها [illegible] فرج وأبواب ، وفرج ما بينها بعد ما كانت صوامت ، أي لا فرج فيها .

(٢) النقاب : جمع نقب ، وهو الخرق ، و « الشهب الثواقب » أي الشديدة الضياء ، و « الرصد » القوم يرصدون كالحرس ، وكون الرصد من الشهب في حال كونها خلقة كالحراس [illegible] فهو العلم بأن الشهب مقذوفات [illegible] أجرام الكواكب [illegible] من النقب [illegible] شهاب ، وبحث هذا آخر غير ما جاء في الكتاب العزيز ، فما جاء في الكتاب بمعنى آخر .

(٣) « وتمور » أي تضطرب في مورها ، « بأيده » أي بقوته ؛ « وأمرها أن تقف » أي ألزمها مركزها لا تفارق مدارها ؛ لا بمعنى أن تسكن .

(٤) « مبصرة » أي يبصر بها [illegible] لأجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائماً .

(٥) « ممحوة » يمحى ضوؤها في بعض أطراف الليل في أوقات من الشهر ، وفي جميع الليل تماماً منه ، ومناقل مجراهما : الأوضاع التي ينتقلان فيها من مداريهما .

(٦) « فلكها » هو الجسم الذي ركزت فيه ، وتحركت بها ، وفيه مدارها .

ذراريّ ومصابيح كواكب (١)، ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها، وأجراها على أذلال تسخيرها من ثبات ثابتها، ومسير سائرها، وهبوطها وصعودها، ونحوسها وسعودها (٢).

ومنها في صفة الملائكة

ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته، وعمارة الصفيح الأعلى (٣) من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته، وملأ بهم فروج فجاجها، وحشا بهم فتوق أجوائها (٤)، وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس، وسترات الحجب (٥)، وسرادقات المجد، ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها (٦)، فتقف

و [illegible] أي [illegible] كواكب [illegible] والأذلال: جمع ذِل بالكسر، وهو محجة الطريق، أي على الطرق التي سخرها فيها.

(١) [illegible]

(٢) نحوسها وسعودها: من أثر بعضها في غيره، ورجع فعلها على كونه.

(٣) الصفيح: السماء.

(٤) الأجواء: جمع جو.

(٥) الزجل: رفع الصوت، والحظائر: جمع حظيرة وهي الموضع يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل توقياً من البرد والريح، وهو هنا مجاز عن مقامات مقدسة للأرواح الطاهرة، والقدس: الطهر من المكروه، [illegible] والتقديس: التطهير، والأرض المقدسة: المطهرة، والسترات: جمع سترة، وهي ما يستتر به، والسرادقات: جمع سرادق، وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه.

(٦) الرجيج: الزلزلة والاضطراب، وتستك منه: أي تصم منه الآذان لشدته، وسبحات نور: أي جلالته، [illegible].

خَاسِئَةٌ عَلَى حُدُودِهَا [1] . أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ ، أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ ، وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ ، (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ [2] وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً [3] إِلَى تَمَاجِيدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ [4] لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الْآثَامِ [5] وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ [6] وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ [7] وَلَمْ

---

(١) خاسئة : مدفوعة مطرودة عن الترامي إليها .

(٢) الإخبات : الخضوع والخشوع .

(٣) جمع ذلول : خلاف الصعب .

(٤) قال بعض أهل اللغة إن منارة تجمع على منار ، ولكن لم يذكره صاحب القاموس ، وأرى أن منارا هنا جمع منارة بمعنى المسرجة ، وهي ما يوضع عليه المصباح ، والأعلام : ما يقام للاهتداء به على أفواه الطرق ومرتفعات الأرض ، والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيده .

(٥) [موصرات الآثام] مثقلاتها .

(٦) ارتحله : وضع عليه الرحل ليركبه ، والعقب : جمع عقبة وهي النوبة . والليل والنهار يتعاقبان ؛ أي لم يتسلط عليهم تعاقب الليل والنهار فيضعفهم ويعييهم .

(٧) النوازع : جمع نازعة وهي السهم أو القوس ، وعلى الأول المراد منها الشهب ، والثاني تكون الباء في بنوازعها بمعنى مع .

تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ (1) وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ (2)، وَلَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ (3) وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ (4): مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ (5) وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وَفِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ (6)، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ (7) وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ (8) وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ (9) وَلَمْ تُجَاوِزْ

---

(1) جمع معقد: محل العقد، يعني الاعتقاد.

(2) الإحن: جمع إحنة، وهي الحقد والضغينة.

(3) لاق: لصق.

(4) تقترع: يروى بالفاء والقاف، من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة، والرين: الطبع أو الدنس، وما يطبع على القلب من حجب الجهالة.

(5) جمع دالح، وهو الثقيل بمائه من السحاب.

(6) القترة: الخفاء والغموض، ومنها قولهم: وجده على قترة، أي من حيث لا يدري، والأيهم - بباء موحدة بعد الهمزة - أصله من لا يعقل ولا يفهم، ووصف به الليل وصف للشيء بما يتشبث عنه، فإن الظلام كذلك يوقع في الحيرة، ويحجب الفهم عن رشده.

(7) مواضع ما خرقت أقدامهم.

(8) جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها.

(9) شدة الشوق إليه.

رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره ، قد ذاقوا حلاوة معرفته . وشربوا بالكأس الروية من محبته [1] وتمكنت من سويداء قلوبهم [2] وشيجة خيفته [3] فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ، ولم ينفد طول الرغبة إليه مادة تضرعهم [4] ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم [5] ، ولم يتولهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ، ولا تركت لهم استكانة الإجلال [6] نصيبا في تعظيم حسناتهم ، ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ، ولم تغض رغباتهم [7] فيخالفوا عن رجاء ربهم ، ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم [8] ، ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم [9] ولم تختلف في مقاوم

---

(١) الروية : التي تروي وتذهب بالعطش .
(٢) محل الروح الحيواني من مضغة القلب .
(٣) الوشيجة : أصلها عرق الشجرة ، وأراد منها هنا علقة الخوف من الله .
(٤) أي : لم تنفد رغبتهم من مادة تضرعهم وابتهالهم .
(٥) جمع ربقة — بالكسر ، والفتح — وهي العروة من عرى الربق — بكسر الراء — وهو حبل فيه عدة عرى تربط فيه البهم .
(٦) الاستكانة : مثل السكون من شدة الخوف ، ثم استعملت في الخضوع .
(٧) دأب في العمل : بالغ في مداومته حتى أجهده .
(٨) لم تنقص ، وأسلة اللسان : طرفه ، أي لم تيبس أطراف ألسنتهم فتقف عن ذكره .
(٩) الهمس : الخفي من الصوت ، والجؤار : رفع الصوت بالتضرع ، أي لم يكن لهم من الشغل ما يقصرهم على الهمس والإخفاء ويقطع جؤارهم بالدعاء إليه .

الْقُدُسِ مَتَاكِفَهُمْ [1] ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ ، وَلَا تَعْدُو [2] عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلَادَةُ الْغَفَلَاتِ ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ [3] . قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ [4] ، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ [5] ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ [6] ، إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ [7] ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ [8] فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ [9] ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ [10] ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ،

---

(١) المقادم : جمع مقدم ، والمراد المواقف .

(٢) لا تعدو : لا تسطو .

(٣) انتضلت الإبل : رمت بأيديها في السير سرعة . وخدائع الشهوات للنفس كثيرة ، أي لم ترم خدائع الشهوات صريعاً في هممهم .

(٤) فاقتهم : حاجتهم .

(٥) يمموه : قصدوه بالرغبة والرجاء عندما انقطعت الخلق بآمالهم إلى المخلوقين .

(٦) الاستهتار : الولوع .

(٧) مواد : جمع مادة ، تطلق على زيادة المد البحري والنهر ، وكل ما أعنت به غيرك فهو مادة ، ويريد بها البواعث المعينة على الأعمال ، أي كلما تولعوا بطاعته زادت بهم البواعث عليها من الرغبة والرهبة .

(٨) الشفقة : الخوف .

(٩) ونى يني : فتر .

(١٠) وشيك السعي : مقاربه وهينه ، أي : إنه لا طمع في غيره فيختاروا هين السعي على الاجتهاد الكامل .

وَلَوِ اسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ[1] وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ ، وَلَا شَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ[2] وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ[3] فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَنًى وَلَا فُتُورٌ[4] وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ[5] إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ[6] يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً ، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء[7] :

كَبَسَ الْأَرْضَ[8] عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ ، وَلُجَجِ بِحَارٍ

---

(١) الشفقات : تارات الخوف وأطواره ، وهو فاعل نسخ ، والرجاء مفعول والوجل : الخوف أيضاً .

(٢) شعبتهم : فرقتهم مصارف الريب : جمع ريبة ، وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق .

(٣) جمع خيف – بالفتح – وهو في الأصل ما انحدر عن سفح الجبل، والمراد هنا سواقط الهمم ، فإن التفرق والاختلاف كثيراً ما يكون من انحطاط الهمة ، أو أعظم ما يكون منبعثاً عن ذلك ، وقد يكون الخيف بمعنى الناحية ، أي : متطرفات الهمم .

(٤) الونى – مصدر ونى – كتعب – أي : فتر .

(٥) جلد حيوان .

(٦) خفيف ، سريع .

(٧) دحوها : بسطها .

(٨) كبس النهر والبئر ، أي : طمها بالتراب ، وعلى هذا كان حق التعبير

زاخِرَةٍ (1) تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا (2) وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا (3) وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا ، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا (4) ، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً (5) إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا (6) فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ (7) سَاجِياً مَقْهُوراً (8) ، وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً (9) وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلَائِهِ (10) وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ (11)

كبس به مور أمواج لكنه قدم الآلة مقام المعمول لأنها مقصود بالعمل ، و المور التحرك الشديد ، و المستفحلة : الهائجة التي يصعب التغلب عليها

(1) ممتلئة .

(2) جمع آذي ، وهو أعلى الموج .

(3) اصطفقت الأشجار : اهتزت بالريح ، والأثباج جمع ثبج – بالتحريك – وهو في الأصل ما بين الكاهل والظهر ، و صدر القطاة ، مستعارة لأعالي الموج ، التي يقذف بعضها بعضاً .

(4) هو في الأصل الصدر ، استعارة لما لاقى الماء من الأرض .

(5) منكسراً : مستحياً .

(6) من « تمعكت الدابة » أي تمرغت في التراب .

(7) اصطخب : افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت .

(8) ساجياً : ساكناً .

(9) الحكمة – محركة – ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العذاران .

(10) الكبر ، والزهو .

(11) بضم الغين وفتح اللام : النشاط وتجاوز الحد.

وكعمته (١) على كظة جريته (٢) فهمد بعد نزقاته (٣) ولبد بعد زيفان وثباته (٤) فلما سكن هياج الماء من تحت أكنافها (٥) وحمل شواهق الجبال الشمخ البذخ على أكتافها (٦) فجر ينابيع العيون من عرانين أنوفها (٧)، وفرقها في سهوب بيدها وأخاديدها (٨) وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها (٩) وذوات الشناخيب الشم (١٠) من صياخيدها (١١) فسكنت من الميدان (١٢)

---

(١) كعم البعير — كمنع — شد فاه لئلا يعض أو يأكل، وما يشد به كعام — ككتاب.

(٢) الكظة — بالكسر — ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام والمراد بها هنا ما يشاهد في جري الماء من ثقل الاندفاع.

(٣) النزق والنزقان: الطيش.

(٤) الزيفان: التبختر في المشية، ولبد — كفرح ونصر — أي قام ووثب.

(٥) جوانبها.

(٦) البذخ بمعنى الشمخ جمع شامخ وباذخ: أي عال ورفيع، غير أن [illegible] لفظ الباذخ معنى [illegible] وهو الصعود مع الارتفاع، وحمل [illegible] على [illegible].

(٧) عرانين جمع عرنين — بالكسر — وهو ما صلب من عظم الأنف، والمراد أعالي الجبال، عبر بها لاستعارة من [illegible] أنوفها في هذا المقام.

(٨) السهوب جمع سهب — بالفتح — أي الفلاة، والبيد جمع بيداء، والأخاديد جمع أخدود، وهي الحفر المستطيلة في الأرض، والمراد منها مجاري الأنهار.

(٩) الضمير للأرض، كما يظهر من بقية الكلام، والجلاميد: جمع جلمود، وهو الحجر الصلد.

(١٠) الشناخيب جمع شنخوب، وهو رأس الجبل، والشم: الرفيعة.

(١١) جمع صيخود، وهو الصخرة الشديدة.

(١٢) بالتحريك: الاضطراب.

لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا (١) وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا (٢) وَرُكُوبِ أَعْنَاقِ سُهُولِ الْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا (٣) وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا (٤) ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ (٥) الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا (٦) وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا (٧) حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا (٨) وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا. أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ (٩) وَتَبَايُنِ

---

(١) سطحها.

(٢) التغلغل: الدخول، و«متسربة» أي داخلة، والجوبات جمع جوبة بمعنى الحفرة، والخياشيم جمع خيشوم، وهو منفذ الأنف إلى الرأس، أو ما رق من الغضروف الكائن فوق قصبة الأنف متصلة بالرأس، وجعل «تغلغلها» للجبال، و«خياشيمها» للأرض، والمجاز ظاهر.

(٣) ركوب الجبال أعناق السهول: استعلاؤها عليها، وأعناقها: سطوحها، وجراثيمها ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية، واستعلاء الجبال عليها ظاهر.

(٤) مرافق البيت: ما يستعين به فيه، وما يحتاج إليه في التعيش، وخصوصاً ما يكون من لوازم السكنى، أو هو ما يتم به الانتفاع بالسكنى كمصاب المياه والطرق الموصلة إليه ولوازم السكنى التي لا بد منها لساكنيها في قضاء حاجاتهم وما يشبه ذلك.

(٥) الأرض الجرز - بضمتين - التي تمر عليها مياه العيون فتنبت.

(٦) مرتفعاتها.

(٧) ذريعة: وسيلة.

(٨) الموات من الأرض: ما لا يزرع.

(٩) جمع لمعة - بضم اللام - وهي في الأصل القطعة من النبت إذا أخذت في اليبس، استعارها لقطع السحاب المتشابهة في وجه ذهابها إلى الاضمحلال، لولا تأليف الله لها مع غيرها.

قُزَعِهِ[1] حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ ٱلْمُزْنِ فِيهِ[2] وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ[3]، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ[4] وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتَدَارِكاً[5]، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ[6] تَمْرِيهِ ٱلْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ[7] فَلَمَّا أَلْقَتِ ٱلسَّحَابُ بَرْكَ بَوَانِيهَا[8]،

---

(١) جمع قزعة – محركة – وهي: القطعة من الغيم.

(٢) تمخضت: تحركت تحركاً شديداً كما يتحرك اللبن في الممخضة بالمخض، والضمير في «فيه» راجع إلى المزن، أي: تحركت اللجة التي يحملها المزن فيه، ويصح أن يرجع للغمام في أول العبارة.

(٣) جمع كفة – بضم الكاف – وهي الحاشية والطرف لكل شيء، أي: حواشيه.

(٤) نام البرق: همدت، والوميض: اللمعان، والكنهور – كسفرجل – القطع العظيمة من السحاب، أو المتراكم منه. والرباب – كسحاب – الأبيض المتلاحق منه. أي: لم يهمد لمعان البرق في ركام هذا الغمام.

(٥) سحاً: متلاحقاً متواصلاً.

(٦) أسف الطائر: دنا من الأرض، والهيدب – كجعفر – السحاب المتدلي، أو ذيله. وقوله «تمريه» من «مرى الناقة» أي: مسح على ضرعها ليحلب لبنها. والدرر – كعنب – جمع درة – بالكسر – وهي اللبن، والأهاضيب: جمع أهضاب، وهو جمع هضبة – كضربة – وهي المطرة، أي: دنا السحاب من الأرض لثقله بالماء، وريح الجنوب تستدر ماءه كما يستدر الحالب لبن الناقة، فإن الريح تحركه فيصب ما فيه.

(٧) جمع شؤبوب، وهو ما ينزل من المطر بشدة [وكأنما يصب من صبب لا من أعلى].

(٨) البراك – بالفتح – في الأصل: ما يلي الأرض من جلد صدر البعير كالبركة، والبواني هي أضلاع الزور، وشبه السحاب بالناقة إذا بركت وضربت بعنقها على الأرض ولاصقتها بأضلاع زورها. واشتغل ابن أبي الحديد في معنى البرك والبوان فأخرج الكلام عن بلاغته.

وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ [1] مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا [2] أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ [3] وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ [4] فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا [5] وَتَزْدَهِي [6] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ [7] أَزَاهِيرِهَا [8] وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ [9] مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا [10] وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ [11] وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا، فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ [12] وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا

---

(1) «وبعاع» عطف على «بركه»، والبعاع -بالفتح- ثقل السحاب من الماء، وألقى السحاب بعاعه: أمطر كل ما فيه.

(2) العبء: الحمل

(3) الهوامد من الأرض: ما لم يكن بها نبات.

(4) زعر -بالضم- جمع أزعر، وهو الموضع القليل النبات. والأنثى زعراء.

(5) تبهج -كفرح- تسر وتفرح.

(6) تعجب.

(7) جمع ريطة -بالفتح- وهي كل ثوب رقيق لين.

(8) جمع أزهار الذي هو جمع زهرة بمعنى النبت.

(9) «سمطت» من «سمط الشيء»، أي: علق عليه السموط، وهي الخيوط تنظم فيها القلادة.

(10) الأنوار جمع نور -بفتح النون- وهو الزهر بالمعنى المعروف أي حلية القلائد التي علقت عليها من أزهار نباتها، وفي رواية «شمطت» بالشين وتخفيف الميم - من «شمطه» إذا خلط لونه بلون آخر، والشميط من النبت ما كان فيه لون الخضرة مختلطاً بلون الزهر.

(11) البلاغ: ما يتبلغ به من القوت [والفجاج: الطرق].

(12) خلقته.

أكله، وأعذر إليه فيما نهاه عنه، وأعلمه أن في الإقدام عليه التعرض لمعصيته، والمخاطرة بمنزلته، فأقدم على ما نهاه عنه — موافاة لسابق علمه — فأهبطه بعد التوبة، ليعمر أرضه بنسله، وليقيم الحجة به على عباده. ولم يخلهم بعد أن قبضه، مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته، ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه، ومتحملي ودائع رسالاته، قرناً فقرناً، حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم — حجته، وبلغ المقطع عذره ونذره [1]. وقدر الأرزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها، ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها [2] وبسلامتها طوارق آفاتها، وبفرج أفراحها [3] غصص أتراحها [4] وخلق الآجال فأطالها وقصرها، وقدمها وأخرها، ووصل بالموت أسبابها [5] وجعله خالجاً لأشطانها [6]، وقاطعاً

(١) المقطع: الحد الذي ليس وراءه غاية.
(٢) العقابيل: الشدائد، جمع عقبولة — بضم العين — وأصل العقابيل قروح صغار تخرج بالشفة من آثار مرض، والفاقة: الفقر.
(٣) الفرج: جمع فرجة، وهي التفصي من الهم.
(٤) جمع ترح — بالتحريك — وهو الهم والهلاك.
(٥) حبالها.
(٦) خالجاً: جاذباً، الأشطان: جمع شطن — كسبب — وهو الحبل الطويل، شبه به الأعمار الطويلة.

لمرائر أقرانها (١) عالم السر من ضمائر المضمرين، ونجوى المتخافتين (٢) وخواطر رجم الظنون (٣) وعقد عزيمات اليقين (٤) ومسارق إيماض الجفون (٥) وما ضمنته أكنان القلوب وغيابات الغيوب (٦) وما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع (٧) ومصائف الذر (٨) ومشاتي الهوام (٩) ورجع الحنين من المولهات (١٠) وهمس

---

(١) المرائر: جمع مريرة، وهو الحبل يفتل على أكثر من طاق، أو الشديد الفتل، والأقران: جمع قرن — بالتحريك — وهو الحبل يجمع به بعيران وذكره لقوته يحيا، ووحدة مرائر الأقران بعد تشبيهه في الشديد فلا بد أن يكون حبلا.

(٢) المتخافتين: المتكالمين سرا.

(٣) رجم الظنون: ما يخطر على القلب، ومع أنه يصح أن يقع فلا برهان.

(٤) العقد: جمع عقدة، وهو ما يربط القلب بتصديقه فلا يصدق نقيضه، ولا يتوهمه، والعزمات: جمع عزمة، وهو ما وجب العزم الشرعي او العقلي تصديقه والعمل به.

(٥) جمع مسرق: مكان مسارقة النظر او موضعه، أو الموضع عليه، أو من فلان يسارق فلانا النظر، أي ينظر منه غفلة فينظر إليه. والإيماض: اللمعان وهو خفق ما ينسب الى العيون (أي الجفون)، ونسبه الى الجفون لأنه يحدث من بينها.

(٦) أكنان: جمع كن — بالكسر — وهو كل ما يستتر فيه، وغيابات الغيوب: أعماقها.

(٧) استراق الكلام: استماعه خفية، والمصائخ: جمع مصاخ، وهو مكان الإصاخة، وهو ثقبة الأذن.

(٨) صغار النمل، ومصائفها: محل إقامتها في الصيف، وهو وما بعده عطف على ضمائر المضمرين.

(٩) مشاتيها: محل إقامتها في الشتاء.

(١٠) المولهات: الحزينات، ورجع الحنين: ترديده.

الأَقْدامِ (١) وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلائِجِ غُلُفِ الأَكْمامِ (٢) وَمُنْقَمَعِ الوُحُوشِ مِنْ غِيرانِ الجِبالِ وَأَوْدِيَتِها (٣)، وَمُخْتَبَإِ البَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الأَشْجارِ وَأَلْحِيَتِها (٤) وَمَغْرِزِ الأَوْراقِ مِنَ الأَفْنانِ (٥) وَمَحَطِّ الأَمْشاجِ مِنْ مَسارِبِ الأَصْلابِ (٦) وَناشِئَةِ الغُيُومِ وَمُتَلاحِمِها، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحابِ فِي مُتَراكِمِها، وَما تَسْفِي الأَعاصِيرُ بِذُيُولِها (٧) وَتَعْفُو الأَمْطارُ بِسُيُولِها (٨) وَعَوْمِ نَباتِ الأَرْضِ فِي كُثْبانِ الرِّمالِ (٩) وَمُسْتَقَرِّ ذَواتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَناخِيبِ الجِبالِ (١٠)،

(١) الهمس: أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض.

(٢) منفسح الثمرة: مكان نموها، من الولائج: جمع وليجة، بمعنى البطانة الداخلة. والغلف جمع غلاف. والأكمام جمع كم ـ بالكسر ـ وهو غطاء النوار ووعاء الطلع.

(٣) منقمع الوحوش: موضع انقماعها أي اختفائها ـ والغيران جمع غار.

(٤) سوق: جمع ساق، وهو أصل الشجرة تقوم عليه فروعها، والألحية: جمع لحاء، وهو قشر الشجرة.

(٥) الغصون.

(٦) الأمشاج: النطف، جمع مشيج ـ مثل يتيم وأيتام ـ وأصله مأخوذ من «مشج» إذا خلط، لأنها مختلطة من جراثيم مختلفة كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن. ومسارب الأصلاب: جمع مسرب، وهي ما يتسرب المني فيها عند نزوله أو عند تكونه.

(٧) سفت الريح التراب: ذرته أو حملته، والأعاصير: جمع إعصار، وهي ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض كالعمود.

(٨) تعفو: تمحو.

(٩) الكثبان: جمع كثيب، وهو التل.

(١٠) الذرى: جمع ذروة، وهي أعلى الشيء، والشناخيب: رؤوس الجبال واحدها شنخوب أو شنخوبة كعصفور وعصفورة.

وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ[1]، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ[2] وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ[3]، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ[4] أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ[5]، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ[6] وَسُبُحَاتُ النُّورِ. وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ[7] وَمَا عَلَيْهَا[8] مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ[9] أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ[10] أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ، لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُلْفَةٌ، وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ[11]، وَلَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ

(١) تغريد الطائر: رفع صوته بالغناء، وهو نطقه، والدياجير: جمع ديجور، وهو الظلمة.

(٢) أوعبته: جمعته.

(٣) حضنت عليه: ربته فتولد في حضنها، كالعنبر ونحوه.

(٤) سدفة: ظلمة.

(٥) ذر: طلع.

(٦) اعتقبت: تعاقبت وتوالت، والأطباق: الأغطية، والدياجير: الظلمات وسبحات النور: درجاته وأطواره.

(٧) هماهم: جمع همهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر من الهم.

(٨) «عليها» أي: على الأرض.

(٩) قرارتها: مقرها.

(١٠) نقاعة: عطف على نطفة، ونقاعة الدم: ما ينقع منه في أجزاء البدن، ومضغة عطف على نقاعة، أي: يعلم مقر جميع ذلك.

(١١) هي ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله.

مَلَالَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ (١) بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

دعاء

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ ، وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ (٢) إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مُؤَمَّلٍ ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ . اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ (٣) . اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ (٤) مِنْ جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ . اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ (٥) ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

---

(١) اعتورته : تداولته وتناولته .
(٢) المبالغة في عد كمالاتك إلى ما لا ينتهي .
(٣) هم المخلوقون .
(٤) ثواب وجزاء .
(٥) الخلة — بالفتح — : الفقر ، والمن : الاحسان .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه

دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ [1] وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ [2]، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ. وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً.

(تم الجزء الأول)

---

(١) لا تصبر له ولا تطيق احتماله.

(٢) أغامت: غطيت بالغيم، والمحجة: الطريق المستقيم. و «تنكرت» أي: تغيرت علائمها فصارت مجهولة، وذلك أن الأطماع كانت قد تنبهت في كثير من الناس، على عهد عثمان رضي الله عنه، بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء، فلا يسهل عليهم — فيما بعد — أن يكونوا في مساواة مع غيرهم، فلو سوسهم العدل لتقوضوا منه، وطلبوا طائلة الفتنة، طمعاً في نيل رغباتهم، وأولئك هم أغلب الرؤساء في القوم، وإن أقرهم الإمام على ما كانوا عليه من الامتياز فقد أتى ظلماً، وخالف شرعاً، والناقمون على عثمان قائمون على المطالبة بالحجة، فإن لم ينالوه تحرشوا للفتنة، فأين المحجة للوصول إلى الحق على أمن من الفشل؟ وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها.

تصويب

●

تنبيه

وقع اسم ابن ميثم في هذا الجزء بالسين وصحته بالثاء و « ابن ميثم » هو علي بن ميثم البحراني توفي سنة ٦٧٩ هجرية وقبره في « هلتا » من قرى « ماحوز » ويحكى عن بعض العلماء أن « ميثماً » حيثما وجد فهو بكسر الميم إلا « ميثم البحراني » فانه بفتح الميم (كتاب الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج ١ ص ٤١٩) .

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٥	١٣	هوَج	هَوَج
٤٥	٤	حصمة	حصمة
٦٥	٣	جميع	جمع
٧٦	٦	أوْ	أوْ
٧٨	٩	المسك	المسكُ
٨٩	٧	يستقم	يستقم
٩٦	٩	فية	فيه
٩٧	٣	ألاّ	ألاّ
٩٧	١٧	الرجن	الرجل
٩٧	٢٢	فرع	فرع
١٠٠	١	عسكم	مسكم
١٠١	١١	مشردين	مشردون
١٠٢	٧	فراعة	فراعه
١٠٧	١٨	أجمعو	أجمعوا
١١٠	٦	أكذب	أكذب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١١١	١	لأنا	لأنا
١١١	٥	وفيها	وفيه
١١٧	١	وقلبت	وقلبْت
١١٧	٩	مستقلت	مستلمت
١٢٠	١	المتخلّف	المتخلّف
١٢٠	٣	وابتداء	وبتداء
١٢١	٣	بالتحية	بالتحية
١٢٨	٧	معاملة	مُعاملة
١٢٩	٧	آناؤنا	آناءنا
١٣١	٢	تتبوّأوا	تبوّأوا
١٣٤	٧	وترحّلو	وترحّلوا
١٣٦	٢	الأوبة	الأوْبَة
١٣٦	٧	وبنه	وبنيه
١٤٠	٢	واطمئنوا	واطمئنوا
١٤٨	٢	لوحشك	لوحشك
١٤٩	٥	منزله	منزله
١٥٠	١٨	الكرات	الكرامة
١٥١	١٨	الحرمة	الحرمة
١٥٣	٥	وعمل	وعَمل
١٥٩	٩	الشعر	الشعير
١٦٠	٥	أمزه	أمره
١٧٥	٣	نزولُ	نزول
١٨٣	٨	فلوتر	فلوتر

فهرس الجزء الاول من نهج البلاغة

لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

●

صفحة

تم طبع الجزء الاول في ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٣٧٤

الموافق اول كانون الثاني سنة ١٩٥٥ على [illegible]

[illegible]

ويليه الجزء الثاني في اول الشهر القادم

الناشر

حسين عاصي

منشورات

مكتبة الاندلس

شارع سوريا - بيروت (لبنان) - هاتف ٢٨٠١٠

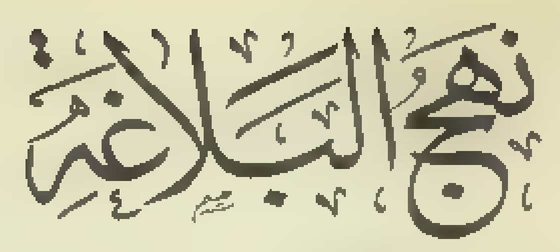

وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي

ابن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين

أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام

شرح الاستاذ الامام

الشيخ محمد عبده

أشرف على تحقيقه وطبعه

عبد العزيز سيد الاهل

الجزء الثاني

في هذه الطبعة زيادات كثيرة أضيفت على الطبعات السابقة

من شروح ابن أبي الحديد وابن ميثم البحراني

منشورات

مكتبة الاندلس

شارع سوريا – بيروت (لبنان) – هاتف ٢٨٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

عنينا في هـــذا الجزء والأجزاء التي بعده دون غيرها بشروح ابن أبي الحديد وابن ميثم البحراني

وسنلحق بآخر الجزء الرابع ان شاء الله فهرســاً عاماً للاعلام الواردة في كامل الكتاب مع فهرس عام للموضوعات .

والله ولي التوفيق .

الناشر

حسين عاصي

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها ينبه أمير المؤمنين على فضله وشرف وقته ويبين فتنة بني أمية]

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ [1] وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا [2] وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا [3] فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا [4] وَقَائِدِهَا، وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ [5] وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ [6] لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ

---

(١) فقأتها: شققتها، مثل لتغلبه عليها، وذلك كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج [والكلام فيه بيان إشارة إلى فتنة أهل البصرة وغيرهم واستعارة لفظ العين لشرفه والتصرف به وقد كرره في خطبه].

(٢) الغيهب: الظلمة. وموجها: شمولها وامتدادها.

(٣) الكلب محركة: داء معروف يصيب الكلاب، فكل من عضته أصيب به فجن ومات [إن لم يبادر بالدواء] وشبه به اشتداد الفتنة حتى لا تصيب أحداً إلا أهلكته [والجرأة من أمير المؤمنين لعلمه بمن يجب قتاله حتى ولو كان من أهل القبلة].

(٤) [ناعقها]: الداعي إليها، من نعق بغنمه صاح بها لتجتمع.

(٥) [المناخ بضم الميم: محل البروك] الكرائه جمع كريهة.

(٦) الحوازب جمع حازب، وهو الأمر الشديد، حزبه الأمر إذا [أصابه] واشتد عليه.

الْمَسْئُولِينَ، وَذلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ[1]، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلاَءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ.

إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ[2]، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ[3]، يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً. أَلاَ إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ: عَمَّتْ خُطَّتُهَا[4] وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلاَءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا[5] وَأَخْطَأَ الْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا. وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ[6]: تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لاَ يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لاَ يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلاَّ نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلاَ يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ حَتَّى لاَ يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلاَّ كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ

---

(١) قلصت بتشديد اللام: تمادت واستمرت، وبتخفيفها: ونت.

(٢) [شبّهت] شبّه فيها الحق بالباطل.

(٣) لأنها تعرف بعد انقضائها وينكشف حقيقتها فتكون عبرة.

(٤) الخطة بالضم: الأمر، أي شمل أمرها لأنها رئاسة عامة. وخصت بليتها آل البيت لأنها اغتصاب لحقهم.

(٥) من عرف الحق فيها نزل به بلاء الانتقام من بني أمية.

(٦) الناب: الناقة المسنة. والضروس: السيئة الخلق تعض حالبها. وتعذم من عذم الفرس: إذا أكل بجفاء أو عض. وتزبن: أي تضرب. ودرها: لبنها، والمراد خيرها.

والصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ (١) تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً (٢) وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى (٣).

نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ (٤) وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ (٥): بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً (٦) وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ (٧) لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ (٨). فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ - بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا - لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ (٩) لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي!

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس]

الله تعالى

فَتَبَارَكَ (١٠) اللهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ

---

(١) الصاحب من مستصحبه: أي حمار الأدلاء، وهو المنقاد.
(٢) شوهاء: قبيحة المنظر. ومخشية: مخوفة مرعبة.
(٣) [علم]: دليل يهتدى به.
(٤) [ ] أي بمكان النجاة من إثمها.
(٥) [أي يزيل دولة بني أمية ويشقهم عما أحاطوا به] كما يسلخ الجلد عن اللحم.
(٦) يذلهم ذلاً. وقوله عنفاً: متعلق بيسوقهم.
(٧) مملوءة الى أصبارها جمع صبر بالضم والكسر على الحرف. أي الى رأسها.
(٨) من أحلس البعير: ألبسه الحلس بكسر الحاء، وهو كساء يوضع على ظهره تحت البردعة [البعير]؛ أي لا يكسوهم إلا الخوف.
(٩) الجزور: الناقة المجزورة، أو هو البعير مطلقاً، أو الشاة المذبوحة، أي ولو مدة ذبح البعير أو الشاة.
(١٠) [تبارك: من البروك وهو الثبات أو من البركة وهي الزيادة].

حَدْسُ[1] الفِطَنِ، الأَوَّلُ الذي لاَ غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي، وَلاَ آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي.

منها في وصف الأنبياء.

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ[2] إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ. كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ.

رسول الله وآل بيته

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ المَعَادِنِ مَنْبِتاً[3] وَأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً[4]: مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ[5]، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ[6]. عِتْرَتُهُ خَيْرُ العِتَرِ[7] وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ[8] لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ،

(١) [حدس الظن، وهو مثل قوله عليه السلام من قبل: غوص الفطن].
(٢) تناسختهم: تناقلتهم.
(٣) [منبت] كمجلس: موضع، والدال مكسورة فيه.
(٤) الأرومات: جمع أرومة: الأصل. والمغرس: موضع الغرس.
(٥) صدع فلانا: قصده لكرمه، أي خصهم بالنبوة من بين فروعها وهي شجرة ابراهيم عليه السلام.
(٦) انتجب: اختار.
(٧) عترته: آل بيته [وعترة الرجل نسله ورهطه الأدنون] وأسرة الرجل رهطه الأدنون [أو قومه].
(٨) بسقت: ارتفعت [وأراد بالحرم مكة وبالكرم عن زكاء أصله عليه

وثمرة لا تنال، فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوؤه، وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه، سيرته القصد[1]، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل، أرسله على حين فترة من الرسل[2]، وهفوة عن العمل[3]، وغباوة من الأمم[4].

عظة الناس

اعملوا، رحمكم الله، على أعلام بينة[5]، فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام، وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ[6]، والصحف منشورة، والأقلام جارية، والأبدان صحيحة، والألسن مطلقة، والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة[7].

أفضل الصلاة وأتم التسليم]

(١) القصد: الاستقامة.

(٢) الفترة: الزمن بين الرسولين.

(٣) هفوة: زلة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين [والرسالة التي جاء بها الأنبياء واحدة أصلاً ولكن تختلف باختلافهم في الفروع والطرق].

(٤) [غباوة من الأمم: أي جهل منهم]

(٥) [يريد بالأعلام البينة مواضيع الطرق المبينة أو يريد بها الدين وما بأيديهم من مصابيح الهداية] واضح: قويم، ويدعو إلى دار السلام: يوصل إليها.

(٦) مستعتب بفتح التاء: طلب العتبى. أي [طلب] الرضا من الله بالأعمال النافعة [وعلى مهل: أي إمهال وانتظار].

(٧) [الواوات السبعة للحال، وفائدة التذكير بهذه الأمور التنبيه على وجوب العمل معها وتذكر أضدادها].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[يقرر فضيلة الرسول الكريم]

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ (١) وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ (٢). حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في الله وفي الرسول الأكرم]

الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ

منها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ (٣) قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ،

(١) [حاطبون: أي يخبطون في الدفع على غير هدى] واستزلتهم: دفعت بهم إلى الزلل والسقوط في العثار، وتأنيث الفعل على تأويل أن الكبرياء صفة. وفي رواية «واستزلتهم الكبراء» أي أضلهم كبراؤهم وسادتهم.

(٢) استخفتهم: طيشتهم. والجاهلية: حالة العرب قبل نور العلم الإسلامي. والجهلاء: وصف لها للمبالغة.

(٣) [أشار بمستقره إلى مكة لكونها أم القرى ومقصد الخلق في الحج، ويحتمل

وشِيجَتْ إليهِ أَزِمَّةُ الأبصار (١)، دَفَنَ بهِ الضَّغائنَ (٢)، وأطفأَ بهِ الثَّوائرَ (٣)، أَلَّفَ بهِ إخواناً، وفرَّقَ بهِ أقراناً (٤)، أعزَّ بهِ الذِّلَّةَ (٥)، وأذلَّ بهِ العِزَّةَ، كلامُهُ بيانٌ، وصمتُهُ لسانٌ (٦).

ومن خطبة له عليه السلام

[في أصحابه وأصحاب رسول الله]

أصحاب علي

ولئنْ أُمْهِلَ الظالمُ فلنْ يفوتَ أَخْذُهُ (٧) وهُوَ لَهُ بالمِرْصادِ على مَجازِ طريقِهِ، وبموضعِ الشَّجَى من مَساغِ ريقِهِ (٨). أما والذي

أنه زاد عليه من عنده ... [...]. المهاد: جمع مَهْد كقعد: ما يُمهد أي يبسط فيه الفراش ونحوه، أي انه ولد في أسلم موضع وأنقاه من دنس السفاح.

(١) الأزمة كالأئمة جمع زمام ... الأزمة اليه ... نحوها ...

(٢) الضغائن الاحقاد، فهو وسول الالفة، ... المتعاونون على الخير. ومن لم يكن في عروة الالفة منهم فهو ... خارج عنهم

(٣) جمع ثائرة وهي العداوة ... على ... لم يبق له [وقيل النوائر بالنون جمع نائرة وهي العداوة و ...]

(٤) وفرق به اقرانا لاهم في الشرك.

(٥) ذلة الضعفاء من أهل الفضل ... وأذل به عزة الشرك والظلم والعدوان

(٦) [كلامه بيان ... من أحكام كتاب الله، وصمته لسان من وحي، أي انه إقرار لما يحدث امامه من أصحابه او سكوت عما لا يسمع من القول، وكلاهما شبيه بالكلام].

(٧) لا يذهب عنه ان يأخذه.

(٨) [المرصاد: الطريق يرصد فيه] والشجى ما يعترض في الحلق من عظم وغيره. ومساغ الريق ممره من الحلق. والكلام تمثيل لقرب السطوة الالهية من الظالمين.

نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي. استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا. وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كغياب (١) وعبيد كأرباب! أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها. وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبا (٢) ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم. أقومكم غدوة وترجعون إليّ عشية، كظهر الحية (٣) عجز المقوِّم، وأعضل المقوَّم (٤)

أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم. صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه. لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني

---

(١) شهود جمع شاهد بمعنى الحاضر، وغياب جمع غائب.

(٢) قالوا إن سبأ هو أبو عرب اليمن كان له عشرة أولاد، جعل منهم ستة يميناً له، وأربعة شمالاً تشبيهاً لهم باليدين، ثم تفرق أولئك الأولاد أشد التفرق [ثم صار مثلاً ضربت به العرب من يتفرق بعد اجتماع]

(٣) ظهر الحية: القوس

(٤) أعضل: استعصى واستصعب.

عشرةً منكم وأعطاني رجلاً منهم.

يا أهلَ الكوفة، مُنيتُ منكم بثلاثٍ واثنتين[1]: صُمٌّ ذوو أسماعٍ، وبُكمٌ ذوو كلامٍ، وعُميٌ ذوو أبصارٍ، لا أحرارُ صدقٍ عند اللقاء، ولا إخوانُ ثقةٍ عند البلاء، تربتْ أيديكم[2]! يا أشباهَ الإبلِ غاب عنها رُعاتُها، كلّما جُمعتْ من جانبٍ تفرّقتْ من جانبٍ آخر، واللهِ لكأنّي بكم فيما إخالُ[3]: أن لو حَمِسَ الوغى، وحَمِيَ الضِّرابُ، وقد انفرجتم عن ابنِ أبي طالبٍ انفراجَ المرأةِ عن قُبُلِها[4]، وإنّي لعلى بيّنةٍ من ربّي، ومنهاجٍ من نبيّي، وإنّي لعلى الطريقِ الواضحِ ألقُطُهُ لقطاً[5].

أصحاب رسول الله

انظُروا أهلَ بيتِ نبيّكم فالزموا سَمْتَهُم[6] واتّبعوا أثرَهُم، فلن يُخرجوكم من هدىً، ولن يُعيدوكم في ردىً، فإنْ لَبَدوا فالبُدوا[7] وإنْ نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا

(١) ثلاث وما بعدها هما الثنتان، وما قبلها هي الثلاثة.

(٢) [تربت أيديكم: لصقت بالتراب دون الخير] أصل خطي.

(٣) وحمس كفرح: اشتد. والوغى: الحرب.

(٤) انفراج المرأة عن قبلها عند الولادة أو عندما يشرع عليها سلاح. والمشابهة في العجز والدناءة في العمل.

(٥) اللقط: أخذ الشيء من الأرض. وإنما سمى اتباعه لمنهاج الحق لقطاً لأن الحق واحد والباطل ألوان مختلفة، فهو يلتقط الحق من بين ضروب الباطل.

(٦) السمت بالفتح: طريقهم وجهتهم أو قصدهم.

(٧) لبد كنصر: أقام، أي: إن أقاموا فأقيموا.

تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا . لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَمَا أَرَى أَحَداً مِنْكُمْ يُشْبِهُهُمْ[2] ؛ لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً[1] ، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ[3] ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ؛ كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى[4] مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ ؛ إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ ، خَوْفاً[5] مِنَ الْعِقَابِ ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ !

ومن كلام له عليه السلام

[يشير فيه الى ظلم بني أمية]

وَاللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ[6] ، وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ

---

(١) شعثاً جمع أشعث ، وهو المغبر الرأس ، والغبر جمع أغبر ، والمراد أنهم كانوا متقشفين .

(٢) في بعض النسخ « فما أرى أحداً منهم يشبهه » .

(٣) المراوحة بين العملين : أن يعمل هذا مرة ، وهذا مرة . وبين الرجلين : أن يقوم على كل منهما مرة ، والمراوحة بين جباههم وخدودهم : أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى على الأرض خضوعاً لله وسجوداً . [وهو كناية عن إدمان الصلاة] .

(٤) ركب جمع ركبة : موصل الساق من الرجل بالفخذ . وانما خص ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة حركة ، أي أنهم لطول سجودهم يطول سهودهم ، وكأن بين أعينهم جسم خشن يدور فيه فيمنعهم عن النوم والاستراحة .

(٥) مادوا : اضطربوا وارتعدوا .

(٦) الكلام في بني أمية . والمحرم ما حرمه الله . واستحلاله : استباحته [كأنه حلال . وقيل ان الظلم أعظم كبائر المحرمات] .

ظُلْمُهُمْ (١) وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ (٢) وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ: إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ (٣)، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في التزهيد من الدنيا]

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ (٤).

عِبَادَ اللهِ، أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ

---

(١) بيوت المدر المبنية من طوب وحجر ونحوه، وبيوت الوبر الخيام.

(٢) أصله من نبا به المنزل: إذا لم يوافقه فرحل عنه، وبيوت الوبر تنبو بها سوء الحكومة فتأخذ عنه بعيداً بحسب العمران، ولا تدع الحكومة الظالمة إلا خراباً تنعق فيه فلا يجيبها إلا صدى نعيقها.

(٣) [«إذا شهد أطاعه» وما بعدها: هو وجه الشبه في التشبيه السابق].

(٤) [خصص الامام عليه السلام الحمد بما كان لأن الشكر على النعمة مترتب على وقوعها. والاستعانة على ما يكون لأن طلب العون يكون على أمر مستقبل]

قَدْ قَطَعُوهُ [١]، وأَمُّوا عَلَماً [٢] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وكَمْ عَسَى المُجْرِي إِلَى الغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا [٣] حَتَّى يَبْلُغَهَا، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ، وطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا [٤]. فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وفَخْرِهَا، وَلَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ولا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وإِنَّ زِينَتَهَا ونَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وضَرَّاءَهَا وبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ [٥]، وكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ، وكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ. أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ [٦] وفِي آبَائِكُمُ المَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى المَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ؟ وإِلَى الخَلَفِ البَاقِي لَا يَبْقَوْنَ؟ أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيِّتٌ يُبْكَى، وآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى، وعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ [٧] وطَالِبٌ لِلدُّنْيَا والمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وغَافِلٌ ولَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ؟

---

(١) [الرفض: الترك]، والسَّفْر بفتح فسكون: جماعة المسافرين، أي أنكم في مسافة العمر كالمسافرين في مسافة الطريق فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها لأنها محدودة.

(٢) أمّوا: قصدوا.

(٣) الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة، أي مقدار من الجري يلزمه حتى يصل لغايته.

(٤) يحدوه: يسوقه [والاستفهام معناه التحقير].

(٥) نفاد: فناء.

(٦) مكان للازدجار وللارتداع.

(٧) من جاد بنفسه إذا قارب أن يقضي نحبه كأنه يسخو بها ويسلمها إلى خالقها

ومن أثر الضحى ما يمضي الدقيق

أَلا فاذْكُروا هادِمَ اللَّذاتِ . ومُنَغِّصَ الشَّهَواتِ . وقاطِعَ الأُمْنِياتِ عِنْدَ المُساوَرَةِ لِلأَعْمالِ القَبِيحَةِ (١) واسْتَعِينُوا اللهَ عَلى أَداءِ واجِبِ حَقِّهِ ، وما لا يُحْصى مِنْ أَعْدادِ نِعَمِهِ وإِحْسانِهِ

ومن خطبة له عليه السلام

[في رسول الله وأهل بيته]

الحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ في الخَلْقِ فَضْلَهُ ، والباسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ . نَحْمَدُهُ في جَمِيعِ أُمُورِهِ ، ونَسْتَعِينُهُ عَلى رِعايَةِ حُقُوقِهِ ، ونَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ غَيْرُهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صادِعاً (٢) ، وبِذِكْرِهِ ناطِقاً ، فَأَدَّى أَمِيناً ، ومَضى رَشِيداً ، وخَلَّفَ فِينا رايَةَ الحَقِّ ، مَنْ تَقَدَّمَها مَرَقَ (٣) ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْها زَهَقَ (٤) ، ومَنْ لَزِمَها لَحِقَ . دَلِيلُها مَكِيثُ الكَلامِ (٥) بَطِيءُ القِيامِ ،

(١) وقاطع: متعلق باذكروا ، والمساورة المواثبة كأن العمل القبيح لبعده عن ملاءمة الطبع الانساني ونفوره لا يصل اليه من مقترفه كما ينفر الوحش فلا يصل اليه الصائد الا بالوثبة عليه وهو في غفلته عن مجرمه كما ضريت من الوحوش فهو يثب على مواثبه ليهلكه ، ولطف التعبير بالمساورة في هذا الموضع

(٢) [صادعاً] ناطقاً به جهراً بالحق من دونها

(٣) [مرق] خرج عن الدين والذي يتقدم راية الحق هو من يريد على ما شرع له أعمالاً وعقائد يضعها من نفسه للدين ومتممة له ويسميها بدعة حسنة .

(٤) زهق : اضمحل وهلك .

(٥) [مكيث] : رزين في قوله لا يبدر منه عن غير روية ، بطيء القيام لا يسرع إلى العمل بالطيش وما لم يجد له عدة يهمه ، وما لم تظهر له وجوه الفوز فلم يمضي اليه .

سَرِيعٌ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللهُ، حَتَّى يُطْلِعَ اللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ (١) فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ (٢). فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً (٣).

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ (٤) طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ (٥)، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ (٦).

ومن خطبة له عليه السلام

[وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم]

الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ

مسرعاً، وكأنه يصف بذلك حال نفسه كرم الله وجهه.

(١) يضم نشركم: يجمع متفرقكم.

(٢) الإقبال والإدبار في كلامه لا يجريان على جهة واحدة، فالمقبل يعني المتوجه إلى الأمر الطالب له الساعي إليه، والمدبر يعني من أدبرت حاله وعرضته الخيبة في عمله وإن كان لم يزل طالباً.

(٣) [والإمامية يستدلون من هذا الكلام على أنه لا يجوز أن يخلو زمان من وجود قائم من أهل البيت يهدي إلى سبيل الله] [illegible].

(٤) خوى: غاب.

(٥) [الصنائع: النعم]

(٦) ضليل كثير: شديد الضلال.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي [1] وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَمَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي [2] فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ. وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ [3] قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ [4] فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ [5]. فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ [6] وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ [7] وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا [8] وَمِنَ اللَّيَالِي

---

(١) لا يكسبنكم، والمفعول محذوف أي خسراناً، أي لا تكسبنكم مخالفتكم الشقاق خسراناً، ولا تهوين بكم عصياني في ضلال وحيرة [أو لا يحق عليكم شقاقي].

(٢) لا ينظر بعضكم إلى بعض نظرة بالانكار لما أقول [وهو تعريض لمن عميت عين بصيرته عن إدراك فضله].

(٣) ضليل كشرير: شديد الضلال مبالغ في الاضلال.

(٤) من فحص القطا التراب إذا اتخذ فيه مفحوصاً بالضم وهو مجثمه، أي المكان الذي يقيم فيه عندما يكون على الأرض، يريد أنه نصب له رايات بحث بها في الأرض مراكز.

(٥) [كوفان] هي الكوفة، أي أنه كاد يصل الكوفة حيث تكون رايته انتشرت على بعض البلدان من حدودها، وهو ما أشار إليه بالضواحي.

(٦) فغر الفم كمنع انفتح، وفغرته، فهو لازم ومتعد، أي إذا انفتحت فاغرته: وهي فمه.

(٧) الشكيمة: الحديدة المعترضة في اللجام في فم الدابة، ويعبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الانقياد.

(٨) [كلوحها]: عبوسها [واستعار العبوس للفتنة لشبهة ما يستقر ماله من

كَدُوحِهَا (1) فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ (2) وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ (3) وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ، هٰذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ (4)، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ (5)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يجري هٰذا المجرى

[وفيه ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة]

يوم القيامة

وَذٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ (6) وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعاً، قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ،

الشدة والالم].

(1) جمع كدح بالفتح. وهو الخدش وأثر الجراحات

(2) [أينع]: نضج وحان قطافه.

(3) [ينعه]: حالة نضجه.

(4) هو ما اشتد صوته من الرعد والريح وغيرهما والعاصف ما اشتد من الريح، والمراد بزعجات الفتن.

(5) يكون الاشتباك بين قواد الفتنة وبين أهل الحق كما تشتبك الكباش بقرونها عند النطاح. وما بقي من الصلاح قائماً يحصد، وما كان قد حصد يحطم ويهشم، فلا يبقى إلا شر عام وبلاء تام إن لم يقم للحق أنصار [ويقولون إن هذا الكلام يشير الى عبد الملك بن مروان].

(6) [أشار بذلك اليوم الى يوم القيامة] نقاش الحساب: الاستقصاء فيه.

وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً.

حال مقبلة على الناس

ومنه: فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً: يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا(1)، وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ(2)، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ، فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكِ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ لَا رَهَجَ لَهُ، وَلَا حَسَّ(3)، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ.

---

(1) لا تثبت لمعارضتها قائمة حين، وقوائم الفرس رجلاه او انه لا يتمكن احد من القيام لها وصدها. وقوله مزمومة مرحولة قادها زمها وركبها برحلها اقوام رحفوا بها عليكم يجرونها أي يحثونها ليغيروا بها في دياركم وفيكم يحطون الرحال.

(2) السلب محركة: ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه في الحرب؛ أي ليسوا من أهل الثروة.

(3) الرهج بسكون الهاء وبحركة: الغبار، والحس بفتح الحاء: الجلبة والاصوات المختلطة. قالوا يشير بذلك الى فتنة صاحب الزنج وهو علي بن محمد ابن عبدالرحيم من بني عبدالقيس ادعى انه علوي من ولد محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين، وجمع الزنوج الذين كانوا يكسحون السباخ في نواحي البصرة وخرج بهم على المهتدي العباسي في سنة خمس وخمسين ومائتين، واستفحل أمره وانتشرت اصحابه في أطراف البلاد بالسلب والنهب، وملك البصرة عنوة وفتك باهلها، واستولى على عبادان والاهواز، ثم كانت بينه وبين الموفق في زمن المعتمد حروب اجلي فيها عن الاهواز وسمى عاصمة ملكه، وكان سماها المختارة – بعد محاصرة

ومن خطبة له عليه السلام

[في التزهيد في الدنيا]

أيُّها النَّاسُ، انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا [1]، فَإِنَّهَا وَاللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ [2]، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الآمِنَ [3]، لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ [4]، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

صفة العالم

ومنها: الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا

شديدة. وقتله الموفق أخو الخليفة المعتمد سنة سبعين ومائتين، وفرح الناس بقتله لانكشاف رزئه عنهم.

(١) الصادفين: المعرضين.

(٢) الثاوي: المقيم.

(٣) المترف بفتح الراء: المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع.

(٤) فإن الذي هو موجود في الدنيا بعد قليل كأنه لم يكن، وإن الذي هو كائن في الآخرة بعد قليل كأنه كان لم يزل، فكأنه وهو في الدنيا من سكان الآخرة

يعرف قدره، وإنّ مِنْ أبغضِ الرِّجالِ إلى اللهِ لعبداً وكَلَهُ اللهُ إلى نفسِه، جائراً عن قصدِ السَّبيلِ، سائراً بغيرِ دليلٍ، إنْ دُعِي إلى حَرْثِ الدُّنيا عَمِلَ، وإنْ دُعِيَ إلى حرثِ الآخرةِ كَسِلَ! كأنَّ ما عَمِلَ لهُ واجبٌ عليهِ (١) وكأنَّ ما وَنَى فيه ساقط عنه (٢)

آخر الزمان

ومنها: وذلكَ زمنٌ لا يَنْجُو فيهِ إلّا كلُّ مؤمنٍ نُوَمَةٍ (٣): إنْ شَهِدَ لَمْ يُعرفْ، وإنْ غابَ لَمْ يُفتقدْ، أولئكَ مصابيحُ الهُدى، وأعلامُ السُّرى (٤) ليسُوا بالمساييحِ، ولا المذاييعِ البُذُرِ، أولئكَ يَفتحُ اللهُ لهمْ أبوابَ رحمتِهِ، ويَكشفُ عنهمْ ضرّاءَ نقمتِه

أيُّها النّاسُ، سيأتي عليكُمْ زمانٌ يُكفأُ فيهِ الإسلامُ كما يُكفأُ الإناءُ بما فيه. أيُّها النّاسُ، إنَّ اللهَ قدْ أعاذكُمْ مِنْ أنْ يجورَ عليكُمْ، ولمْ يُعذْكُمْ مِنْ أنْ يبتليَكُمْ (٥) وقدْ قالَ جلّ

---

(١) ما عمل له هو حرث الدنيا

(٢) ونى فيه: تراخى فيه، وهو حرث الآخرة.

(٣) نومة بضم ففتح: كثير النوم، يريد به البعيد عن مشاركة الأشرار في شرورهم، فاذا رأوه لا يعرفونه منهم وإذا غاب لا يفتقدونه

(٤) السرى كالهدى السير في ليالي المشاكل. وبقية الألفاظ يأتي شرحها بعد أسطر لصاحب الكتاب.

(٥) ليتبين الصادق من الكاذب والمخلص من المريب، فتكون لله الحجة على خلقه.

مِنْ قَائِلٍ : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) .

قال السيد الشريف الرضي أمّا قوله عليه السلام : « كلُّ مُؤْمِن نُوَمَةٍ » فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر ، والمساييح : جمع مسياح ، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم ، والمذاييع : جمع مذياع ، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ، ونوه بها ، والبذر : جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه [1]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً ، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ [2] وَيَقِفُ الْكَسِيرُ ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ ، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ

---

(١) الذي في القاموس ان البذور بالفتح كالبذير هو النمام .

(٢) من حسر البعير كضرب : إذا أعيا وكل ، والكسير : المكسور ، أي أن من ضعف اعتقاده أو كلت عزيمته فتراخى في السير على سبيل المؤمنين ، أو طرقته الوساوس فهشمت قوائم همته بزلزال في عقيدته فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقيم على ملاحظته وعلاجه حتى يخلص من مرضه هذا ويلحق بالمخلصين ، إلا من كان ناقص الاستعداد ، خبيث العنصر فلا ينجع فيه الدواء فيهلك .

بِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ[1] وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا: مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ، وَلَا وَهَنْتُ، وَايْمُ اللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ[2] حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في بعض صفات الرسول الكريم وتهديد بني أمية وعظة الناس]

الرسول الكريم

حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، شَهِيداً، وَبَشِيراً، وَنَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً[3]

---

(١) كناية عن وفرة ثروتهم، فإن الرحا إنما تدور على ما تطحنه من الحب. أو كناية عن قوة سلطانهم على غيرهم. والرحا: رحا الحرب يطحنون بها. والقناة: الرمح. واستقامتها: كناية عن صحة الأحوال وصلاحها.

(٢) البقر بالفتح: الشق، أي لأشقن جوف الباطل فيظهر أهله، ونتزع الحق من أيدي المبطلين. والتمثيل في غاية من اللطف.

(٣) [الشيمة: الخلق] والديمة بالكسر: المطر يدوم في سكون. والمستمطر بفتح الطاء: من يطلب منه المطر. والمراد هنا النجدة والمعونة. فالنبي ﷺ أجود الناس فيضاً بالخير على طلابه [وقد استعار له وصف السحاب المرجو منه نزول الديمة وهي المطر الذي لا رعد فيه ولا برق].

فما احلولت لكم الدنيا في لذتها، ولا تمكنتم من رضاع أخلافها(1) إلا من بعدما صادفتموها جائلاً خطامها(2) قلقاً وضينها، قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود(3)، وحلالها بعيداً غير موجود، وصادفتموها، والله، ظلاً ممدوداً إلى أجل معدود، فالأرض لكم شاغرة(4) وأيديكم فيها مبسوطة وأيدي القادة عنكم مكفوفة، وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة. ألا إن لكل دم ثائراً(5) ولكل حق طالباً، وإن الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه(6)، وهو الله الذي لا يعجزه من طلب، ولا يفوته من هرب. فأقسم بالله

---

(1) الأخلاف جمع خلف بالكسر: حلمة ضرع الناقة.

(2) الخطام ككتاب: ما يوضع في أنف البعير ليقاد به. والوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للرحل كالحزام للسرج. وجولان الخطام وقلق الوضين إما كناية عن الهزال، وإما كناية عن صعوبة القياد. فإن الخطام الجائل لا يشد على البعير فيضبطه، وعن قلق الراكب وعدم اطمئنانه لاضطراب الرحل بقلق الوضين.

(3) السدر بالكسر: شجر النبق، والمخضود: المقطوع الشوك، ومنثني الأغصان من ثقل الحمل. والتشبيه في اللذة.

(4) أي بعد بعثة النبي ﷺ شغرت لكم الأرض، أي لم يبق فيها من يحميها دونكم ويمنعكم عن خيرها.

(5) ثائراً: طالب بدمه وقتل قاتله، [يريد تهديد بني أمية بعقاب الله]

(6) الطالب بدمائنا ينال ثأره حتماً كأنه هو القاضي بنفسه لنفسه ليس هناك من يحكم عليه فيمنعه عن حقه.

يا بَني أُمَيَّةَ عَمَّا قليلٍ لَتَعرِفُنَّها في أيدي غيرِكُمْ وَفي دارِ عدوِّكُمْ. ألا وإنَّ أبصرَ الأبصارِ مَا نفذَ في الخيرِ طَرْفُهُ، ألا إنَّ أسمعَ الأسماعِ ما وعى التذكيرَ وقبلَهُ

وعظ الناس

أيُّها الناسُ، استصبحوا مِنْ شُعْلَةِ مِصباحٍ واعظٍ مُتَّعِظٍ، وامتاحُوا مِنْ صفوِ عينٍ قَدْ رُوِّقَتْ من الكَدَرِ [1]

عبادَ اللهِ، لا تَركَنُوا إلى جهالتِكُمْ، ولا تنقادُوا لأهوائِكُمْ، فإنَّ النازِلَ بهذا المنزِلِ نازلٌ بشفا جُرُفٍ هارٍ [2]، ينقلُ الرَّدى على ظهرِهِ من موضعٍ إلى موضعٍ لرأيٍ يُحدِثُهُ بعدَ رأيٍ [3]. يُريدُ أنْ يُلصِقَ مَا لا يَلتصِقُ، ويُقرِّبَ مَا لا يَتقارَبُ. فاللهَ اللهَ أنْ تَشكُوا إلى مَنْ لا يُشكي شَجوَكُمْ [4]

(1) امتاحوا: استقوا وانزعوا ماء، أي عظتكم من عين قد صفت من الكدر وهي عين علومه عليه السلام

(2) معنى الركون الى الجهالة والانقياد للهوى. وشفا الشيء: حرفه. والجرف بضمتين: ما تجرفه السيول وتأكله من الارض. والهاري كالهائر: المتهدم او المشرف على الانهدام، أي انه بمكان التهور في الهلكة.

(3) أي انه اذا نقل عن المهلكات ونحوها ينقله من موضع من ظهره الى موضع آخر منه، فهو حامل لها دائماً، وانما يتعب في نقلها من اعلاه لوسطه واسفله بآرائه وبدعه، فهو في كل رأي ينتقل من ضلالة الى ضلالة حيث ان مبنى الكل على الجهالة والهوى.

(4) يقال أشكاه: إذا أزال شكايته، والشجو: الحاجة. يقول ان ما نزل بكم من الجهالات والاهواء من الحاجات يلزمكم أن تصرفوه عن جهته ولا تشكوه الي،

وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، الإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا . فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ (٢) وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ (٣) وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها يبين فضل الاسلام ويذكر الرسول الكريم ثم يلوم أصحابه]

دين الإسلام

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ ،

عني لا أسمع أهواءكم ولا أقضي هذه الرغبات الفاسدة ولا أستطيع أن أنقض برأيي ما أبرم لكم في الشريعة الغراء .

(١) السهمان بالضم جمع سهم بمعنى الحظ والنصيب ، وإصدار السهمان إعادتها الى أهلها المستحقين لها لا يبخسهم منها شيئاً . وسماه إصداراً لأنها كانت منعتها أربابها بالظلم في بعض الأزمان ثم ردت اليهم ، كالصدور وهو رجوع الشاربة من الماء الى أعطانها .

(٢) التصويح التجفيف ، أي سابقوا الى العلم وهو في غضارته قبل أن يجف فلا تستطيعون إحياءه بعد يبسه ، [ومعلوم أن العلم في ذاته لا ييبس ولا يموت وإنما يموت من تركه] .

(٣) مستثار : اسم مفعول بمعنى المصدر . والاستثارة طلب الثور وهو السطوع والظهور .

(٤) [لأن النهي عن الشيء بعد الانتهاء عنه هو النهي المثمر المطابق لمقتضى الحكمة]

وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ [1] وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ [2] وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ [3] فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ [4] وَأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ [5] مُشْرَفُ الْمَنَارِ [6] مُشْرِقُ الْجَوَادِّ [7] مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ [8] رَفِيعُ الْغَايَةِ ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ [9] مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ [10] شَرِيفُ

---

(١) علقه كعلمه : تعلق به .

(٢) من دخله لا يحارب [بفتح الراء] .

(٣) [وكون الاسلام شاهداً لمن خاصم به أن الشاهد أعم من البرهان] وجنة بالضم أي وقاية وصون [وذلك لمن صبر به]

(٤) أشد الطرق وضوحاً وأنورها .

(٥) الولائج جمع وليجة هي الدخيلة وهي المذهب [والدخيلة هي السر والأمر الباطن أي انه واضح الاسرار لمن نظر فيه بعين الاعتبار] .

(٦) مشرف بفتح الراء هو المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شيء . ومنار الدين هي دلائله من العمل الصالح يطلع منه البصير على حقائق العقائد ومكارم الاخلاق .

(٧) [الجوّاد] جمع جادة : الطريق الواضح .

(٨) كريم المضمار أي اذا سوبق سبق .

(٩) الحلبة خيل تجمع من كل صوب للنصرة . والاسلام جامعها يأتي اليه الكرائم والعتاق

(١٠) السبقة بالضم : جزاء السابقين .

الْفُرْسَانِ[1] : التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ[2] وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ[3] وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ[4]

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ[5] وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ[6] فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً[7] ، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً . اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ[8] وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ[9] وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ

---

(١) [واستعار لفظ الفرسان لرجال الدين لأنهم لا يجارون كما لا يجارى الفارس] .

(٢) يريد الموت عن الشهوات البهيمية والحياة بالسعادة الابدية كما يعلم من قوله رفيع الغاية ، وإلا فالموت المعروف غاية كل حي

(٣) لأنها مزرعة الآخرة من سبق فيها سبق في الآخرة .

(٤) سبقته : جزاء السابقين به .

(٥) أورى : أوقد . والقبس محركة : الشعلة من النار تقتبس من معظم النار . والقابس : آخذ النار من النار . والمراد ان النبي أفاد طلاب الحق ما به يستضيئون لاكتشافه .

(٦) الحابس : من حبس ناقته وعقلها حيرة منه لا يدري كيف يهتدي فيقف من السير . وأنار له علماً أي وضع له ناراً في رأس جبل ليستنقذه من حيرته .

(٧) بعيثك : مبعوثك [أي نعمة للدنيا والناس] .

(٨) المقسم كمقعد ومنبر : النصيب والحظ .

(٩) النزل بضمتين ما يهيأ للضيف لأن ينزل عليه .

وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ (١) وَالْفَضِيلَةَ . وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا (٢) وَلَا نَادِمِينَ ، وَلَا نَاكِبِينَ (٣) وَلَا نَاكِثِينَ (٤) وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا مَفْتُونِينَ

قال الشريف . وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أننا كررناه هنا لما في الروايتين من الاختلاف

ومنها في خطاب أصحابه :

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ . وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ ، وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ وَأَيْمُ اللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللهُ

---

(١) السناء كسحاب : الرفعة .

(٢) خزايا جمع خزيان من خزى : إذا خجل من قبيح ارتكبه .

(٣) عادلين عن طريق الحق .

(٤) ناكثين : ناقضين العهد .

لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ (١)

ومن خطبة له عليه السلام

[في بعض أيام صفين]

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ ، وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ (٢) وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ (٣) وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ (٤) وَالأَنْفُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَامُ الأَعْظَمُ ، وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي (٥) أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ (٦) تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ ، حَسّاً بِالنِّصَالِ (٧) وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ (٨) تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالإِبِلِ

---

(١) أي أنكم ستخضعون لقهر الظالمين ولن يكون في طاقتهم أن يرفعوكم ، حتى لو شتتوكم تشتيت الكواكب في السماء لاجتمعتم لقتالهم . وقيل انه يريد أن البلاء سيعمهم حتى لو فرقكم بنو أمية تحت كل كوكب طلباً لخلاصكم من البلاء لجمعكم الله لشر يوم لهم حتى يأخذكم البلاء كما يأخذهم .

(٢) [الانحياز : العدول والتنحي] الطغام كسحاب : أوغاد الناس .

(٣) لهاميم جمع لهميم بالكسر [أو لهموم بالضم] وهو السابق الجواد من الخيل والناس .

(٤) اليآفيخ جمع يأفوخ : هو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدمه مع مؤخره .

(٥) الوحاوح جمع وحوحة : صوت معه بحح يصدر عن المتألم . والمراد حرقة الغيظ .

(٦) الأخرة محركة . آخر الامر . وجملة ان رأيتكم فاعل شفى .

(٧) الحس بالفتح : القتل . والنضال : المباراة في الرمي . وفي رواية النصال بالصاد .

(٨) الشجر كالضرب : الطعن .

الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ (١) تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا ، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وهي من خطب الملاحم

الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ ، خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ (٢) ، وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ ، خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ (٣) وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

النبي عليه السلام

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ (٤) ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ (٥) وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ (٦) وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ

---

(١) الهيم بالكسر العطاش والمعنى : تمنع [والابل العطاش اذا جمعت للشرب ثم طردت بالسهام ركب بعضها بعضاً ووقع بعضها على بعض والقول في التشبيه ظاهر].

(٢) المراد بذوي الضمائر ذوو القلوب والخوض في البداية] .

(٣) جمع سترة ما يستتر به أياً كان .

(٤) المشكاة كل كوة غير نافذة ومن العادة ان يوضع فيها المصباح

(٥) الذؤابة : الناصية أو منبتها من الرأس

(٦) ما بين أخشبي مكة كانت تسكنه قبائل من قريش ويقال لهم قريش البطاح .

ومنها: طبيبٌ دوّارٌ بطبّه، قد أحكم مراهمهُ، وأحمى مواسمهُ (1) يضعُ ذلكَ حيثُ الحاجةُ إليه: من قلوبٍ عُمْيٍ، وآذانٍ صمٍّ، وألسنةٍ بُكمٍ مُتَتبعٌ بدوائِه مواضعَ الغفلةِ ومواطنَ الحَيْرةِ، لم يستضيئُوا بأضواءِ الحكمةِ (2) ولم يقدحُوا بزنادِ العُلومِ الثاقبةِ، فهمْ في ذلكَ كالأنعامِ السائمةِ والصُّخورِ القاسيةِ.

قدِ انجابتِ السرائرُ لأهلِ البصائرِ (3) ووضحتْ محجةُ الحقِّ لخابطِها (4) وأسفرتِ الساعةُ عنْ وجهِها، وظهرتِ العلامةُ لمتوسّمِها. ما لي أراكُمْ أشباحاً بلا أرواحٍ، وأرواحاً بلا أشباحٍ، ونُسّاكاً بلا صلاحٍ، وتُجّاراً بلا أرباحٍ، وأيقاظاً نُوّماً، وشُهوداً غُيّباً، وناظرةً عُمْياً، وسامعةً صُمّاً، وناطقةً بُكْماً، رايةُ ضلالةٍ قدْ قامتْ على قُطبِها (5) وتفرّقتْ بِشُعَبِها (6) تكيلُكم

(1) مواسمه جمع ميسم بالكسر وهو المكواة، يجمع على مواسم ومياسم [أو المسامير التي تكوي]

(2) قوله لم يستضيئوا، يحكي حال من لم ينجع فيهم الدواء من عمار الفساد من مقومات أرواحهم.

(3) انجابت: من قولهم انجابت الناقة إذا مدت عنقها للحلب، أي إن السرائر خضعت لنور البصائر فهو يكشفها ويملكها. وأهل البصائر يصرفون السرائر إلى ما يريدون.

(4) خابطها: السائر عليها

(5) قامت على قطبها: تمثيل لانتظام أمرها واستحكام قوتها.

(6) جمع شعبة، أي انتشرت بفروعها.

صاعِها (١) وتَخبِطُكُم بِباعِها (٢) قائِدُها خارجٌ من المِلّةِ، قائمٌ على الضِّلّةِ، فلا يَبقى يومئذٍ منكم إلا ثُفالةٌ كثُفالةِ القِدْرِ (٣)، أو نُفاضةٌ كنُفاضةِ العِكْمِ (٤) تَعرُكُكُم عَرْكَ الأديمِ (٥) وتَدوسُكُم دَوْسَ الحَصيدِ (٦) وتَستخلِصُ المؤمنَ من بينِكم استخلاصَ الطّيرِ الحَبّةَ البَطينةَ (٧) من بينِ هَزيلِ الحَبِّ.

أينَ تَذهبُ بكمُ المذاهبُ، وتَتيهُ بكمُ الغَياهبُ وتَخدعُكُمُ الكواذبُ؟ ومن أينَ تُؤتَونَ وأنّى تُؤفَكونَ؟ فلِكُلِّ أجلٍ كِتابٌ، ولِكُلِّ غَيبةٍ إيابٌ، فاستَمِعوا من رَبّانيِّكُم (٨) وأحضِروا قُلوبَكُم، واستَيقِظوا إن هَتَفَ بكم (٩)

---

(١) تكيلكم: أي تحدكم للهلاك حدة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب.

(٢) تخبطكم: من خبط الشجرة ضربها بالعصا لتتناثر ورقها، أو من خبط البعير بيده الارض أي ضربها. وعبر بالباع لبيان استطالتها عليهم وتناولها لقريبهم وبعيدهم.

(٣) الثفالة بالضم كالثفل والثافل: ما استقر تحت الشيء من كدرة. وثفالة القدر: ما يبقى في قعرها من عكارة، والمراد الاراذل والسفلة.

(٤) النفاضة: ما سقط بالنفض. والعكم بالكسر: العدل بالكسر أيضاً، ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها. والمراد ما يبقى بعد تفريغه في خلال نسجه فينفض لينظف.

(٥) العرك كالفرك: شديد الدلك. وعركه: حكه حتى عفاه. والاديم: الجلد.

(٦) الحصيد: المحصود.

(٧) البطينة: السمينة [وهذا علم غريب بطبائع الطير لا يعلمه إلا الراسخون]

(٨) الرباني بتشديد الباء: المتأله العارف بالله عز وجل.

(٩) هتف بكم: صاح بكم.

وليصدق رائد أهله [1] وليجمع شمله، وليحضر ذهنه، فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة، وقرفه قرف الصمغة [2] فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه، وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطاغية، وقلت الداعية، وصال الدهر صيال السبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم [3]. وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب، وتباغضوا على الصدق. فإذا كان ذلك كان الولد غيظا [4] والمطر قيظا، وتفيض اللئام فيضا، وتغيض الكرام غيضا [5]، وكان أهل ذلك الزمان ذئابا وسلاطينه سباعا، وأوساطه أكالا، وفقراؤه أمواتا، وغار الصدق، وفاض الكذب، واستعملت المودة باللسان، وتشاجر الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسبا، والعفاف عجبا، ولبس

---

(١) الرائد: من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلأ ويتعرف سهولة الوصول إليها من صعوبته. وفي المثل «لا يكذب الرائد أهله» يأمر الهداة والدعاة الذين يتلقون عنه ويوصيهم بالصدق في النصيحة.

(٢) قرف الصمغة قشرها، وخص هذا بالذكر لأن الصمغة إذا قشرت لا يبقى لها أثر — كذا قالوا —.

(٣) الفنيق الفحل من الإبل. وبعد كظوم أي إمساك وسكون.

(٤) يغيظ والده لشيوعه على العقوق، ويكون المطر قيظاً لعدم فائدته فإن الناس منصرفون عن فوائدهم والانتفاع بما يفيض الله عليهم من خير إلى إضرار بعضهم البعض، ما أشبه هذه الحال بحال هذا الزمان [الذي نحن فيه].

(٥) تغيض: من غاض الماء إذا غار في الأرض وجفت ينابيعه.

الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً[1].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث]

قدرة الله

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ. لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ[2] مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ[3] وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ. وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ، أَنْتَ الْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى لَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ

(١) [«لبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً» من أحسن التشبيه وأبلغه، وبيانه أن المنافقين قلبوا غرضه واستعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم].

(٢) [لا يسبقك : لا يعوتك].

(٣) لا يفلتك : لا ينفلت منك .

لا مَنْجَى مِنْكَ إلاّ إليْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وإلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ. سُبْحانَكَ ما أعْظَمَ ما نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وما أصْغَرَ عَظِيمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وما أهْوَلَ ما نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ، وَمَا أحْقَرَ ذلِكَ فِيما غابَ عَنَّا مِنْ سُلْطانِكَ، وما أسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا، وما أصْغَرَها فِي نِعَمِ الآخِرَةِ!

الملائكة الكرام

منها: مِنْ ملائِكَةٍ أسْكَنْتَهُمْ سمواتِكَ، ورفَعْتَهُمْ عَنْ أرْضِكَ، هُمْ أعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وأخْوَفُهُمْ لَكَ، وأقْرَبُهُمْ مِنْكَ. لَمْ يَسْكُنُوا الأصْلابَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الأرْحامَ، ولَمْ يُخْلَقُوا مِنْ ماءٍ مَهِينٍ[1] وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ المَنُونِ[2] وإنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْماعِ أهْوائِهِمْ فِيكَ، وكَثْرَةِ طاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أمْرِكَ، لَوْ عايَنُوا كُنْهَ ما خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أعْمالَهُمْ وَلَزَرَوْا عَلَى أنْفُسِهِمْ[3]، وَلَعَرَفُوا أنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طاعَتِكَ.

---

(١) المهين: الحقير، ويريد النطفة.

(٢) المنون: الدهر. والريب: صرفه. أي لم تفرقهم صروف الزمان [أو لم يفرّق بينهم الموت].

(٣) زرى عليه كرمى: عابه.

سُبحانك خالقاً ومعبوداً: بحُسنِ بلائك عند خلقك[1] خلقت داراً، وجعلت فيها مأدُبة[2]: مشرباً، ومطعماً، وأزواجاً وخدماً، وقصوراً، وأنهاراً، وزروعاً، وثماراً، ثمّ أرسلت داعياً يدعو إليها، فلا الداعي أجابوا، ولا فيما رغّبت رغبوا، ولا إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا. أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبّها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره[3] وأمرض قلبه، فهو ينظر بعينٍ غير صحيحة، ويسمع بأذنٍ غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه فهو عبدٌ لها، ولمن في يديه شيء منها: حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها، ولا يزدجر من الله بزاجرٍ، ولا يتّعظ منه بواعظٍ. وهو يرى المأخوذين على الغِرّة[4] حيث لا إقالة ولا رجعة ـ كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون. فغيرُ موصوفٍ

(١) البلاء يكون نعمة ويكون نقمة، ويتعين الاول باضافة الحسن اليه، أي ما عدوك الا شكراً لنعمتك عليهم.

(٢) مأدبة بضم الدال وفتحها: ما يصنع من الطعام للمدعوين في عرس ونحوه، والمراد منها نعيم الجنة.

(٣) أعشاه: أعماه.

(٤) على الغرة بالكسر: بغتة وعلى غفلة.

مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ المَوْتِ وَحَسْرَةُ الفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ المَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً[1] فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ – يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا: أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا[2] وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا[3] وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا: تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ المَهْنَأُ لِغَيْرِهِ[4] وَالعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ[5] وَالمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا[6] فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ[7] لَهُ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ

(١) ولوجاً: دخولاً

(٢) أغمض لم يفرق بين حلال وحرام، كأنه أغمض عينيه فلا يميز. أو أغمض أي طلبها من دق الوجوه وخفاها فضلاً عن أظهرها وأجلاها

(٣) تبعاتها بفتح فكسر: ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها، وما يحاسبه به الله من منع حقه منها وتخطي حدود شرعه في جمعها.

(٤) المهنأ: ما أتاك من خير بلا مشقة

(٥) العبء: الحمل والثقل

(٦) غلقت رهونه: استحقها مرتهنها، وأعوزه القدرة على تخليصها كناية عن تعذر الخلاص.

(٧) أصحر له: من أصحر إذا برز في الصحراء، أي على ما ظهر له وانكشف من أمره.

يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ ! فَلَمْ يَزَلِ ٱلْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ [1] ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ : يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ . ثُمَّ ٱزْدَادَ ٱلْمَوْتُ ٱلْتِيَاطاً بِهِ . فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ وَخَرَجَتِ ٱلرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ . فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ . وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ . لَا يُسْعِدُ بَاكِياً [2] ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً . ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ [3] فِي ٱلْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَٱنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ [4]

القيامة

حَتَّى إِذَا بَلَغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَٱلْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَأُلْحِقَ آخِرُ ٱلْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ، أَمَادَ ٱلسَّمَاءَ وَفَطَرَهَا [5] وَأَرَجَّ ٱلْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا

---

(١) خالط لسانه سمعه : شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته .

(٢) التياطاً : أي التصاقاً به . [يسعد باكياً : أي يبكي معه]

(٣) [مخط : مكان مخطوط ، أو مخط : مكان مخطوط]

(٤) زورته : زيارته .

(٥) أماد : جواب اذا بلغ الكتاب الخ . وأمادها حركها على غير انتظام. وفطرها : صدعها .

ونسفها، ودكّ بعضها بعضاً من هيبة جلاله ومخوف سطوته، وأخرج من فيها، فجدّدهم بعد إخلاقهم (1) وجمعهم بعد تفرّقهم. ثم ميّزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال. وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء، فأما أهل طاعته فأثابهم بجواره، وخلّدهم في داره، حيث لا يظعن النزّال، ولا تتغيّر بهم الحال. ولا تنوبهم الأفزاع (2). ولا تنالهم الأسقام، ولا تعرض لهم الأخطار، ولا تشخصهم الأسفار (3). وأما أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار، وغلّ الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل القطران (4)، ومقطّعات النيران (5). في عذاب قد اشتدّ حرّه، وباب قد أطبق على أهله في نار لها كلب ولجب (6)، ولهب ساطع وقصيف هائل (7)، لا يظعن مقيمها، ولا يفادى

---

(1) أخلاقهم بالفتح: من قولهم ثوب خلق إذا كانت الخلوقة شاملة له كله. والخلوقة البلى.

(2) لا تنوبهم الأفزاع: جمع فزع بمعنى الخوف

(3) أشخصه: أزعجه.

(4) السربال: القميص. والقطران معروف

(5) المقطعات: كل ثوب يقطع كالقميص والجبة ونحوها، بخلاف ما لا يقطع كالإزار والرداء. والمقطعات أشمل للبدن وأشد استحكاماً في احراقه

(6) عبر بالكلب (محركاً) عن هيجانها. واللجب الصوت المرتفع

(7) القصيف: أشد الصوت.

أسيرُها ولا تُفصَمُ كُبولُها [1] . لا مُدَّةَ للدَّارِ فتُقضى . ولا أجلَ للقومِ فيُقضى .

زهد النبي

(منها في ذكرِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ) قد حقَّرَ الدُّنيا وصغَّرها ، وأهوَنَ بها وهوَّنَها . وعلِمَ أنَّ اللهَ زواها عنهُ اختياراً [2] ، وبسطَها لغيرِهِ احتقاراً . فأعرضَ عنها بقلبِهِ ، وأماتَ ذِكرَها عن نفسِهِ ، وأحبَّ أن تغيبَ زينتُها عن عينِهِ لكيلا يتَّخِذَ منها رِياشاً [3] ، أو يرجُوَ فيها مُقاماً . بلَّغَ عن ربِّهِ مُعذِراً [4] ، ونصحَ لأُمَّتِهِ مُنذِراً ، ودعا إلى الجنَّةِ مُبشِّراً

أهل البيت

نحنُ شجرةُ النُّبوَّةِ ، ومحطُّ الرِّسالةِ ، ومُختلَفُ الملائكةِ [5] ، ومعادِنُ العلمِ ، وينابيعُ الحِكَمِ . ناصِرُنا ومُحِبُّنا ينتظِرُ الرَّحمةَ ،

(1) الكبول جمع كبل بفتح فسكون القيد . وتفصم تنقطع

(2) زواها قبضها

(3) الرياش : اللباس الفاخر

(4) معذراً مبيناً له حجة تقوم مقام العذر في عقابهم ان خالفوا أمره .

(5) مختلف الملائكة (بفتح اللام) محل اختلافهم أي ورود واحد منهم بعد آخر فيكون الثاني كأنه خلف الأول وهكذا [وعليه مذهب الامامية إذ هم يقولون ان الأئمة يسمعون صوت الملائكة ولا يرونهم عياناً ، وهذا فرق ما بينهم وبين الأنبياء]

وَعَدُوًّا وَمُبْغِضًا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في اركان الدين]

الإسلام

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ . وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ . وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ . وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ . وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ (١) . وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ (٢) . وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ . وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ .

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ . وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ . وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ .

---

(١) رحضه – كمنعه – غسله .

(٢) منسأة : مطالة فيه ومزيد .

وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ. وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ[1].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في ذم الدنيا]

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا[2]، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ[3] زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ[4]، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ[5] لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ

---

(١) ألوم: أشد لوماً لنفسه بين أيدي الله لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد.

(٢) الحبرة بالفتح: السرور والنعمة.

(٣) حائلة: متغيرة.

(٤) نافدة: فانية، بائدة: أي هالكة.

(٥) غوالة: مهلكة.

بِهَا[1] ، أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ « كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً[2] تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً » لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً[3] ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً[4] إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً وَلَمْ تَطُلَّهُ[5] فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ ، وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى[6] لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً[7] إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً[8] وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ[9] غَرَّارَةٌ ، غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ ،

---

(١) أي انها وصلت بأهل الرغبة فيها الى امانيهم فلا تتجاوز الوصف الذي ذكره الله في قوله كماء الخ فقوله أن تكون معمول لتعدو .

(٢) الهشيم : النبت اليابس المتكسر .

(٣) [الحبرة : السرور ، والعبرة] بالفتح : الدمعة قبل أن تفيض ، أو تردد البكاء في الصدر ، أو الحزن بلا بكاء .

(٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والادبار

(٥) الطل : المطر الضعيف ، وطلت السماء : مطرته ، والديمة : مطر يدوم في سكون لا رعد ولا برق معه ، والمزنة : السحابة ، وهتنت المزنة : انصبت .

(٦) أوبى : صار كثير الوباء ، والوباء هو المعروف بالريح الأصفر .

(٧) الغضارة : النعمة والسعة ، والرغب ـ بالتحريك ـ : الرغبة والمرغوب .

(٨) أرهقته التعب : ألحقته به

(٩) القوادم ـ جمع قادمة ـ الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وهي القوادم [والعشر التي تحتها هي الخوافي]

فانٍ من عَلَيْهَا . لا خيرَ في شيءٍ منْ أزْوادِها إلا التَّقوى . مَنْ أقلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤمِنُهُ . ومَن اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ (١) ، وزالَ عمَّا قَليلٍ عَنْهُ . كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِها فجعَتْهُ (٢) ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قدْ صرعتْهُ ، وَذِي أُبَّهَةٍ (٣) قَدْ جَعَلَتْهُ حقِيراً ، وذِي نَخْوَةٍ (٤) قدْ رَدَّتْهُ ذليلاً . سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ (٥) ، وعَيْشُهَا رَنِقٌ (٦) ، وعَذْبُها أُجَاجٌ (٧) وحُلْوُهَا صَبِرٌ (٨) ، وغِذَاؤُهَا سِمَامٌ (٩) ، وأَسْبَابُهَا رِمَامٌ (١٠) . حَيُّهَا بِعَرَضِ موْتٍ ، وصَحِيحُهَا بِعَرَضِ (*) سُقْمٍ . مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَمَوْفُورُهَا

---

(١) يوبقه : يهلكه .

(٢) أفجعته بفقد ما يعز عليه .

(٣) أبهة بضم فتشديد : عظمة .

(٤) النخوة بالفتح : الافتخار .

(٥) [دُوَّل بضم الدال وفتح الواو المشددة، معناه المتحول] أو جمع دولة : وهي انقلاب الزمان .

(٦) رنق ـ بفتح فكسر ـ كدر .

(٧) مالح شديد الملوحة .

(٨) الصبر ـ ككتف ـ عصارة شجر مر .

(٩) جمع سم ـ مثلث السين ـ وهو من المواد ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه .

(١٠) جمع رمة بالضم وهي القطعة البالية من الحبل ، أي ما يتمسك به منها فهو بال منقطع .

(*) في نسخة : بضم العين وسكون الراء .

مَشْكُوبٌ[1]، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[2]. أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً. تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ. ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ[3]. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ[4]، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ[5]، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ[6]، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ[7]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ[8]، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا[9]، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا[10]، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ

---

(١) موفورها: ما كثر منها. مصاب بالنكبة، وهي المصيبة: أي في معرض لذلك
(٢) محروب: من حربه حرباً بالتحريك، إذا سلب ماله.
(٣) ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق.
(٤) أي سخت نفسها لهم بفداء.
(٥) أرهقتهم: غشيتهم بالقوادح بالقاف جمع قادح وهو أكال [كزكام] يقع في الشجر والأسنان، أي بما يهلكهم ويمزق أجسادهم، وفي نسخة الفوادح بالفاء من فدحه الأمر إذا أثقله
(٦) ضعضعتهم: ذللتهم.
(٧) كبتهم على مناخرهم في العفر وهو التراب.
(٨) المناسم: جمع منسم وهو مقدم خف البعير أو خف نفسه.
(٩) دان لها: خضع.
(١٠) أخلد لها: ركن إليها.

ٱلْأَبَدِ[1] وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا ٱلسَّغَبَ[2]، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا ٱلضَّنْكَ[3]، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا ٱلظُّلْمَةَ[4]، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا ٱلنَّدَامَةَ. أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ ٱلدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا فَٱعْلَمُوا — وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ — بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا. وَٱتَّعِظُوا فِيهَا بِٱلَّذِينَ قَالُوا «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً». حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا[5]، وَأُنْزِلُوا ٱلْأَجْدَاثَ[6]. فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَانًا وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ ٱلصَّفِيحِ أَجْنَانٌ[7]، وَمِنَ ٱلتُّرَابِ أَكْفَانٌ[8]، وَمِنَ ٱلرُّفَاتِ جِيرَانٌ[9]، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً. إِنْ

---

(١) أي فراق مدته لا نهاية لها.

(٢) السغب ـ محركة ـ الجوع.

(٣) الضنك: الضيق.

(٤) أو نورت لهم الخ: لم يكن لهم مما ظنوه نوراً إلا الظلام.

(٥) لا يقال لهم ركبان جمع راكب، لأن الراكب من يكون مختاراً، وله التصرف في مركوبه.

(٦) الأجداث: القبور.

(٧) الصفيح: وجه كل شيء عريض، والمراد وجه الأرض، والأجنان جمع جنن محركة وهو القبر.

(٨) لأن أكفانهم منه ولا يغشى أبدانهم سوى التراب.

(٩) الرفات: العظام المندقة المحطومة.

جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا (١) ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ، مُتَدَانُونَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ (٢) ، وَقَرِيبُونَ لاَ يَتَقَارَبُونَ . حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلاَءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ . لاَ يُخْشَى فَجْعُهُمْ (٣) ، وَلاَ يُرْجَى دَفْعُهُمْ . اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً ، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً . فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا (٤) ، حُفَاةً عُرَاةً ، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » .

ومن خطبة له عليه السلام

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس [وامتناع الله من أن يوصف]

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً ؟ ، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى

(١) جيدوا : مطروا [من جاده الغيث وجيدوا مبني للمجهول] .

(٢) [جميع وهم آحاد : أي مجتمعون بعد أن كانوا أفراداً ، وجيرة وهم أبعاد : أي متجاورون ولكنهم متباعدون لا يعرف بعضهم بعضاً] متقاربون لا يزور بعضهم بعضاً

(٣) لا يخشى فجعهم : لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر .

(٤) جاءوا إلى الأرض وانفصلوا منها بعد ما فارقوها وانفصلوا عنها في بدء خلقتهم ، فإنهم خلقوا منها كما قال تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » ، وقد ظعنوا عنها ، يشير إلى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم إما إلى نعيم وإما شقاء ، أو الظعن عنها هو البعث منها يوم القيامة ومفارقتها إما إلى الجنة وإما إلى النار كما يرشد إليه الاستشهاد بالآية .

أَحَداً؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى ٱلْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا (١) ؟ أَمِ ٱلرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا ؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في ذم الدنيا]

وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ (٢) ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ (٣) . قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا ، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا . دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا ، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا ، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا ، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا ، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا . لَمْ يُصْفِهَا ٱللهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ . خَيْرُهَا زَهِيدٌ ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ (٤) ، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ . فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فَنَاءَ ٱلزَّادِ ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ . ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ ، وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ (٥)

---

(١) يلج: يدخل .

(٢) القلعة كهمزة وغرفة وصحفة: من لا يثبت على السرج ، أو من يزول قدمه عند الصراع ، أي هي منزل من لا يستقر .

(٣) النجعة بالضم: طلب الكلأ في موضعه ، أي ليست محط الرحال ولا مبلغ الآمال .

(٤) [عتيد] : حاضر .

(٥) مطلوبكم ، أي اجعلوا الفرائض من مطالبكم التي تسعون لتحصيلها ، وسلوا

وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا (1)، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا (2). قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ. فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ. مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ (3) كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ. وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ. وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ. قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ (4) صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ

الله أن يمنحكم ما سألكم من أداء حقه، أي أن يمن عليكم بالتوفيق لأداء حقه [أي أدّوا حق الله واسألوه، الأولى جاءت للمحاورة وفصل الكلام، والثانية ما سألكم من أداء حقه. والله قد سألكم الواجب فأدّوه]

(1) [أي لا عبرة بالمظهر]

(2) اغتبطوا: غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق.

(3) قلة صبركم: عطف على وجوهكم، وزوي: من زواه بمعنى نحّاه.

(4) عبّر باللعقة عن الإقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته.

مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[وفيها مواعظ للناس]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ ، السِّرَاعِ (1) إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ (2) . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ وَيَقِينُهُ الشَّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ . لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ . وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَاذُ : زَادٌ مُبْلِغٌ وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ . دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ (3) . فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا وَفَازَ وَاعِيهَا .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ (4) . وَأَلْزَمَتْ

---

(1) البطاء بالكسر جمع بطيئة ، والسراع جمع سريعة .

(2) غير تارك شيئاً إلا أحاط به .

(3) وعاها : فهمها وحفظها .

(4) حمى الشيء منه ، أي منعتهم ارتكاب محرماته .

قُلُوبَهُمْ مَخَافَتُهُ، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم[1] فأخذوا الرَّاحة بالنَّصَبِ[2]، وَالرِّيَّ بالظما، وَاسْتَقْرَبُوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا الأمل فلاحظوا الأجل. ثم إن الدنيا دارُ فناء وعناء وغِيَرٍ وعِبَرٍ، فمن الفناء أنَّ الدهرَ موترٌ قوسَهُ[3]، لا تخطئ سهامُهُ، ولا تؤسى جراحُهُ[4]. يرمي الحيَّ بالموت، وَالصَّحيحَ بالسقم، وَالنَّاجيَ بالعطب. آكلٌ لا يشبعُ، وشاربٌ لا يَنْقَعُ[5]. ومن العناء أن المرء يَجْمَعُ ما لا يأكلُ ويبني ما لا يسكنُ، ثم يخرج إلى الله لا مالاً حمل، ولا بناء نقل. ومن غِيَرِها أنك ترى المرحوم مغبوطاً والمغبوط مرحوماً[6] ليس ذلك إلا نعيماً زلَّ[7]، وبؤساً نزل. ومن عِبَرِها أنَّ المرء يُشرفُ على أمله فيقتطعه حضور أجله. فلا أمل يُدرك، ولا مؤمَّلٌ يُترك. فسبحان الله ما أغرَّ سرورها، وأظمأ ريَّها

(١) ظمئوا بالصيام.

(٢) النصب: التعب.

(٣) من أسباب الفناء كون الدهر قد وتر قوسه ليرمي به ...

(٤) تؤسى: تداوى، من أسوت الجرح: داويته.

(٥) لا ينقع كيمنع: لا يشتفي من العطش بالشرب.

(٦) غيرها بكسر ففتح تقلبها، والمرحوم الذي رق له ورحم، والمغبوط حاله حسنة محسود على ما يحسد له من نعمة.

(٧) من زل فلان زليلاً وزلولاً إذا مر سريعاً، ونزل: سقط. أو هو الفعل اللازم من أزله عنه: أبعده.

وأضحى فيئها[1] لا جاء يرد[2]، ولا ماض يرتد. فسبحان الله ما أقرب الحي من الميت للحاقه به، وأبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه.

إنه ليس شيء بشر من الشر إلا عقابه، وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه. وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه. وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه. فليكفكم من العيان السماع، ومن الغيب الخبر. واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا. فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر. إن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه، وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم. فذروا ما قل لما كثر، وما ضاق لما اتسع. قد تكفل لكم بالرزق وأمرتم بالعمل، فلا يكونن المضمون لكم طلبه[3] أولى بكم من المفروض عليكم عمله، مع أنه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين[4]، حتى كأن الذي ضمن لكم قد فرض عليكم، وكأن الذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم. فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل،

(١) أضحى، كضحى كدعى: برز للشمس، والفيء الظل بعد الزوال أو مطلقاً.

(٢) الجائي يريد به الموت.

(٣) طلبه مبتدأ: خبره أولى. وجملتها خبر يكون.

(٤) دخل ـ كفرح ـ خالطه فساد الأوهام.

فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق [1]. ما فات من الرزق رجي غداً زيادته. وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته. الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

ومن خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء

اللهم قد انصاحت جبالنا، واغبرت أرضنا [2]، وهامت دوابنا. وتحيرت في مرابضها. وعجت عجيج الثكالى على أولادها، وملت التردد في مراتعها، والحنين إلى مواردها. اللهم فارحم أنين الآنة، وحنين الحانة. اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها، وأنينها في موالجها [3]. اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين، وأخلفتنا مخايل الجود [4].

---

(1) الذي يفوت من العمر لا يرجى رجوعه بخلاف الذي يفوت من الرزق فانه يمكن تعويضه.

(2) انصاحت: جفت أعالي بقولها ويبست من الجدب. وليس من المناسب تفسير انصاحت بانشقت إلا ان يراد المبالغة في الحرارة التي اشتدت لتأخر المطر حتى نفذ باطن الأرض بها وتصدعت في الجبال فانشقت. [واغبرت ارضنا: طار فيها الغبار لجدبها] وتفسير بقية الالفاظ يأتي في آخر الدعاء لصاحب الكتاب.

(3) موالجها: مداخلها في المرابض.

(4) مخايل جمع مخيلة ـ كعظيمة ـ هي السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر. والجود بالفتح المطر.

أَنْتَ ٱلرَّجَاءُ لِلْمُبْتَئِسِ ، وَٱلْبَلَاغُ لِلْمُلْتَمِسِ [1] . نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ ٱلْأَنَامُ ، وَمُنِعَ ٱلْغَمَامُ ، وَهَلَكَ ٱلسَّوَامُ [2] ، أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا ، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا . وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ ٱلْمُنْبَعِقِ [3] ، وَٱلرَّبِيعِ ٱلْمُغْدِقِ [4] ، وَٱلنَّبَاتِ ٱلْمُونِقِ [5] ، سَحّاً وَابِلاً [6] تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ . ٱللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً ، تَامَّةً عَامَّةً ، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً ، هَنِيئَةً مَرِيعَةً [7] . زَاكِياً نَبْتُهَا ، ثَامِراً [8] فَرْعُهَا ، نَاضِراً وَرَقُهَا ، تُنْعِشُ بِهَا ٱلضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُحْيِي بِهَا ٱلْمَيْتَ مِنْ بِلَادِكَ . ٱللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا ، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا [9] ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا [10] ، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا ، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا ،

---

(١) المبتئس : الذي مسته البأساء والضراء ، والبلاغ : الكفاية .

(٢) السوام : جمع سائمة البهيمة الراعية من الإبل ونحوها .

(٣) انبعق المزن : انبعج عن المطر كأنما هو حي انشقت بطنه فسال ما فيها .

(٤) أغدق المطر : كثر ماؤه .

(٥) المونق : من آنقني إذا أعجبني ، أو من آنقه إذا سره وأفرحه .

(٦) سحاً : صباً ، والوابل الشديد من المطر الضخم القطر .

(٧) المريعة (بفتح الميم) : الخصيبة .

(٨) زاكياً : نامياً . وثامراً : مثمراً آتياً بالثمر .

(٩) نجاد جمع نجد : ما ارتفع من الأرض ، والوهاد جمع وهدة : ما انخفض منها .

(١٠) الجناب : الناحية .

وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا (١)، وَتَنْتَعِشُ بِهَا ضَوَاحِينَا (٢) مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ (٣)، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ. وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضَلَّةً (٤) مِدْرَاراً هَاطِلَةً. يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ (٥)، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ (٦) غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا (٧)، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا (٨)، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا (٩)، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا (١٠)، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَى بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ (١١)، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.

---

(١) القاصية : الناحية أيضاً، أو هي بمعنى البعيدة عنا من أطراف بلادنا في مقابلة جهاتنا.

(٢) ضاحية الماء التي تشرب ضحى. والضواحي جمعها.

(٣) المرملة : بصيغة الفاعل : الفقيرة.

(٤) مخضلة من أخضله إذا بله.

(٥) الودق : المطر.

(٦) يحفز : يدفع.

(٧) البرق الخلب : ما يطمعك في المطر ولا مطر معه.

(٨) الجهام بالفتح : السحاب الذي لا مطر فيه. والعارض ما يعرض في الأفق من السحاب.

(٩) الرباب : السحاب الأبيض.

(١٠) جمع ذهبة (بكسر الذال) المطرة اللينة وهو المراد باللينة في تعبير صاحب الكتاب.

(١١) المسنتون : المقحطون.

قال السيد الشريف، رضي الله عنه: قوله عليه السلام: (انْصَاحَتْ جِبَالُنَا) أي تَشَقَّقَتْ مِنَ المُحُولِ. يُقَالُ: انْصَاحَ الثَّوْبُ إذا انْشَقَّ. ويُقَالُ أيضاً: انْصَاحَ النَّبْتُ وصَاحَ وصَوَّحَ إذا جَفَّ ويَبِسَ. وقَوْلُهُ: (وهَامَتْ دَوابُّنَا) أي عَطِشَتْ، والهُيَامُ العَطَشُ. وقَوْلُهُ: (حَدَابِيرُ السِّنِينَ) — جَمْعُ حِدْبَارٍ — وهي النَّاقَةُ الَّتِي أَنْضَاهَا السَّيْرُ، فَشَبَّهَ بِهَا السَّنَةَ الَّتِي فَشَا فِيهَا الجَدْبُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

حَدَابِيرُ ما تَنْفَكُّ إلَّا مُنَاخَةً

عَلَى الخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْرا

وقَوْلُهُ: (ولا قَزَعٍ رَبَابُهَا) القَزَعُ القِطَعُ الصِّغَارُ المُتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ. وقَوْلُهُ: (ولا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا) فإنَّ تَقْدِيرَهُ ولا ذَاتِ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا. والشَّفَّانُ الرِّيحُ البَارِدَةُ، والذِّهَابُ الأَمْطَارُ اللَّيِّنَةُ، فحَذَفَ (ذَاتَ) لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ.

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها ينصح أصحابه]

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إلى الحَقِّ وشَاهِداً عَلَى الخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ ولا مُقَصِّرٍ (١)، وجَاهَدَ في اللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ ولا مُعَذِّرٍ (٢). إمَامُ مَنِ اتَّقَى، وبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى

(١) وانٍ: متباطئ متثاقل.

(٢) واهن: ضعيف. والمعذر من يعتذر ولا يثبت له عذر.

منها: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱلصُّعُدَاتِ (١) تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ (٢) وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا (٣)، وَلَهَمَّتْ كُلَّ ٱمْرِىءٍ نَفْسُهُ (٤) لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ وَلَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ. قَوْمٌ وَٱللهِ مَيَامِينُ ٱلرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ ٱلْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ (٥) مَضَوْا قُدُماً (٦) عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ (٧)، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى ٱلدَّائِمَةِ وَٱلْكَرَامَةِ ٱلْبَارِدَةِ (٨) أَمَا وَٱللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ

---

(١) الصعدات بضمتين جمع صعيد بمعنى الطريق، أي: لتركتم منازلكم وهمتم في الطرق من شدة الخوف.

(٢) الالتدام: ضرب النساء صدورهن أو وجوههن للنياحة.

(٣) الخالف: من تتركه في أهلك ومالك، إذا خرجت لسفر أو حرب.

(٤) همته: حزنته وشغلته.

(٥) ميامين — جمع ميمون — المبارك. ومراجيح اي حلماء، من رجح إذا ثقل ووصل بميزه والمراد الرزانة اي رزانة الحلم بكسر الحاء وهو العقل. ومقاويل — جمع مقوال — من يحسن القول. ومتاريك — جمع متراك — المبالغ في الترك.

(٦) القدم (بضمتين) المضي أمام، أي متقدمين.

(٧) الوجيف: ضرب من سير الخيل والإبل. وأوجف خيله: سيرها بذلك النوع، أي أسرعوا على الطريق المستقيمة.

(٨) من قولهم: عيش بارد أي هني.

غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ المَيَّالُ [1]، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ.

قال الشريف: الْوَذَحَةُ الْخُنْفَسَاءُ. وَهذَا الْقَوْلُ يُومِىءُ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ، وَلَهُ مَعَ الْوَذَحَةِ حَدِيثٌ [2] لَيْسَ هذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ.

ومن كلام له عليه السلام

[يوبخ البخلاء بالمال والنفس]

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا. تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ [3]، وَلَا تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ. فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ.

ومن كلام له عليه السلام

[في الصالحين من أصحابه]

أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ

---

(1) الذيال: الطويل القد الطويل الذيل المتبختر في مشيته.

(2) قالوا إن الحجاج رأى خنفساء تدب الى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فأخذها بيده فلسعته فورمت يده وأخذته حمى من اللسعة فأهلكته، وهو الله أضعف مخلوقاته وأهونها.

(3) كرم الشيء — كحسن يحسن — أي عز ونفس، أي أنكم تصيرون أعزاء بنسبتكم للايمان بالله ثم لا تبجلون الله ولا تعظمونه بالاحسان الى عباده.

النَّاسِ (١) ، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ (٢) . بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ . فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ . فَوَاللهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ !

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا (٣)

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ (فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ ! لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ (٤) ، وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ ! أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى ، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ (٥) .

---

(١) الحمى — بضم ففتح — جمع حمة بالضم وهي الرقية . والناس الشدة .

(٢) بطانة الرجل، خواصه وأصحاب سره .

(٣) قال بعضهم إن أمير المؤمنين قال هذا الكلام عندما كان يغير أهل الشام على أطراف أعماله بعد واقعة صفين .

(٤) سددتم : وفقتم للسداد .

(٥) [الكتيبة : القطعة من الجيش] القدح بالكسر : السهم قبل أن يراش وينصل . والجفير : الكنانة توضع فيها السهام [ولكنه أوسع منها] وإنما خص القدح لأنه يكون أشد قلقلة من السهم المراش حيث أن حد الريش قد يمنعه من القلقلة أو يخففها .

وإنَّما أنَا قُطبُ الرَّحى، تدُورُ عَليَّ وَأنَا بمكاني، فإذا فارقتُهُ استَحارَ (١) مَدارُها واضْطرَبَ ثِفالُها (٢) هذا لَعمْرُ الله الرَّأيُ السُّوء، وَالله لَوْلا رَجائِي الشَّهادة عِند لقائِي العَدُوَّ - لَوْ قدْ حُمَّ لِي لِقاؤهُ (٣) - لَقرَّبْتُ رِكابي (٤) ثُمَّ شَخصتُ عَنكُمْ فلا أطلُبُكُمْ مَا اختَلفَ جَنُوبٌ وَشمالٌ. إنّهُ لاغناء (٥) في كثرة عَددِكُمْ مع قِلَّةِ اجتِماعِ قُلوبِكُمْ. لقدْ حمَلتُكُمْ عَلى الطَّريق الَّتِي لا يَهْلِكُ عَليْهَا إلّا هالكٌ (٦). مَن استقام فإلى الجنَّة وَمَنْ زَلَّ فإلى النَّار.

ومن كلام له عليه السلام

[يذكر فضله ويعظ الناس]

تالله لقدْ عُلِّمتُ تبليغ الرِّسالات، وإتمام العِدات (٧)، وتمام الكلمات. وعندنا أهلَ البيت أبوابُ الحُكم وضياء

(١) استحار: تردد واضطرب.

(٢) الثفال كغراب وكتاب الحجر الأسفل من الرحى، وككتاب ما وقيت به الرحى من الأرض.

(٣) حم: قدّر.

(٤) حزمت إبلي وأحضرتها للركوب. وشخصت: أي بعدت عنكم وتخليت عن أمر الخلافة.

(٥) الغناء: بالفتح والمد النفع.

(٦) الذي هو هالك لتمكن الفساد من طبعه وجبلته.

(٧) العدات: جمع عدة بمعنى الوعد.

ٱلأَمْرِ. أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ ٱلدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ[1]. مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ. ٱعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ ٱلذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ ٱلسَّرَائِرُ. وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ[2]، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[3]. وَٱتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[4]. أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ ٱلصَّالِحَ يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ[5].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[بعد ليلة الهرير]

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: نَهَيْتَنَا عَنِ ٱلْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا فَمَا نَدْرِي أَيُّ ٱلْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ؟ فَصَفَقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى ٱلْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ:

---

(1) قاصدة أي مستقيمة [واستعار الشرائع لأهل النسب لكونهم موارد طلاب العلم كما ان الشرائع موارد طلاب الماء]

(2) عازبه: غائبه، أي من لم ينتفع بعقله الموهوب له، الحاضر في نفسه فأولى به ان لا ينتفع بعقل غيره، الذي هو غائب عن نفسه. أي ليس من صنعه من صدقت العبر.

(3) عوز الشيء كفرح: أي لم يوجد.

(4) الصديد: ماء الجرح الرقيق والحميم

(5) اللسان الصالح: الذكر الحسن.

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ [1] أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ — لَكَانَتِ ٱلْوُثْقَى، وَلٰكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي. كَنَاقِشِ ٱلشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا [2]. ٱللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا ٱلدَّاءِ ٱلدَّوِيِّ [3]، وَكَلَّتِ ٱلنَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ ٱلرَّكِيِّ [4] أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ. وَهِيجُوا إِلَى ٱلْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ ٱللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا [5]. وَسَلَبُوا ٱلسُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً

(١) ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة حتى يكون الظفر او الهزيمة.

(٢) الضلع [بفتح الضاد] وتسكين اللام: الميل. وفي المثل «لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها معها» يضرب للرجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مشربه. ونقش الشوكة اخراجها من العضو تدخل فيه.

(٣) الداء الدويّ بفتح فكسر: المؤلم الشديد [وقد وصف بما هو من لفظه].

(٤) كلت: ضعفت. والنزعة جمع نازع. والأشطان جمع شطن وهو الحبل. والركي جمع ركية وهي البئر، أي ضعفت قوة النازعين لمياه المعونة من آبار هذه الهمم الغائضة الغائرة.

(٥) اللقاح جمع لقوح وهي الناقة. وولهها الى اولادها فزعها اليها اذا فرقتها.

وصفًّا صفًّا . بعضٌ هلكَ وبعضٌ نجا . لا يُبشَّرون بالأحياء [1] ، ولا يُعزَّون عن الموتى . مُرْهُ العيونِ من البكاء [2] . خُمْصُ البطونِ [3] من الصيام . ذُبْلُ الشفاهِ من الدعاء [4] . صُفْرُ الألوانِ من السهر . على وجوهِهِم غَبَرَةُ الخاشعين . أولئك إخواني الذاهبون فحقَّ لنا أن نظمأ إليهم ونعضَّ الأيدي على فراقهم . إنَّ الشيطانَ يُسنّي لكم طُرُقَه [5] ، ويريدُ أن يحلَّ دينَكم عُقْدَةً عُقْدَةً ، ويُعطيكم بالجماعةِ الفُرْقَة [6] . فاصدِفوا عن نزغاتِه ونفثاتِه [7] واقبلوا النصيحةَ ممّن أهداها إليكم ، واعقلوها على أنفسكم [8] .

---

(١) إذا قيل لهم نجا فلان فبقي حياً لا يفرحون لأن أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق . ولا يعزون إذا قيل لهم مات فلان فإن الموت عندهم حياة السعادة الأبدية .

(٢) مره بضم فسكون جمع أمره من مرهت عينه إذا فسدت أو ابيضت حماليقها .

(٣) خمص البطون : ضوامرها .

(٤) [illegible] جف ويبس [illegible]

(٥) يسني : يسهل .

(٦) يعطيكم الفرقة بدل [illegible]

(٧) فاصدفوا ، أي فاعرضوا عن وساوسه .

(٨) اعقلوها : احبسوها على أنفسكم لا تتركوها فتضيع منكم فتخسرون .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة

فقال عليه السلام:

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ: فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلاًّ بِكَلامِهِ. وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا. ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلامُ بِكَلامٍ طَوِيلٍ.

(منه): أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً:

إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ. فَقُلْتُ لَكُمْ: هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ. وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ. فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بَنَوَاجِذِكُمْ. وَلا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ[1]: إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ. وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ

(١) [يشير بالناعق الى طالب الحكومة، والمشير عليهم بذلك كان عمرو بن العاص]

أَعْطَيْتُمُوهَا[1]، وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا، وَلَا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا. وَوَاللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ. فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً، وَمُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ. وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالْاعْوِجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا وَنَتَدَانَى بِهَا[2] إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغِبْنَا فِيهَا وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لأصحابه في ساحة الحرب (بصفين)

[وفيه يعلم أصحابه فنون القتال وآدابه]

وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ[3]، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ[4]

---

(١) أنتم الذين أعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عيبا برأيكم.

(٢) المراد من الخصلة بالفتح هنا: الوسيلة. ولمّ شعثه: جمع أمره. ونتدانى: نتقارب الى ما بقي بيننا من علائق الارتباط.

(٣) رباطة الجأش – ككتابة: قوة القلب عند لقاء الأعداء.

(٤) الفشل: الضعف، وقوله فليذب أي فليدفع. والنجدة بالفتح: الشجاعة.

بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ فَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ(١) . وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ .

(مِنْهُ) وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ(٢) . لَا تَأْخُذُونَ حَقّاً وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً . قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ(٣) . فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ .

(ومنه) [في حثهم على القتال] : فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ(٤) وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ(٥) . وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ(٦) لِلْأَسِنَّةِ .

---

(١) في سبيل الذب عن الحق ورد كيد الباطل عنه .

(٢) كشيش الضباب : صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها ، والمراد حكاية حالهم عند الهزيمة .

(٣) قد خلي بينكم وبين طريق الآخرة ، فمن اقتحم أخطار القتال ورمى بنفسه إليها فقد نجا ، ومن تلوم ، أي توقف وتباطأ ، فقد هلك .

(٤) الدارع : لابس الدرع ، والحاسر : من لا درع له .

(٥) أنبى : من نبا السيف إذا دفعته الصلابة من موقعه فلم يقطع .

(٦) إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فانعطفوا وأميلوا جانبكم فتزلق ولا تنفذ فيكم أسنتها ، وأمور : أي أشد فعلاً للمور ، وهو الاضطراب الموجب للانزلاق وعدم النفوذ .

وَغضّوا الأبصار فإنّهُ أربطُ للجأشِ وأسكنُ للقلوبِ . وأميتوا الأصوات فإنّهُ أطردُ للفشلِ . ورايتكُم فلا تُميلوها ولا تُخلّوها ، ولا تجعلوها إلّا بأيدي شُجعانِكُم والمانعينَ الذّمارَ مِنكُم (١) فإنّ الصابرينَ على نُزولِ الحقائقِ هُمُ الذينَ يحفّونَ براياتِهِم ، ويكتنفونَ حِفافيها (٢) : وراءها وأمامها ، ولا يتأخّرونَ عنها فيُسلِموها ، ولا يتقدّمونَ عليها فيُفردوها . أجزأ امرؤٌ قِرنَهُ (٣) ، وآسى أخاهُ بنفسِهِ ، ولم يكِلْ قِرنَهُ إلى أخيهِ فيجتمعَ عليهِ قِرنُهُ وقِرنُ أخيهِ . وايمُ اللهِ لئن فررتُم من سيفِ العاجلةِ لا تسلَموا من سيفِ الآخرةِ . وأنتُم لهاميمُ العربِ (٤) والسّنامُ الأعظمُ . إنّ في الفرارِ موجدةَ اللهِ (٥) ، والذّلَّ اللازمَ والعارَ الباقيَ . وإنّ الفارَّ لغيرُ مزيدٍ في عُمرِهِ ولا محجوزٍ بينَهُ وبينَ

---

(١) الذمار بالكسر : ما يلزم الرجل حفظه وحمايته من ماله وعرضه .

(٢) حقائق : جمع حاقة وهي النازلة الثابتة . ويحفون بالرايات : أي يستديرون حولها . ويكتنفونها : يحيطون بها . وحفافيها : جانبيها .

(٣) أجزأ وما بعده : أفعال ماضية في معنى الأمر ؛ أي فليكف كل منكم قرنه أي كفؤه ونظيره . وليواس أخاه ، آساه يؤاسيه : قوّاه ، رباعي ثلاثيه أسي الشيء إذا قوي ، ومنه الأسية للمحكم من البناء والدعامة ؛ ولا يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع على أخيه خصمان فيغلبانه ثم يقبلان عليه فيهلكانه .

(٤) لهاميم جمع لهميم بالكسر : الجواد السابق من الانسان والخيل .

(٥) موجدة : غضبه .

يَوْمِهِ . الرَّائِحُ إِلَى ٱللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ ٱلْمَاءَ . ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ ٱلْعَوَالِي[1] ٱلْيَوْمَ تُبْلَى ٱلْأَخْبَارُ[2] وَٱللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . ٱللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا ٱلْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ[3] . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ[4] . يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلنَّسِيمُ ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ ٱلْهَامَ ، وَيُطِيحُ ٱلْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ ٱلسَّوَاعِدَ وَٱلْأَقْدَامَ[5] وَحَتَّى يُرْمَوْا بِٱلْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا ٱلْمَنَاسِرُ[6] ، وَيُرْجَمُوا بِٱلْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا ٱلْحَلَائِبُ[7] ، وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ ٱلْخَمِيسُ يَتْلُوهُ ٱلْخَمِيسُ ، وَحَتَّى تَدْعَقَ ٱلْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ[8] ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ[9] .

---

(١) العوالي : الرماح .

(٢) تبلى : تمتحن أخبار كل امرىء عما في نفسه من دعوى الشجاعة والصدق في الايمان فيتبين الصادق من الكاذب

(٣) أبسلهم : أسلمهم للهلكة .

(٤) دراك – ككتاب – متتابع متوال يفتح في أبدانهم ابواباً يمر منها النسيم .

(٥) يندرها (كيهلكها) : أي يسقطها .

(٦) المناسر ، جمع منسر (كمجلس) القطعة من الجيش تكون امام الجيش الأعظم

(٧) الكتائب جمع كتيبة ، من مائة الى الألف . والحلائب جمع حلبة على ما في القاموس . الجماعة من خيل تجتمع من كل صوب للنصرة ، والخميس الجيش العظيم وقيل من أربعة آلاف الى اثني عشر الفاً

(٨) دعق الطريق : كمنع – وطئه وطئاً شديداً ودعق الغارة منها .

(٩) أعنان الشيء : أطرافه ، والمسارب : [illegible]

(١٠) في نسخة [illegible]

قال السيد الشريف : أقولُ : الدَّعقُ : الدقُّ ، أي تَدُقُّ الخُيولُ بِحَوافِرِها أرضَهُمْ . وَنَواحِرُ أرضِهِمْ مُتَقابِلاتُها . يُقالُ مَنازِلُ بَني فُلانٍ تَتَناحَرُ ، أي تَتَقابَلُ .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في التحكيم

[وذلك بعد سماعه لأمر الحكمين]

إنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجالَ ، وإنَّما حَكَّمْنا القُرْآنَ وَهٰذا القُرْآنُ إنَّما هُوَ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ (1) لا يَنْطِقُ بِلِسانٍ ؛ وَلا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجمانٍ . وَإنَّما يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجالُ . وَلَمَّا دَعانا القَوْمُ إلى أنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنا القُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الفَريقَ المُتَوَلِّي عَنْ كِتابِ اللهِ تَعالى وَقَدْ قالَ اللهُ سُبْحانَهُ « فَإنْ تَنازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرَّسُولِ » فَرَدُّهُ إلى اللهِ أنْ نَحْكُمَ بِكِتابِهِ ، وَرَدُّهُ إلى الرَّسُولِ أنْ نَأخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإذا حُكِمَ بِالصِّدْقِ في كِتابِ اللهِ فَنَحْنُ أحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَحْنُ أوْلاهُمْ بِهِ . وَأمَّا قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أجَلاً في التَّحْكيمِ ، فَإنَّما فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الجاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ العالِمُ . وَلَعَلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ في هٰذِهِ الهُدْنَةِ

---

(1) الدفتان : صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف .

أَمْرَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ، وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا (١) فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ ٱلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ ٱلْغَيِّ. إِنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللّٰهِ مَنْ كَانَ ٱلْعَمَلُ بِٱلْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ - وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ (٢) - مِنَ ٱلْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ! اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَىٰ قَوْمٍ حَيَارَىٰ عَنِ ٱلْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِٱلْجَوْرِ (٣) لَا يَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ ٱلْكِتَابِ، نُكُبٍ عَنِ ٱلطَّرِيقِ (٤). مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا (٥)، وَلَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا (٦). لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ (٧)! أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحًا (٨)، يَوْمًا أُنَادِيكُمْ وَيَوْمًا أُنَاجِيكُمْ، فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ ٱلنِّدَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلنَّجَاءِ (٩)،

---

(١) الأكظام جمع كظم (محركة) مخرج النفس. والأخذ بالأكظام المضايقة والاشتداد بسلب المهلة.

(٢) كرثه - كنصره وضربه - اشتد عليه الغم يحكم الحق دون الحرب بحسق مسرة لديه، والمسرة بالباطل زهرة ترتها الغم الدائم، وقوله «من الباطل» متعلق بأحب [إليه].

(٣) موزعين من أوزعه أي أغراه. وقوله لا يعدلون به أي لا يستبدلونه بالعدل

(٤) نكب - جمع ناكب - العادل عن الطريق

(٥) أي بعروة وثيقة يستمسك بها.

(٦) زافرة الرجل: أنصاره وأعوانه.

(٧) الحشاش - جمع حاش - من حش النار أي أوقدها، أي لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم.

(٨) برحا - بالفتح - شرا أو شدة

(٩) [ويريد بيوم النداء يوم الدعوة إلى الحرب وبيوم المناجاة يوم العتاب على التقصير] النجاء: الإفضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر.

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لَمَّا عُوتِبَ عَلَى التَّسْوِيَةِ فِي الْعَطَاءِ (١)

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ (٢)، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً (٣)! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ! أَلا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ (٤)، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ (٥)، وَأَلْأَمُ خَلِيلٍ!

---

(١) [والتسوية في العطاء من سنة الرسول ثم فضل الخلفاء بعده أهل السابقة في الاسلام .]

(٢) ما أطور به من طار يطور : حام حول الشيء . أي ما أمرّ به ولا أقارب به مبالغة في الابتعاد عن العمل بما يقولون . وما سمر سمير . أي مدى الدهر [والسميران : الليل والنهار]

(٣) أي ما قصد نجم نجماً [أي ما دار الفلك واستمر دورانه] .

(٤) [والمال يرفع صاحبه في الدنيا إذا بذره فذكر بالكرم والجود بين العوام، ويضعه في الآخرة إذ كان به على رذيلة] .

(٥) خدين : صديق [وكنى بزلة النعل عن الخطأ والعثار] .

ومن كلام له عليه السلام

[وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين]

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ، تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ. وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ[1]. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ[2].

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ، فَالْزَمُوهُ وَالْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ

---

(١) كان من زعم الخوارج أن من أخطأ وأذنب فقد كفر، فأراد الامام أن يقيم الحجة على بطلان زعمهم بما رواه عن النبي ﷺ.

(٢) ضرب به تيهه: سلك به في بادية ضلاله.

فَإِنَّ يَدَ ٱللهِ عَلَى ٱلْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَٱلْفُرْقَةَ !

فَإِنَّ ٱلشَّاذَّ مِنَ ٱلنَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ ٱلشَّاذَّ مِنَ ٱلْغَنَمِ لِلذِّئْبِ (١)

أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هٰذَا ٱلشِّعَارِ (٢) فَٱقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ

وَإِنَّمَا حُكِّمَ ٱلْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا ٱلْقُرْآنُ وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ ٱلْقُرْآنُ . وَإِحْيَاؤُهُ ٱلِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ ٱلِافْتِرَاقُ عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّنَا ٱلْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ ٱتَّبَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا ٱتَّبَعُونَا . فَلَمْ آتِ — لَا أَبَا لَكُمْ — بُجْراً (٣) ، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ (٤) وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا ٱجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى ٱخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا ٱلْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَا ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا — فِي ٱلْحُكُومَةِ بِٱلْعَدْلِ وَٱلصَّمْدِ لِلْحَقِّ — سُوءَ

---

(١) [ووجه الشبه كون الانفراد محل لوقوع الهلاك فالمنفرد يواتيه الهلاك والمنفرد من الغنم له أيضاً] .

(٢) الشعار علامة القوم في الحرب والسفر ، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً . قيل كان شعار الخوارج « لا حكم إلا لله » ، وقيل المراد بهذا الشعار هو ما امتازوا به من الخروج عن الجماعة ، فيريد الإمام ان كل خارج عن رأي الجماعة مستبد برأيه عامل على التصرف سواء فهو واجب القتل وإلا كان شره منه وتفريق بين المؤمنين [وقوله « ولو كان تحت عمامتي هذه » : مبالغة كنى بها عن أقصى القرب من عنايته] .

(٣) البجر — بالضم — الشر والأمر العظيم .

(٤) ختلتكم : خدعتكم . والتلبيس خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف

رأيهما (1) وَجَوْرَ حُكْمِهما.

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فيما يُخْبِرُ بِهِ عَنِ ٱلْمَلاحِمِ بِالْبَصْرَةِ (2)

[قاله بعد وقعة الجمل]

يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ ٱلَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ (3)، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ (4) يُثِيرُونَ ٱلْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ ٱلنَّعَامِ (يومي بذلك الى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام) وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ ٱلْعَامِرَةِ (5)،

---

(1) [وقوله عليه السلام « احتج برأي ملأكم » دليل على انه لم يكن راضيا عن حكومة أبي موسى الأشعري وإنما أجبره عليه الملأ] والعمد: القصد، وعمد مفعول لاجله.

(2) الملاحم: جمع ملحمة، وهي الوقعة العظيمة.

(3) اللجب: الصياح. واللجم جمع لجام وقعقعتها ما يسمع من صوت اضطرابها بين اسنان الخيل [والخطاب للأحنف بن قيس واسمه صخر بن قيس من تميم وكان رئيساً ذا عقل وحنكة في قومه [illegible] وشهد صفين مع أمير المؤمنين ولكنه لم يشهد الجمل مع احد من الفريقين].

(4) الحمحمة صوت البرذون عند الشعير، وعر الفرس (أي صوته) عندما يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه.

(5) جمع سكة: الطريق المستوي وهو هنا عبارة عن تخريب تلك الطرق من تخريب ما حواليها من المدن على يد صاحب الزنج، وقد تقدم خبره في قيامه وسقوطه فراجعه.

وَٱلدُّورِ ٱلْمُزَخْرَفَةِ ٱلَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ ٱلنُّسُورِ ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ ٱلْفِيَلَةِ ، مِنْ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ [2] ، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ . أَنَا كَابُّ ٱلدُّنْيَا لِوَجْهِهَا ، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا

(منه ، ويومي به الى وصف الاتراك) كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ ٱلْمَجَانُّ ٱلْمُطَرَّقَةُ [3] ، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ وَٱلدِّيبَاجَ [4] ، وَيَعْتَقِبُونَ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ [5] وَيَكُونُ هُنَاكَ ٱسْتِحْرَارُ قَتْلٍ [6] حَتَّى يَمْشِيَ ٱلْمَجْرُوحُ عَلَى ٱلْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ ٱلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ ٱلْمَأْسُورِ

---

(١) اجنحة الدور ، رواشنها ، وقيل ان الجناح والروشن يشتركان في اخراج الخشب من حائط الدار الى الطريق بحيث لا يصل الى جدار آخر يقابله والا فهو الساباط ، ويختلفان في ان الجناح توضع له اعمدة من الطريق بخلاف الروشن ؛ وخراطيمها ما يعمل من الاخشاب والبواري بارزة عن السقوف لوقاية الغرف من الامطار وشعاع الشمس ، أو الخراطيم هي الميازيب تطلى بالقار على طول نحو خمسة اذرع او ازيد

(٢) اولئك أصحاب الزنج لأنهم عبيد [وقيل ان ذلك لأنه لا أهل لهم يبكونهم اذا ماتوا وقيل انه وصف لشدة البأس والحرص على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت ولا يأسفون على فقيدهم]

(٣) في القاموس اي التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة اي المخصوفة ، وهو عجز عن التعبير ، والأحسن ان يقال أي التي ألزق بها الطراق ـ ككتاب ـ وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به .

(٤) السرق ـ بالتحريك ـ : شقق الحرير الابيض ، أو هو الحرير عامة .

(٥) يعتقبون : يحتبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم .

(٦) استحرار القتل : اشتداده .

(فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ . فَضَحِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيّاً) : يَا أَخَا كَلْبٍ ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ . وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ « إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » الْآيَةَ ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً ، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً . فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي (١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر المكاييل والموازين

عِبَادَ اللهِ ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا ـ أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ (٢) ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ ، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ

(١) تضطم : هو افتعال من الضم ، أي وتنضم عليه جوانحي . والجوانح الاضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر . وانضمامها عليه اشتمالها على قلب يعيها .

(٢) أثوياء جمع ثوي كغني : وهو الضيف .

محفوظ . ورب دائب مضيع [1] ، ورب كادح خاسر . وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً ، ولا الشر إلا إقبالاً ، ولا الشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً . فهذا أوان قويت عدته [2] ، وعمت مكيدته ، وأمكنت فريسته [3] . اضرب بطرفك حيث شئت من الناس ، فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً ، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً ، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً ، أو متمرداً كأن بأذنه عن سمع المواعظ وقراً . أين خياركم وصلحاؤكم ؛ وأين أحراركم وسمحاؤكم ؛ وأين المتورعون في مكاسبهم ، والمتنزهون في مذاهبهم ؛ أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية ، والعاجلة المنغصة . وهل خلقتم إلا في حثالة [4] لا تلتقي بذمهم الشفتان ، استصغاراً لقدرهم ، وذهاباً عن ذكرهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! ظهر الفساد ، فلا منكر مغير ، ولا زاجر مزدجر . أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه ، وتكونوا أعز أوليائه

---

(١) الدائب : المداوم في العمل . والكادح : الساعي لنفسه بجهد ومشقة ، والمراد من يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا .

(٢) الضمير [في عدته] للشيطان

(٣) أمكنت الفريسة : أي سهلت وتيسرت

(٤) الحثالة - بالضم - الرديء من كل شيء . والمراد قزم الناس وصغراء النفوس [والاستفهام هنا للتقرير أي ان الناس خلقوا من حثالة] .

عِنْدَهُ ؟ هَيْهَاتَ ! لا يُخْدَعُ ٱللهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَلا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . لَعَنَ ٱللهُ ٱلْآمِرِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ، ٱلتَّارِكِينَ لَهُ ، وَٱلنَّاهِينَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، ٱلْعَامِلِينَ بِهِ (١)

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ

لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذة (٢)

يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلهِ ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ . إِنَّ ٱلْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَٱهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ . فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ . وَسَتَعْلَمُ مَنِ ٱلرَّابِحُ غَداً ، وَٱلْأَكْثَرُ حُسَّداً . وَلَوْ أَنَّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ ٱتَّقَى ٱللهَ لَجَعَلَ ٱللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً (٣) ، وَلا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا ٱلْحَقُّ ، وَلا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا ٱلْبَاطِلُ . فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ

---

(١) [وهذه صفات منافق والمنافق يستوجب اللعن] .

(٢) محركة : موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه والذي أخرجه إليه خليفة الثالث رضي الله عنه [وأبو ذر هو جندب بن جنادة أسلم بمكة ولم يشهد بدراً ولا الخندق وكان يتولى علياً وأهل بيته ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر » شكاه معاوية إلى عثمان فقدم عليه فقال له عثمان : انزل حيث شئت ، فنزل الربذة ومات بها] .

(٣) [وهو مأخوذ من قوله تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً] .

لأَحْبُوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمُوتَكَ [1]

ومن كلام له عليه السلام

[وفيه يبين سبب طلبه الحكم ويصف الامام الحق]

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ [2] وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سِرَارَ الْعَدْلِ [3] ، أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ . وَلَكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – بِالصَّلَاةِ .

---

(١) لو قرضت منها: لو قطعت منها جزءاً واختصصت به نفسك، أي لو رضيت ان تنال منها .

(٢) أظأركم : أعطفكم [ووعوعة الأسد : صوته ، وشبه نفورهم منه بنفور المعزى من صوت الأسد لشدة نفورهم من الحق] .

(٣) السرار كسحاب في الأصل : آخر ليلة من الشهر ، والمراد الظلمة أي ان أطلع بكم شارقاً يكشف عما عرض على العدل من الظلمة ، كما يدل على هذا قوله . أو أقيم اعوجاج الحق ، فان الحق لا اعوجاج فيه ، ولكن قوماً خلطوه بالباطل ، فهذا ما أصابه من اعوجاج .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلْفُرُوجِ وَٱلدِّمَاءِ وَٱلْمَغَانِمِ وَٱلْأَحْكَامِ، وَإِمَامَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْبَخِيلُ. فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ (١)، وَلَا ٱلْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا ٱلْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ. وَلَا ٱلْحَائِفُ لِلدُّوَلِ (٢) فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلَا ٱلْمُرْتَشِي فِي ٱلْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِٱلْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ ٱلْمَقَاطِعِ (٣). وَلَا ٱلْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ ٱلْأُمَّةَ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

[يعظ فيها ويزهد من الدنيا]

حمد الله

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَٱبْتَلَى (٤). ٱلْبَاطِنُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ. ٱلْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ ٱلصُّدُورُ وَمَا تَخُونُ ٱلْعُيُونُ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ (٥) شَهَادَةً

---

(١) النهمة ـ بالتحريك ـ إفراط الشهوة والمبالغة في الحرص

(٢) الحائف ـ من الحيف ـ أي الجور والظلم. والدول: جمع دولة بالضم هي المال لأنه يتداول أي ينتقل من يد ليد. والمراد من يحيف في قسم الأموال فيفضل قوما في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل.

(٣) المقاطع: الحدود التي عينها الله لها [والمعطل للسنة يهلك الأمة لتضييعه قوانين الشريعة وذلك يستلزم فساد النظام].

(٤) الإبلاء: الإحسان: الإنعام [فهو في الخير] والابتلاء: الامتحان [فهو بالشر].

(٥) بعيثه: مصطفاه ومبعوثه.

يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلَانَ ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ .

عظة الناس

منها : وَإِنَّهُ وَاللهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ . وما هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ (١) وَأَعْجَلَ حَادِيهِ . فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ (٢) ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ ، وَحَذِرَ الْإِقْلَالَ ، وأَمِنَ الْعَوَاقِبَ – طول أملٍ (٣) وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ . كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا ، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ ، حَمْلاً عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكاً بِالْأَنَامِلِ . أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً ، وَيَبْنُونَ مَشِيداً ، ويجمعون كَثِيراً ، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً وَمَا جَمَعُوا بُوراً . وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يُسْتَعْتَبُونَ . فمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ (٤)

---

(١) أي ان الداعي الى الموت قد أسمع بصوته كل حي ، فلا حي إلا وهو يعلم انه يموت . وأعجل حاديه اي ان الحادي ليسير بالمطايا الى منازل الاجسام لأجداثها من مسكنة الارواح ، قد عجل المدبرين عن تدبيرهم وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم .

(٢) لا تغتر بكثرة الاحياء ، فكلما رأيت حياً زعمت انك باق مثله .

(٣) طول مفعول لأجله ، أي كان منه ذلك لطول الامل الخ

(٤) برز الرجل على اقرانه اي فاقهم . والمهل : التقدم في الخير ، اي فاق بتقدمه الى الخير على تقدم غيره .

وفاز عمله . فاهتبلوا هبلها ، واعملوا للجنة عملها [1] ، فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام ، بل خلقت لكم مجازاً لتزودوا منها الأعمال إلى دار القرار . فكونوا منها على أوفاز [2] . وقربوا الظهور للزيال .

ومن خطبة له عليه السلام

[يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبي ويعظ الناس]

عظمة الله تعالى

وانقادت له الدنيا والآخرة بأزمتها ، وقذفت إليه السموات والأرضون مقاليدها [3] ، وسجدت له بالغدو والآصال الأشجار الناضرة ، وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة [4] . وآتت أكلها بكلماته الثمار اليانعة .

---

(١) اهتبل الصيد : طلبه [وأحكم رميه] ، والضمير في هبلها للتقوى لا للدنيا أي اغتنموا خير التقوى .

(٢) الوفز — ويحرك — العجلة ، وجمعه أوفاز ، أي كونوا منها على استعجال ، والظهور : ظهور المطايا ، أي أحضروها للزيال أي فراق الدنيا .

(٣) مقاليدها — جمع مقلاد — وهو المفتاح [والمراد بها مفاتيح السموات والارض الرزق والرحمة — عن ابن عباس ومقاتل]

(٤) أي ان الاشجار أشعلت النيران المضيئة من قضبانها أي أغصانها . [والمراد بسجود الاشجار دخولها تحت قدرته سبحانه وحاجتها الى جوده] وقوله بكلماته أي بأوامره التكوينية ، والضمير له سبحانه [والثمار اليانعة المدركة] .

القرآن

منها: وكتابُ اللهِ بين أظهُرِكم ناطقٌ لا يَعْيَى لسانُه، وبيتٌ لا تُهدَمُ أركانُه، وعِزٌّ لا تُهزَمُ أعوانُه [1].

رسول الله

منها: أرسلَهُ على حينِ فترةٍ من الرُّسُلِ، وتنازُعٍ من الألسُنِ، فقَفَّى به الرُّسُلَ، وخَتَمَ به الوَحْيَ، فجاهدَ في اللهِ المُدْبِرينَ عنه، والعادلينَ به.

الدنيا

منها: وإنما الدُّنيا مُنتهى بصرِ الأعمى [2]، لا يُبصِرُ مما وراءَها شيئاً، والبصيرُ يَنفُذُها بصرُهُ، ويعلَمُ أنَّ الدارَ وراءَها. فالبصيرُ منها شاخصٌ، والأعمى إليها شاخصٌ [3]، والبصيرُ منها متزوِّدٌ، والأعمى لها متزوِّدٌ.

عظة الناس

منها: واعلَموا أنَّهُ ليسَ من شيءٍ إلّا ويكادُ صاحبُهُ يَشبَعُ

---

(1) [وعد النص في معرض التوسع على ترك القرآن واهمال احكامه].

(2) يشير الى ان من يقصر نظره على الدنيا فكأنه لم يبصر شيئاً فهو بمنزلة الاعمى.

(3) [الشاخص الاولى بمعنى الراحل والشاخص الثانية بمعنى الرافع بصره الى شيء].

مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ وَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي ٱلْمَوْتِ رَاحَةً (١) . وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ ٱلْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ ٱلْعَمْيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ ٱلصَّمَّاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ ، وَفِيهَا ٱلْغِنَى كُلُّهُ وَٱلسَّلَامَةُ . كِتَابُ ٱللّٰهِ تُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، لَا يَخْتَلِفُ فِي ٱللّٰهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ ٱللّٰهِ ، قَدِ ٱصْطَلَحْتُمْ عَلَى ٱلْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ (٢) . وَنَبَتَ ٱلْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ ٱلْآمَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ ٱلْأَمْوَالِ . لَقَدِ

(١) لا يجد في الموت راحة حيث لم يعد من العمل الصالح الباقي ما يكسبه السعادة بعد الموت . وقال وإنما ذلك أي شعور الانسان بحقيقة ما بعد الموت بمنزلة الحكمة وانتباه نفسه من غفلة الغرور وتحثه الى خير العمل ، ثم بعد بيانه لما يجده الانسان في نفسه من خشية ما وراء الموت ولما يرشد اليه ذلك الوجدان أخذ يبين الوسيلة الموصلة الى السعادة بما تخشاه القلوب وتستوحش منه النفس ، وأرشد الى التمسك بكتاب الله الذي بين أوصافه ، وبهذا التفسير يتم الكلام وتندفع حيرة الشارحين في هذا المقام . وقوله كتاب الله خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب الله فيه ما تحتاجون اليه مما تدعوكم الفطرة الى طلبه .

(٢) الغل : الحقد . والاصطلاح عليه الاتفاق على تكتمه في النفوس . وقوله نبت المرعى على دمنكم كناية عن وصف الحالة فيهم . والدمن بكسر ففتح جمع دمنة بالكسر وهي الحقد القديم . ونبت المرعى عليه ستره بظواهر النفاق وزينة الخداع ، وأصل الدمن السرقين وما يكون من أرواث الماشية وأبوالها ، وسميت بها الاحقاد لأنها أشبه شيء بها ، قد تنبت عليها الخضر وهي على ما فيها من قذر . وهذا كلام يعني به حالهم مع وجود كتاب الله ومرشد الانام

استهام بكم الخبيث[1]، وتاه بكم الغرور، والله المستعان على نفسي وأنفسكم

ومن كلام له عليه السلام

وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج الى غزو الروم بنفسه

وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة[2]، وستر العورة. والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون، ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون: حي لا يموت.

إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم بشخصك، فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم[3]. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه. فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة[4]، فإن أظهر الله فذاك

---

(١) استهام: من هام على وجهه إذا خرج لا يدري أين يذهب أي أخرجكم الشيطان من نور الفطرة وضياء الشريعة الى ظلمات الضلال والحيرة.

(٢) الحوزة: ما يحوزه المالك ويتولى حفظه. وإعزاز حوزة الدين حمايتها من تغلب اعدائه.

(٣) كانفة: عاصمة يلجأون إليها، من كنفه إذا صانه وستره.

(٤) أحفز: من حفزه: كضربه ـ إذا دفعه وساقه سوقاً شديداً. وأهل البلاء: أهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد والجرأة في الاقدام. والبلاء هو الاجادة في العمل وإحسانه.

مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ (1) وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان (2) [في زمن الثورة على عثمان] فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه، فقال علي عليه السلام للمغيرة

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي؟ فَوَاللهِ مَا أَعَزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ. اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ (3)، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ، فَلَا أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ (4)!

---

(1) الردء ـ بالكسر ـ الملجأ. والمثابة: المرجع. [وكان ذلك حين خرج قيصر الروم إلى المسلمين بعد عزل خالد وصيرورة الأمر إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح وشرحبيل بن حسنة في فتوح الشام].

(2) قالوا: كان وقع بين أمير المؤمنين وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأخنس بن شريق لعثمان: أنا أكفيكه، فقال علي: يا ابن اللعين الخ. وإنما قال ذلك لأن أباه كان من رؤوس المنافقين، ووصفه بالأبتر ـ وهو من لا عقب له ـ لأن ولده هذا كلا ولد.

(3) النوى هنا بمعنى الدار [أو القصد].

(4) [ومعناه لا رعاك الله ولا رحمك إن راعيتني ورحمتني!]

ومن كلام له عليه السلام

[في أمر البيعة]

لم تكن بيعتكم إياي فلتة [1]، وليس أمري وأمركم واحداً. إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم.

أيها الناس، أعينوني على أنفسكم، وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته [2]، حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً.

ومن كلام له عليه السلام

في معنى طلحة والزبير [وفي البيعة له]

طلحة والزبير

والله ما أنكروا علي منكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً [3]. وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه. فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلا قبلهم [4]. وإن أول عدلهم للحكم

(١) [الفلتة الأمر يقع من غير تدبر ولا روية].

(٢) الخزامة ـ بالكسر ـ حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد فيها الزمام ويسهل قياده.

(٣) النصف ـ محركة ـ : اسم من الإنصاف.

(٤) الطلبة ـ بالكسر ـ ما يطالب به من الثأر.

عَلَى أَنْفُسِهِمْ. إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ. وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَا وَالْحُمَةُ (١)، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ (٢) وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ (٣)، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ (٤) وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا (٥) أَنَا مَاتِحُهُ، لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ (٦)

أمر البيعة

منه: فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا (٧)،

---

(١) الحما ـ هنا ـ مطلق القريب والنسيب، وهو كناية عن الزبير، فإنه من قرابة النبي ﷺ ابن عمته. قالوا: وكان النبي أخبر عليًا بأنه ستبغي عليه فئة فيها بعض أحمائه وإحدى زوجاته. والحمة ـ بضم ففتح ـ كناية عنها، وأصلها حمة العقرب وإبرة اللاسعة من الهوام. والله أعلم.

(٢) أغدفت المرأة قناعها: أرسلته على وجهها، وأغدف الليل: أرخى سدوله، يعني أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق.

(٣) زاح يزيح زيحًا وزيحانًا: بعد وذهب، كانزاح. والنصاب: الأصل، أي قد انقلع الباطل عن مغرسه.

(٤) الشغب ـ بالفتح ـ تهييج الشر.

(٥) أفرط الحوض: ملأه حتى فاض، والمراد حوض المنية. والماتح: النازع ماءه لأسقيهم.

(٦) عب: شرب بلا مص، والحسي ـ بفتح الحاء وكسرها ـ سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، أو يكون غليظًا من الأرض فوقه رمل يجمع ماء المطر فتحفر فيه حفرة تنزح منها الماء، وكلما نزحت دلوا جمت أخرى، فتلك الحفرة حسي. يريد أنه يسقيهم كأسًا لا يتجرعون سواها.

(٧) العوذ (بالضم) جمع عائذ: وهي الحديثة النتاج من الظباء والإبل، أو كل أنثى. والمطافيل: جمع مطفل ـ بضم الميم وكسر الفاء ـ ذات الطفل من الإنس والوحش.

تَقُولُونَ: ٱلْبَيْعَةَ ٱلْبَيْعَةَ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا، اَللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ (١). فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا ٱلْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا. وَلَقَدِ ٱسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ ٱلْقِتَالِ (٢)، وَٱسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ ٱلْوِقَاعِ، فَغَمَطَا ٱلنِّعْمَةَ، وَرَدَّا ٱلْعَافِيَةَ (٣).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

يُومِئُ فِيهَا إِلَى ذِكْرِ ٱلْمَلَاحِمِ

يَعْطِفُ ٱلْهَوَى عَلَى ٱلْهُدَى، إِذَا عَطَفُوا ٱلْهُدَى عَلَى ٱلْهَوَى، وَيَعْطِفُ ٱلرَّأْيَ عَلَى ٱلْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا ٱلْقُرْآنَ عَلَى ٱلرَّأْيِ (٤).

مِنْهَا: حَتَّى تَقُومَ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ، بَادِيًا نَوَاجِذُهَا (٥)، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا، حُلْوًا رَضَاعُهَا، عَلْقَمًا عَاقِبَتُهَا. أَلَا وَفِي غَدٍ

---

(١) التأليب: الإفساد.

(٢) استثبتهما من ثاب (بالثاء) إذا رجع، أي استرجعتهما [وطلبت إليهما الرجوع للبيعة]

(٣) أمام الوقاع ـ ككتاب ـ قبل المواقعة بالحرب. وغمط النعمة: جحدها.

(٤) يعطف الخ [illegible] ثم ينادي بالقرآن ويجذب الناس لما ساغه ويرد كل رأي إليه. [وهو عند بعض الإمامية الإمام المنتظر]

(٥) النواجذ: أقصى الأضراس أو الأنياب والأخلاف جمع خلف بالكسر، وهو الضرع. وبدو النواجذ كناية عن شدة الاحتدام، وإنما تبدو من الأسد إذا اشتد غضبه. وامتلاء الأخلاف غزارة ما فيها من الشر وحلاوة الرضاع استطابة أهل النجدة واستعدادهم لما أصابهم منها، ومرارة العاقبة بما يصير إليه الظالمون وبئس المصير.

- وسيأتي غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي أعمالها[1]، وتخرج له الأرض أفاليذ[2] كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة.

منها: كأني به قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فعطف عليها عطف الضروس[3]، وفرش الأرض بالرؤوس. قد فغرت فاغرته، وثقلت في الأرض وطأته، بعيد الجولة، عظيم الصولة[4]. والله ليشردنكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلا قليل كالكحل في العين، ولا تزالون كذلك، حتى تؤوب إلى العرب عوازب أحلامها[5]. فالزموا السنن القائمة، والآثار البينة، والعهد القريب الذي عليه باقي النبوة. واعلموا أن الشيطان إنما يسني لكم طرقه

---

(١) إذا انتهت الحروب، حاسب الوالي القائم كل عامل من عمال السوء على مساوىء أعمالهم، وإنما كان الوالي من غيرها لأنه بريء من جورها.

(٢) أفاليذ: جمع أفلاذ، جمع فلذة وهي القطعة من الذهب والفضة.

(٣) ينتقل إلى الكلام في فتنة أخرى [وقالوا: إن ذلك الكلام في عبد الملك بن مروان] وفحص: بحث. وكوفان: الكوفة. والضروس: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها.

(٤) فغرت فاغرته: انفتح فمه، وهو كناية عن شدة إقدامه على القتل [كأنه سبع أو وصف السباع] يشردنكم: يفرقنكم.

(٥) عوازب أحلامها: غائبات عقولها.

لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ [1].

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فِي وَقْتِ الشُّورَى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ. فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي. عَسَى أَنْ تَرَوْا [2] هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فِي النَّهْيِ عَنْ عَيْبِ النَّاسِ

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلامَةِ [3] أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ [4]، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ

---

(١) يسن: يسهل [والعقب: مؤخر القدم].

(٢) قوله عسى أن تروا الخ ابتداء كلام ينذرهم به من عاقبة الأمر. وتنتضى: تسل.

(٣) [أهل العصمة هم الذين عصمهم الله سبحانه على قهر نفوسهم الأمارة بالسوء حتى صارت أسيرة لعقولهم] الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه إليهم بالسلامة من الآثام

(٤) [ومحصول الرحمة يكون باعتبار حال العصاة. فيبتعدوا هم عن العصيان. وليس معناه أن يترك العصاة بلا عقاب].

الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم ، فكيف بالعائب الذي عاب أخاه وعيّره ببلواه . أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم (١) من الذنب الذي عابه به . وكيف يذمّه بذنب قد ركب مثله ، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه . وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير ، لجرأته على عيب الناس أكبر

يا عبد الله ، لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلي به غيره (٢)

ومن كلام له عليه السلام

[في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق والباطل]

أيها الناس ، من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال . أما إنه قد يرمي الرامي ،

(١) مما هو أعظم : بيان للذنوب التي سترها الله عليه .

(٢) [المراد أن يكون الشكر شغله دائماً على السلامة من التورط في مواطن الهلكة التي يسلكها صاحب الذنب] .

وَتخطىء السِّهامُ، وَيحيلُ الكَلامُ(١)، وَباطِلُ ذلِكَ يَبورُ، وَاللهُ سَميعٌ وَشهيدٌ(٢). أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الحَقِّ وَالباطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فَسُئِلَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، عَنْ مَعْنى قَوْلِهِ هذا، فَجَمَعَ أَصابِعَهُ وَوَضَعَها بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قالَ: الباطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ(٣).

ومن كلام له عليه السلام

[في وضع المعروف في أهله وغير أهله]

المعروف في غير أهله

وَلَيْسَ لِواضِعِ المَعْرُوفِ في غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنَ الحَظِّ فِيما أَتى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللِّئامِ، وَثَناءُ الأَشْرارِ، وَمَقالَةُ الجُهّالِ

---

(١) يحيل - كيميل - ينصرف عن وجه الحق [أو يبطله] . وفي نسخة يحيك بالكاف - من حاك القول في القلب - أخذ، وحاك السيف: أثر [وفي الكلام تنبيه عن جواز خطأ على المسرعين الى الغيبة، ووجه مطابقة المثل برمي الرامي وخطأ السهام، أن العائب طيش سهامه والمصيب لا يصيبه الأذى].

(٢) [وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد: كلام يجري مجرى التهديد وتحقير ثمرة القول الكاذب].

(٣) [ما أبدع هذا القول وهذا القبس ! ولكل انسان ان يقيس بأصابعه مسافة ما بين عينه وأذنه فانها لن تعدو أربع أصابع من يده. وهذا فرق ما بين ما يسمع بالأذن مدخولاً بالأكاذيب، وما يرى بالعين متحققاً بالرؤية].

مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ ـ مَا أَجْوَدَ يَدَهُ ـ وَهُوَ عَنْ ذَاتِ ٱللَّهِ بَخِيلٌ [1] .

مواضع المعروف

فَمَنْ آتَاهُ ٱللَّهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ ٱلْقَرَابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ ٱلضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ ٱلْأَسِيرَ وَٱلْعَانِيَ ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ ٱلْفَقِيرَ وَٱلْغَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى ٱلْحُقُوقِ وَٱلنَّوَائِبِ ٱبْتِغَاءَ ٱلثَّوَابِ [2] ، فَإِنَّ فَوْزاً [3] بِهَذِهِ ٱلْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ ٱلدُّنْيَا ، وَدَرْكُ فَضَائِلِ ٱلْآخِرَةِ ، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستسقاء

[وفيه تنبيه العباد على وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم المطر]

أَلَا وَإِنَّ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي تُقِلُّكُمْ وَٱلسَّمَاءَ ٱلَّتِي تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً

---

(١) [«ما أجود يده» . . مقول لمقولة مقالة الجهال] .

(٢) [بيّن الإمام عليه السلام في هذا الكلام مواضع المعروف وذكر منها خمسة وهي صلة الرحم، وحسن الضيافة، وفك الأسير، وعطاء الفقير والمدين، فهذه أربعة، والخامس، الحقوق الواجبة على أهلها، كالزكاة والصدقات. وأراد بصبر النفس على النوائب معاونة المظلومين] .

(٣) [وقد تكرر لفظ الفوز لتعظيمه فهو فصيح وبليغ] .

لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوانِهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ، فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ، فَقَامَتَا.

إِنَّ ٱللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ ٱلْأَعْمَالِ ٱلسَّيِّئَةِ بِنَقْصِ ٱلثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ ٱلْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ ٱلْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ ٱلِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ ٱلرِّزْقِ وَرَحْمَةِ ٱلْخَلْقِ، فَقَالَ: «ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ» فَرَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً ٱسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَٱسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ[1].

ٱللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ ٱلْأَسْتَارِ وَٱلْأَكْنَانِ[2]، وَبَعْدَ عَجِيجِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ. ٱللَّهُمَّ فَٱسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ ٱلْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِٱلسِّنِينَ[3]،

---

(1) [من هذا يفهم أن المستغفر مستحق للرحمة وهي ثمرة عنده لا عجالة واستقالة. من الاقالة وعدم الالزام بمعصيته].

(2) [وذكر الخروج بين الأستار والأكنان معناه خروج من لا يخرج منه إلا لضرورة شديدة وذكر عجيج البهائم وبكاء الولدان. وهذا كله ذكر للوسائل البشرية في طلب الرحمة فهي إما بالهجرة الى الله وإما بالدعاء والبكاء].

(3) جمع سنة (محركة). بمعنى الجدب والقحط.

وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ [1]، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ [2]، وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا [3]، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا. اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ، وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَاسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا [4]، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ [5]، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ [6]، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ [7] إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

---

(1) أجاءته إليه: ألجأته.

(2) واجمين: كاسفين حزناً [والواجم: الذي اشتد حزنه حتى أمسكه عن الكلام].

(3) لا تخاطبنا، أي لا تدعنا باسم المذنبين، ولا تجعل معاملتنا مناسبة لأعمالنا.

(4) الحيا: الخصب والمطر.

(5) القيعان: جمع قاع: الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام.

(6) البطنان: جمع بطن: بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق.

(7) [ورخص الأسعار: هو ذكر للنتيجة من كثرة الرزق وبه تكون الطمأنينة بين الناس]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في مبعث الرسل وفي فضل الأئمة من أهل البيت
وبوار من لم يسر على الحق والهدى]
[وقيل إنها في مناظرة بينه وبين جماعة من الصحابة]

مبعث الرسل

بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ. فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلَا إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً (١) - لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ - وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً - فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً (٢) -

فضل أهل البيت

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى. إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ

(١) كشف الخلق: علم حالهم في جميع أطوارهم [لم يخف عليه سر من أسرارهم].
(٢) بواء: مصدر باء فلان بفلان، أي: قتل به، والعقاب: قصاص.

منها: آثَرُوا عاجِلاً، وأَخَّرُوا آجِلاً، وَتَرَكُوا صَافِياً، وَشرِبُوا آجِناً[1]. كأنّي أَنْظُرُ إلى فاسِقِهِمْ وَقدْ صَحِبَ ٱلْمُنْكَرَ فألِفَهُ، وبَسِئَ بِهِ ووافَقَهُ[2]، حَتّى شابَتْ عَلَيْهِ مفارِقُهُ، وصُبِغَتْ بِهِ خلائِقُهُ[3]. ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لا يُبالي ما غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ ٱلنّارِ في ٱلْهَشِيمِ لا يَحْفِلُ ما حَرَّقَ[4].

أينَ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصابِيحِ ٱلْهُدَى، وٱلأَبْصارُ ٱللّامِحَةُ إلى مَنارِ ٱلتَّقْوى. أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتي وُهِبَتْ للهِ وعُوقِدَتْ عَلى طاعَةِ ٱللهِ. ازْدَحَمُوا عَلَى ٱلْحُطامِ، وتَشاحُّوا عَلى ٱلْحَرامِ[5]، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ ٱلْجَنَّةِ وٱلنّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وأَقْبَلُوا إلى ٱلنّارِ بِأَعْمالِهِمْ[6]. دَعاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا

---

(1) الآجن: الماء المتغير اللون والطعم [واستعاره لأمر لذات الدنيا، شبهها بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير لونه وطعمه].

(2) بسئ به - كفرح - [ألفه] واستأنس به. [ويحتمل أن يريد من فاسقهم واحداً بعينه أو مطلق الفاسق].

(3) خلائقه: ملكاته الراسخة في نفسه.

(4) لا يحفل - كيضرب - لا يبالي [وشبهه بالبحر الطامي والنار محرقة لأن تيار البحر ولهب النار لا يبالي عمن يغرقه أو يحرقه].

(5) [استعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا لسرعة فنائها وفسادها].

(6) [أشار بعلم الجنة إلى قوانين الشريعة القائدة إلى الجنة وبعلم النار إلى الوساوس المزينة للدنيا].

وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في فناء الدنيا وزوالها وذم البدعة]

فناء الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا (1)، مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ. لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ (2)، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ، وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!

ذم البدعة

مِنْهَا: وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ. فَاتَّقُوا الْبِدَعَ، وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ (3). إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا (4)، وَإِنَّ

(1) [الغرض: الهدف.] وتنتضل فيه: ترمى إليه.

(2) يخلق — كسمع ونصر وكرم —: يبلى.

(3) المهيع — كالمقعد —: الطريق الواضح.

(4) عوازم الأمور: ما تقادم منها. وكانت عليه ناشئة الدين، من قولهم ناقة عوزم — كجعفر — أي: عجوز فيها بقية شباب.

مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه

[واغلب الرأي انه كان قبل وقعة القادسية]) [1]

إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِقِلَّةٍ [2] ، وَهُوَ دِينُ ٱللهِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ ٱلَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ ٱللهِ ، وَٱللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ . وَمَكَانُ ٱلْقَيِّمِ بِٱلْأَمْرِ مَكَانُ ٱلنِّظَامِ مِنَ ٱلْخَرَزِ [3] يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ . فَإِنِ ٱنْقَطَعَ ٱلنِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً ؛ وَٱلْعَرَبُ ٱلْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً ، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِٱلْإِسْلَامِ ، وَعَزِيزُونَ بِٱلِٱجْتِمَاعِ . فَكُنْ قُطْباً ، وَٱسْتَدِرِ ٱلرَّحَى بِٱلْعَرَبِ [4] ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ ٱلْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ [5] مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ

(١) [أي ان عمر يدع مكانه في المدينة وهو خليفة ويخرج مع جيشه لمحاربة الفرس بنفسه لامانع من ذلك] .

(٢) [والأمر : أي الاسلام] .

(٣) القيم به : يريد الخليفة . والنظام : السلك ينظم فيه الخرز [ووجه الشبه ان الخيط يجمع الخرز كما يجمع الخليفة الأمة] .

(٤) [كنى بذلك عن جعل العرب دريئة دونه ووقيعة له ولذلك قال وأصلهم دونك نار الحرب] .

(٥) شخصت : خرجت .

العربُ مِنْ أطرافِها وأقطارِها، حتّى يكونَ ما تدعُ وراءكَ مِنَ العوراتِ أهمَّ إليكَ مِمّا بينَ يديكَ.

إنَّ الأعاجمَ إنْ ينظُرُوا إليكَ غداً يقولُوا: هذا أصلُ العَرَبِ، فإذا قطعتُموهُ استرَحتُمْ، فيكونُ ذلكَ أشدَّ لكَلَبِهِمْ عليكَ، وطمعِهِمْ فيكَ. فأمّا ما ذكرْتَ مِنْ مسيرِ القومِ إلى قتالِ المسلمينَ فإنَّ اللهَ سبحانَهُ، هوَ أكرَهُ لمسيرِهِمْ منكَ، وهوَ أقدرُ على تغييرِ ما يكرَهُ. وأمّا ما ذكرْتَ مِنْ عددِهِمْ فإنّا لَمْ نكنْ نقاتلُ فيما مضى بالكثرةِ، وإنّما كنّا نقاتلُ بالنصرِ والمعونةِ!

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها يبين فضل البعثة وفضل القرآن، ويخبر عن أهل الزمان المقبل، ويعظ الناس.]

الغاية من البعثة

فبعثَ محمّداً، صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ، بالحقِّ ليُخرِجَ عبادَهُ مِنْ عبادةِ الأوثانِ إلى عبادتِهِ، ومِنْ طاعةِ الشيطانِ إلى طاعتِهِ،

(١) [الأوثان: حجارة منحوتة على شكل الإنسان. والأصنام حجارة محفورة مثلها ولكنها مغطاة بصفائح الذهب والفضة. والنصب: حجارة غير مشكلة. والمراد بالأوثان هنا كل هذه الأنواع]

بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ، بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ. وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ (1)، وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ.

الزمان المقبل

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ (2)، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ. وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ (3) إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ. فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ. فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ (4)، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ. فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ

---

(١) المثلات ـ بفتح فضم ـ : العقوبات .

(٢) [وهذا على سبيل المبالغة، إذ لا يمكن أن يخفى الحق كله، ولا الباطل كله].

(٣) أنفق منه : أروج منه .

(٤) [ونبذ الكتاب حملته أي أن قراءه لا يتدبرون معانيه]. [ومنفيان طريدان أي] يطردهما، وينفيهما أهل الباطل وأعداء الكتاب .

فِي ٱلنَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ، لِأَنَّ ٱلضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ ٱلْهُدَى، وَإِنِ ٱجْتَمَعَا. فَٱجْتَمَعَ ٱلْقَوْمُ عَلَى ٱلْفُرْقَةِ، وَٱفْتَرَقُوا عَنِ ٱلْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ ٱلْكِتَابِ وَلَيْسَ ٱلْكِتَابُ إِمَامَهُمْ. فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا ٱسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ (١). وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ (٢)، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى ٱللهِ فِرْيَةً (٣)، وَجَعَلُوا فِي ٱلْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ ٱلسَّيِّئَةِ.

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ ٱلْمَوْعُودُ (٤) ٱلَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ ٱلْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ ٱلتَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ ٱلْقَارِعَةُ وَٱلنِّقْمَةُ (٥).

عظة الناس

---

(١) [اجتمع القوم على الفرقة: أي اتفقوا على مفارقة الجماعة وما هي عليه من اتباع الحق، أما في زمانه فالخوارج والبغاة، وما بعده، فكالآخذين بالآراء المفرقة والمحدثة في الدين]. الزبر ـ بالفتح ـ الكتب مصدر كتب [أي لا يعرفون إلا خطه دون اتباع مقاصده].

(٢) ما مثلوا: أي شنعوا، وما مصدرية [ويقال إن ذلك يقصد به حزب بني أمية]

(٣) فرية ـ بالكسر ـ: أي كذباً.

(٤) الموعود: الموت الذي لا يقبل فيه عذر ولا تفيد بعده توبة.

(٥) القارعة: الداهية المهلكة.

(٦) [استنصح الله: أي اتخذه ناصحاً له باتباع أوامره واجتناب نواهيه].

دَلِيلاً، هُدًى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ. فَإِنَّ جَارَ اللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ، وَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلاَمَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأَجْرَبِ، وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ (1). وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ، حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ (2). فَالْتَمِسُوا ذلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ (3). هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ. لاَ يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ (4).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

فِي ذِكْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ،

---

(1) الباري: المعافى من المرض.

(2) [وذلك كله حق لأن المعرفة التامة بالرشد، بل بكل شيء، تستدعي معرفة الشكوك والشبهات التي هي سبب التشكيك].

(3) [وأراد بعيش العلم، وموت الجهل: وجود الأول، وعدم الثاني].

(4) [وقوله شاهد صادق، وصامت ناطق، لكونه معروفاً واضحاً، وإنما ينطق بألسنتهم. فهو بمنزلة الناطق].

لا يُمِتّان إلى اللهِ بحبلٍ، ولا يَمُدّانِ إليهِ بسببٍ (١) كُلُّ واحدٍ مِنهُما حامِلُ ضبٍّ لصاحِبهِ (٢) وعمّا قليلٍ يُكشَفُ قِناعُهُ بهِ (٣) واللهِ لئنْ أصابوا الّذي يُريدونَ لَيَنتزِعَنَّ هذا نفسَ هذا، ولَيأتِيَنَّ هذا على هذا. قد قامَتِ الفِئةُ الباغيةُ، فأينَ المُحتَسِبونَ (٤) فقد سُنَّتْ لهُمُ السُّنَنُ، وقُدِّمَ لهُمُ الخبرُ. ولِكُلِّ ضلَّةٍ علّةٌ، ولِكُلِّ ناكِثٍ شُبهةٌ. واللهِ لا أكونُ كمُستمِعِ اللَّدْمِ (٥) يَسمَعُ النّاعي ويَحضُرُ الباكي ثُمَّ لا يَعتَبِرُ

ومن كلام له عليه السلام

قبل موته

أيُّها النّاسُ كُلُّ امرئٍ لاقٍ ما يَفِرُّ منهُ في فِرارِهِ. والأجلُ مَساقُ النّفسِ (٦) والهَرَبُ منهُ مُوافاتُهُ. كم أطرَدْتُ الأيّامَ (٧)

---

(١) الضمير لطلحة والزبير. وقوله لا يمتّان: أي لا يمدّان، والسبب الحبل أيضاً.

(٢) الضب ـ بالفتح ويكسر ـ الحقد. [والعرب تضرب بالضب المثل في العقوق]

(٣) [أصله ... عند الفزع ... لدى ستره ... وهو مثل لمن ينافق صاحبه].

(٤) [المحتسبون] الذين يجاهدون حسبة لله [أي طلباً لثوابه بعد وضوح الطريق، وفي رواية المحتسبون].

(٥) اللدم: الضرب على الصدر والوجه [واللطم] عند النياحة.

(٦) مساق النفس: يسوقها ... حتى يوافيه.

(٧) [أطردت الأيام ... جعلتها طريدة ... ومكنون هذا الأمر الذي وقع له من القتل، والمكنون وقته المعين].

أبحثُها عن مكنونِ هذا الأمرِ، فأبى اللهُ إلا إخفاءَه. هيهاتَ! علمٌ مخزونٌ. أمّا وصيّتي: فاللهَ لا تُشركوا به شيئاً، ومحمّداً صلّى اللهُ عليهِ وآلِه فلا تُضيّعوا سُنّتَه. أقيموا هذينِ العمودينِ، وأوقِدوا هذينِ المصباحينِ، وخلاكُم ذمٌّ ما لم تشرُدوا (١). حُمّلَ كلُّ امرئٍ منكُم مجهودَهُ (٢)، وخُفّفَ عنِ الجهلةِ. ربٌّ رحيمٌ، ودينٌ قويمٌ، وإمامٌ عليمٌ (٣). أنا بالأمسِ صاحبُكُم، وأنا اليومَ عبرةٌ لكُم، وغداً مفارقُكُم. غفرَ اللهُ لي ولكُم!

إنْ تثبُتِ الوطأةُ في هذهِ المزلّةِ فذاكَ، وإنْ تدحضِ القدمُ (٤) فإنّا كنّا في أفياءِ أغصانٍ، ومهابِّ رياحٍ، وتحتَ ظلِّ غمامٍ، اضمحلَّ في الجوِّ متلفّقُها، وعفا في الأرضِ مخطُّها (٥). وإنّما كنتُ جاراً جاورَكُم بدني أيّاماً، وستُعقَبونَ منّي جثّةً

---

١) [illegible] من الذم ما لم تشردوا [illegible] - [illegible] عن [illegible]

٢) حمل كل امرئ الخ. هذا وما بعده ماض قصد به الامر.

٣) [[illegible] عليم إشارة الى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، لعله [illegible]].

٤) قوله ان تثبت، يريد [illegible] وطأة [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] ودحضت القدم: زلت وزلقت.

٥) الأفياء: جمع فيء، وهو الظل [illegible] ضوء الشمس عن بعض الامكنة [illegible] المنضم بعضه على بعض، وعفا: اندرس وذهب. ومخطها: مكان ما [illegible] في الارض. وضمير متلفقها [illegible] وضمير مخطها للرياح. يريد انه كان [illegible]

خَلاءً (١) : ساكِنَةً بَعْدَ حَراكٍ، وصامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ. لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي (٢)، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَداعِيكُمْ وَداعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلاقِي (٣)، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكانِي وَقِيامِ غَيْرِي مَقامِي.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[يومئ فيها الى الملاحم ويصف فئة من اهل الضلال]

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمالاً (٤) طَعْناً فِي مَسالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذاهِبِ الرُّشْدِ. فَلا تَسْتَعْجِلُوا ما هُوَ كائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلا تَسْتَبْطِئُوا ما يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ. فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِما إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَما أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَباشِيرِ غَدٍ (٥). يا قَوْمِ هذا إِبّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ (٦)، وَدُنُوٌّ مِنْ

(١) خالية من الروح.
(٢) الخفوت: السكون، وأطرافه في الأول عيناه وفي الثاني يداه ورجلاه.
(٣) وداعيكم أي وداعي لكم، ومرصد أي منتظر.
(٤) [قوله يميناً وشمالاً اشارة الى طرق الضلال أما الطريق الوسطى فهي الجادة كما سبق القول].
(٥) [وفكم من مستعجل وما بعده، يريد به ذم الاستعجال] تباشيره: أوائله [وذلك كقوله وان غداً لناظره قريب].
(٦) إبان - بكسر فتشديد - وقت. والدنو: القرب.

طَلْعَةٍ مَا لَا تَعْرِفُونَ . أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ ٱلصَّالِحِينَ ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً (١) ، وَيُعْتِقَ رِقّاً ، وَيَصْدَعَ شَعْباً ، وَيَشْعَبَ صَدْعاً (٢) ، فِي سُتْرَةٍ عَنِ ٱلنَّاسِ لَا يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ (٣) أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ . ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ ٱلنَّصْلَ (٤) . تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ (٥) ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ ٱلْحِكْمَةِ بَعْدَ ٱلصَّبُوحِ (٦)

في الضلال

مِنْهَا : وَطَالَ ٱلْأَمَدُ بِهِمْ (٧) لِيَسْتَكْمِلُوا ٱلْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا

---

(١) الربق ـ بكسر فسكون ـ حبل فيه عدة عرى كل عروة ربقة ـ بفتح الراء ـ تشد فيه البهم . [والصحيح في [illegible] العنق]

(٢) يفرق جمع ضلال ويجمع متفرق الحق .

(٣) القائف : الذي يعرف الآثار فيتبعها .

(٤) يشحذن ، من شحذ السكين ، أي حدده . والقين : الحداد ، والنصل حديدة السيف والسكين ونحوه .

(٥) تجلى بالتنزيل يعودون الى القرآن وتدبره فينكشف الغطاء عن أبصارهم فينهضون الى الحق كما نهض اهل القرآن عند نزوله .

(٦) يغبقون ـ مبني للمجهول ـ يسقون كأس الحكمة بالمساء بعد ما [illegible] بالصباح . والصبوح ما يشرب وقت الصباح . والمراد انها تفيض عليهم الحكم الالهية في حركاتهم وسكونهم وسرهم واعلانهم .

(٧) قوله وطال الخ انتقال لحكاية امر الجاهلية [أو فئة من أهل الضلال . والكلام هنا منقطع عما قبله ولم يذكره الشريف الرضي] وطول الامد فيها يريده الله لهم في العقوبة .

الْغِيَرِ [1] حَتَّى إِذَا ٱخْلَوْلَقَ ٱلْأَجَلُ [2]، وَٱسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى ٱلْفِتَنِ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ [3]. وَلَمْ يَمُنُّوا عَلَى ٱللهِ بِالصَّبْرِ [4]، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي ٱلْحَقِّ – حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ ٱلْقَضَاءِ ٱنْقِطَاعَ مُدَّةِ ٱلْبَلَاءِ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ [5]، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ – حَتَّى إِذَا قَبَضَ ٱللهُ رَسُولَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى ٱلْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ ٱلسُّبُلُ، وَٱتَّكَلُوا عَلَى ٱلْوَلَائِجِ [6] وَوَصَلُوا غَيْرَ ٱلرَّحِمِ، وَهَجَرُوا ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا ٱلْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ [7]. قَدْ مَارُوا فِي ٱلْحَيْرَةِ [8]، وَذَهِلُوا فِي ٱلسَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى ٱلدُّنْيَا رَاكِنٍ،

---

(١) الغير ـ بكسر ففتح ـ أحداث الدهر ونوائبه.

(٢) من قولهم اخلولق السحاب إذا استوى وصار خليقاً أن يمطر، أي أشرف الأجل على الانقضاء [وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوبة].

(٣) أشالت الناقة ذنبها: رفعته، أي رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلقحوا حروبهم على غيرهم، أي يشعلونها عليهم.

(٤) الضمير فيه للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب والجملة جواب إذا.

(٥) من لطف نوع التمثيل، يريد أشهروا عقيدتهم داعين إليها غيرهم.

(٦) [والولائج جمع وليجة وهي البطانة وخاصة الرجل من أهله وعشيرته ويراد بها] دخائل المكر والخديعة.

(٧) الغمرة: الشدة، والمزدحم، يريد مزدحم الفتن.

(٨) ماروا: تحركوا واضطربوا.

أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يحذر من الفتن]

الله ورسوله

وَأَحْمَدُ اللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ [1] ، وَالِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ . لَا يُوَازَى فَضْلُهُ . وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ . أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ . وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ . يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ [2] ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ .

التحذير من الفتن

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ . فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ [3] وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ

---

(١) المدحر ـ بالفتح ـ المطرد ، والمداحر والمزاجر : جمع مدحر ومزجر ؛ ومخاتل الشيطان : مكائده [التي يختل الناس بها ويوهمهم الرحمة] .

(٢) خلو من الشرائع الالهية لا يعرفون منها شيئاً لعدم الرسول المبلغ ثم يحيون ويبدلون ويتخذون الأصنام آلهة والأهواء شريعة فيموتون كفاراً .

(٣) البوائق : جمع بائقة ـ وهي الداهية [واستعار لفظ السكرات للغفلات] .

الْغَشْوَةِ (١)، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا (٢). تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ. شَبَابُهَا كَشَبَابِ الْغُلَامِ (٣) وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ (٤). تَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ. أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ. يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ (٥). وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ (٦)، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفُ (٧)، وَالْقَاصِمَةُ الزَّحُوفُ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ. وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا،

---

(١) الغشم ـ كضرب ـ الظلم. والغشوة بالضم وبالكسر وبالفتح ركوب الأمر على غير بيان.

(٢) [لفظ الجنين يحتمل أن يكون جنينه أي عند طلوع ما خفي منه وعلى قطبها من تدور عليه من البغاة المتغلبين].

(٣) شباب كل شيء: أوله، أي بدايتها في صورة وشدة كشباب الغلام و... [ووجه المشابهة السرعة في الظهور].

(٤) [السلام ـ بكسر السين ـ الحجارة الصم واحدها سلمة بكسر اللام] وآثارها في الأبدان رض وحطم

(٥) أراح اللحم: أنتن.

(٦) يتزايلون: يتفارقون.

(٧) شديدة الرجفان والاضطراب، أو شديد إرجافها وإزعاجها للناس. والقاصمة: الكاسرة. والزحوف: الشديدة الزحف.

وَتَلْتَبِسُ ٱلْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا[1]. مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ. يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ ٱلْحُمُرِ فِي ٱلْعَانَةِ[2]. قَدِ ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ ٱلْحَبْلِ. وَعَمِيَ وَجْهُ ٱلْأَمْرِ. تَغِيضُ فِيهَا ٱلْحِكْمَةُ[3]، وَتَنْطِقُ فِيهَا ٱلظَّلَمَةُ. وَتَدُقُّ أَهْلَ ٱلْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا[4]، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا. يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا ٱلْوُحْدَانُ[5]، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا ٱلرُّكْبَانُ. تَرِدُ بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ وَتَحْلُبُ عَبِيطَ ٱلدِّمَاءِ[6]. وَتَثْلِمُ مَنَارَ ٱلدِّينِ[7]، وَتَنْقُضُ عَقْدَ ٱلْيَقِينِ. تَهْرُبُ مِنْهَا ٱلْأَكْيَاسُ[8]، وَتُدَبِّرُهَا ٱلْأَرْجَاسُ[9]. مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ. تُقَطِّعُ

---

(١) نجومها: ظهورها.

(٢) يتكادمون: يعض بعضهم بعضاً، كما تكادم الحمر في العانة أي الجماعة منها وهي خاصة بحمر الوحش.

(٣) تغيض ـ بالغين المعجمة ـ: تنقص وتغور.

(٤) المسحل ـ كمنبر ـ: المبرد أو المنحت [والمسحل أيضاً: حلقة تكون في طرف شكيمة اللجام مدخلة في مثلها] والمراد بالدق التفتيت، والرض: التهشيم. والكلكل: الصدر.

(٥) الوحدان: جمع واحد، أي المتفردون.

(٦) عبيط الدماء: الطري الخالص منها [واستعار وصف الحلب لها لشبهها بالدفق وكنى به عن سفك الدماء منها].

(٧) ثلم الاناء والسيف أو نحوه: كسر حرفه [ومنار الدين: أعلامه وهم علماؤه، ويحتمل انه يريد قواعده الكلية، وثلمها إذاً يكون بقتل العلماء وهدم قواعد الدين].

(٨) الاكياس: جمع كيس: الحاذق العاقل.

(٩) الارجاس: جمع رجس، وهو القذر والنجس، والمراد الاشرار.

فِيهَا ٱلْأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلْإِسْلَامُ. بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ[1].

مِنْهَا: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[2]، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ ٱلْأَيْمَانِ[3]، وَبِغُرُورِ ٱلْإِيمَانِ؛ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ ٱلْفِتَنِ[4]، وَأَعْلَامَ ٱلْبِدَعِ. وَٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ ٱلطَّاعَةِ، وَٱقْدَمُوا عَلَى ٱللهِ مَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ. وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ ٱلشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ. وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ٱلْحَرَامِ[5]؛ فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ[6]، وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلطَّاعَةِ.

ومن خطبة له عليه السلام

[في صفة الله جل جلاله، وصفات أئمة الدين]

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى

---

(١) [كل هذه أوصاف الفتنة وكناية عن الحروب الكثيرة].

(٢) مطلول طلّ دمه: هدره.

(٣) يختلون: أي يخدعهم الغادرون بحلف الأيمان، ويغرونهم بظاهر الإيمان، وأنهم مؤمنون مثلهم.

(٤) الأنصاب: كل ما ينصب ليقصد.

(٥) اللُعَق - جمع لعقة - بضم اللام - وهي ما تأخذه في الملعقة.

(٦) بعين من حرم ...: أي أنه يراكم.

أزليته، وباشتباههم على أن لا شبه له. لا تستلمه المشاعر[1]، ولا تحجبه السواتر، لافتراق الصانع والمصنوع، والحاد والمحدود، والرب والمربوب، الأحد لا بتأويل عدد، والخالق لا بمعنى حركة ونصب[2]، والسميع لا بأداة[3]، والبصير لا بتفريق آلة[4]، والشاهد لا بمماسة، والبائن لا بتراخي مسافة[5]، والظاهر لا برؤية، والباطن لا بلطافة. بان من الأشياء بالقهر لها، والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له، والرجوع إليه. من وصفه فقد حده[6] ومن حده فقد عده، ومن عده فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومن قال: أين؟ فقد حيزه. عالم إذ لا معلوم، ورب إذ لا مربوب، وقادر إذ لا مقدور.

---

(1) لا تستلمه المشاعر: أي لا تصل إليه الحواس [إذ هي محل الشعور].

(2) النصب: الحركة: التعب [والحركة والتعب من لواحق الأجسام وهو منزه عنها سبحانه].

(3) الأداة: الآلة.

(4) تفريق الآلة: تفريق الأجفان وفتح بعضها عن بعض [إذ الإبصار لا يكون إلا بتفريق الأجفان وتقليبها في المنظورات، وقد يراد بالعبارة [illegible] من التقليب والإبصار].

(5) البائن: المنفصل عن خلقه.

(6) من وصفه: أي من كنهه بكيفيات محدثين.

منها: قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ، وَلَاحَ لَائِحٌ(١) وَٱعْتَدَلَ مَائِلٌ. وَٱسْتَبْدَلَ ٱللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً. وَٱنْتَظَرْنَا ٱلْغِيَرَ ٱنْتِظَارَ ٱلْمُجْدِبِ ٱلْمَطَرَ(٢). وَإِنَّمَا ٱلْأَئِمَّةُ قُوَّامُ ٱللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ(٣): لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ ٱلنَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَٱسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلَامَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ(٤). ٱصْطَفَى ٱللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ. لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ. فِيهِ مَرَابِيعُ ٱلنِّعَمِ(٥) وَمَصَابِيحُ ٱلظُّلَمِ، لَا تُفْتَحُ ٱلْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ ٱلظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ(٦) قَدْ أَحْمَى

(١) لاح لائح: بدا. قالوا هذه خطبة خطبها بعد قتل عثمان.

(٢) الغير ـ بكسر ففتح ـ: صروف الحوادث وتقلباتها. ننتظرها لعله يقوم حق، وينتكس باطل.

(٣) [العرفاء جمع عريف وهو النقيب].

(٤) جماع الشيء: مجتمعه.

(٥) مرابيع ـ جمع مرباع، بكسر الميم ـ: المكان ينبت نبته في أول الربيع، او هو المطر أول الربيع [واستعار لفظ المرابيع، وهي الامطار تأتي زمن الربيع فتحيي الأرض ونبتها، لما يحصل عليه الانسان من النعم بلزوم القرآن، واتباع اوامره، واجتناب نواهيه].

(٦) [واستعار لفظ المفاتيح لمناهجه ولفظ المصابيح لقوانينه].

حِماهُ (1) وأَرْعَى مَرْعاهُ. فِيهِ شِفاءُ ٱلْمُشْتَفِي، وَكِفايَةُ ٱلْمُكْتَفِي.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

[في صفة الضال وصفات الغافلين ووعظ الناس]

صفة الضال

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللهِ يَهْوِي مَعَ ٱلْغافِلِينَ (2)، وَيَغْدُو مَعَ ٱلْمُذْنِبِينَ. بِلا سَبِيلٍ قاصِدٍ، وَلا إِمامٍ قائِدٍ (3).

صفات الغافلين

مِنْها: حَتَّى إِذا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلابِيبِ غَفْلَتِهِمْ (4)، ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِما أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلا بِما قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ.

إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ، وَنَفْسِي، هذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ. فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّما ٱلْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَٱنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً واضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ ٱلصَّرْعَةَ فِي ٱلْمَهاوِي،

---

(1) حماه: من أحمى المكان: جعله حمى لا يقرب، أي أعز الله الإسلام ومنعه من الأعداء؛ ومن دخل فيه وصار من أهله متعه الله بخيراته وأباحه رعي ما تنبته أرضه الطيبة من العشب.

(2) قوله وهو في مهلة: كلام في ضال غير معين [والمراد بالمهلة مدة العمر القصيرة].

(3) [والسبيل القاصد: أي سبيل الحق].

(4) [وكنى بجلابيب الغفلة عن اغشائهم ما عدوه خيراً في الدنيا لهم].

وَالضَّلالَ فِي الْمَغَاوِي (1) وَلا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ (2).

عظة الناس

فُقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِمَّا لا بُدَّ مِنْهُ وَلا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَضَعْ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ (3) وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ، «وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ».

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لا يَنْفَعُ عَبْداً - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ

---

(1) [الجدد: الطريق الواضح. والمغاوي: جمع مغواة: وهي الشبهة يذهب معها الانسان الى ما يخالف الحق].

(2) [التعسف في الحق: حمل النفس على مر الحق وصعبه].

(3) امهد - كمنع - بسط [ومعناه: وطّئ لقدمك موضعاً في الآخرة بصالح الاعمال]

مِنْ هٰذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ[1]، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ. اعْقِلْ ذٰلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا. وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا. وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا. إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[2]. إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ. إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يذكر فيها فضائل اهل البيت]

وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ[3]، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ. دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَى، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ.

---

(١) يستنجح: أي يطلب نجاح حاجته من الناس بالابتداع في الدين.

(٢) [مستكينون أي:] خاضعون لله عز وجل.

(٣) ناظر القلب، استعارة من ناظر العين وهو النقطة السوداء منها، والمراد بصيرة القلب، به يدرك اللبيب أمده، أي غايته ومنتهاه. والغور، ما انخفض من الارض. والنجد، ما ارتفع منها، أي يدرك باطن أمره وظاهره

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ. وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ (١)، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ الشِّعَارُ (٢) وَالْأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ (٣)، لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا؛ فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً.

مِنْهَا: فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ (٤). إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا (٥). فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ (٦)، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى

---

(١) أرز يأرز ـ بكسر الراء في المضارع ـ أي انقبض وثبت. وأرزت الحية: لاذت بجحرها ورجعت اليه.

(٢) الشعار: ما يلي البدن من الثياب. والمراد بطانة النبي ﷺ [ووجه الاستعارة: ملازمتهم الرسول أو تخصصهم به، كما يلازم الشعار الجسد]

(٣) [الابواب: أي ابواب العلم].

(٤) الضمير لآل النبي، والكرائم جمع كريمة، والمراد آيات في مدحهم آيات كريمات. والقرآن كريم كله وهذه كرائم من كرائم [وهم كنوز الرحمن أي خزائن علمه وسائر ما أمر به من مكارم الاخلاق].

(٥) لم يسبقوا: اي لم يسبقهم أحد الى الكلام؛ وهم سكوت، اي مهابة سكوتهم، فلم يجرؤ أحد الى الكلام فيما سكتوا عنه [وهذه إشارة الى ان نطقهم لحكمة وصمتهم لحكمة، فكل شيء في موضعه]

(٦) [وليصدق رائد أهله. أراد به: من حضرنا طلباً لأخبارنا فليصدق بنا اهل الحق وينابيع العلم والحكمة، وليحضر عقله. أي ليعمله ليعرف به صحة ما ندعيه].

فِيهِ: وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ. فَإِنَّ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ. فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ ٱلطَّرِيقِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ. وَٱلْعَامِلُ بِٱلْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ. وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ. وَقَدْ قَالَ ٱلرَّسُولُ ٱلصَّادِقُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْعَبْدَ(١)، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ ٱلْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ».

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً(٢)، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ ٱلْمَاءِ، وَٱلْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ. فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.

---

(١) ان الله يحب العبد الخ: أي يحب من المؤمن إيمانه ويبغض ما يأتيه من سيئات الاعمال، ولا يفيده ذلك الحب، مع هذا البغض، إلا عذاباً يتطهر به من خبث أعماله. ويحب من الكافر عمله إذا كان حسناً، ويبغض ذاته لالتباسها بدنس الكفر، ولا ينتفع بالعمل المحبوب إلا نفعاً موقتاً في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم، فلا يكمل للانسان حظه من السعادة إلا إذا كان مؤمناً طيب العمل.

(٢) [استعار لفظ النبات لزيادة الاعمال ونموها وكنى بالماء عن مباديه القلبية للأعمال. ووجه المشابهة ان الحركات في العبادة تكون بالميول القلبية والنيات كما ان حركة النمو للنبات إنما تكون بالماء].

ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

[ويبتدئها بحمد الله وتنزيهه]

حمد الله وتنزيهه

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي ٱنْحَسَرَتِ ٱلْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ (١) وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ ٱلْعُقُولَ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ. هُوَ ٱللّٰهُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى ٱلْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً. خَلَقَ ٱلْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ، وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ، وَٱنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ.

خلق الخفاش

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلَامُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا (٢) عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُوراً

---

(١) انحسرت: انقطعت.

(٢) [الخفافيش من الخفش، وهو ضعف البصر] والعشا ـ مقصورا ـ سوء البصر وضعفه.

تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا. وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا[1] وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ ٱلذَّهَابِ فِي بُلَجِ ٱئْتِلَاقِهَا[2]، فَهِيَ مُسْدَلَةُ ٱلْجُفُونِ بِٱلنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا. وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ[3] وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ. فَإِذَا أَلْقَتِ ٱلشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا[4]، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى ٱلضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا[5] أَطْبَقَتِ ٱلْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[6] وَتَبَلَّغَتْ بِمَا ٱكْتَسَبَتْ مِنْ فَيْءِ ظُلَمِ لَيَالِيهَا[7] فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ٱللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَٱلنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً. وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَى ٱلطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَظَايَا ٱلْآذَانِ[8]،

---

(1) سبحات النور: درجاته وأطواره.

(2) الائتلاق: اللمعان. والبلج ـ بالتحريك ـ الضوء ووضوحه.

(3) أسدف الليل: أظلم، والدجنة: الظلمة، وغسق الدجنة: شدتها.

(4) أوضاح: جمع وضح بالتحريك ـ وهو هنا بياض الصبح.

(5) الضباب ـ ككتاب ـ جمع ضب: الحيوان المعروف. والوجار ـ ككتاب: الجحر.

(6) مآقيها: جمع موق؛ وهو طرف العين مما يلي الأنف.

(7) تبلغت: اكتفت واقتاتت.

(8) شظايا: جمع شظية ـ كعطية: وهي الفلقة من الشيء، أي كأنها مؤلفة من شقق الآذان.

غيرِ ذواتِ ريشٍ ولا قَصَبٍ (١). إلا أنك ترى مواضعَ العروقِ بيّنةً أعلاماً (٢). لها جناحانِ لمّا يرِقّا فينشقّا (٣)، ولم يغلُظا فيثقُلا. تطيرُ وولدُها لاصقٌ بها، لاجئٌ إليها، يقعُ إذا وقعتْ، ويرتفعُ إذا ارتفعتْ، لا يفارقُها حتى تشتدَّ أركانُه، ويحملُه للنهوضِ جناحُه، ويعرفُ مذاهبَ عيشِه، ومصالحَ نفسِه. فسبحانَ الباري لكلِّ شيءٍ، على غيرِ مثالٍ خلا من غيرِه (٤).

ومن كلام له عليه السلام

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فمنِ استطاعَ عندَ ذلكَ أن يعتقلَ نفسَه (٥) على اللهِ، عزّ وجلّ، فليفعلْ. فإن أطعتموني فإني حاملُكم إن شاءَ اللهُ على سبيلِ الجنةِ، وإن كانَ (٦) ذا مشقةٍ شديدةٍ ومذاقةٍ مريرةٍ.

وأمّا فلانةُ فأدركها رأيُ النساءِ، وضِغنٌ غلا في صدرِها

---

(١) القصبة: عود الريشة وأصلها المتصل بالجناح، وقد يكون عرقاً في الزغب في بعض الحيوانات، مما ليس بطائر، كبعض أنواع القنفذ أو الفيران له قصب عند الأطراف يرمي به صائده كما يرمي النابل، ويعرف بالفأر الأمريكي.

(٢) [أعلاماً: أي رسوماً ظاهرة].

(٣) لما يرقا: عبر بها إشارة إلى أنهما ما رقا في الماضي، ولا هما رقيقان، وهو نفي مستمر إلى وقت الكلام في أي زمن كان.

(٤) خلا [من غيره] تقدمه من سواه فحاذاه.

(٥) [اعتقل نفسه: حبسها وضبطها].

(٦) [اسم كان: عائد إلى اعتقال النفس واتباع الدين].

كمِرْجَلِ ٱلْقَيْنِ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي، مَا أَتَتْ إِلَيَّ، لَمْ تَفْعَلْ (١)، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا ٱلْأُولَى، وَٱلْحِسَابُ عَلَى ٱللهِ تَعَالَى.

وصف الإيمان

منه: سَبِيلٌ أَبْلَجُ ٱلْمِنْهَاجِ أَنْوَرُ ٱلسِّرَاجِ. فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلْإِيمَانِ. وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ ٱلْعِلْمُ. وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ ٱلْمَوْتُ. وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ ٱلدُّنْيَا. وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ ٱلْآخِرَةُ (٢) وَإِنَّ ٱلْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ ٱلْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ (٣) فِي مِضْمَارِهَا إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى

حال أهل القبور في القيامة

منه: قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ ٱلْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ ٱلْغَايَاتِ (٤). لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا

---

(١) المرجل: القدر. والقين، بالفتح: الحداد، أي إن ضغينتها وحقدها كانا دائمي الغليان كقدر الحداد يغلي ما دام يصنع [لتنال من غيري الخ. أي] لتصيب من غيري غرضاً من الإساءة والعدوان، مثل ما أتت إليَّ (أي فعلت بي)، لم تفعل، لأن حقدها كان عليَّ خاصة.

(٢) وبالدنيا الخ: أي أنه إذا رهب الموت وهو ختام الدنيا كانت رهبته سبباً في حرص الإنسان على الانتفاع من حياته فلا يضيع عمره بالباطل، وبهذا يحرز الآخرة.

(٣) المقصر - كمقعد -: المحبس، أي لا مستقر لهم دون القيامة، فهم ذاهبون إليها مرقلين: أي مسرعين في ميدان، هي غايته ومنتهاه.

(٤) شخصوا: ذهبوا. والأجداث: القبور. ومصائر الغايات: جمع مصير - ما يصير إليه الإنسان من شقاء وسعادة. والكلام في القيامة.

يُنْقَلُونَ عَنْهَا .

وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ . وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ . وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللَّهِ فَإِنَّهُ ٱلْحَبْلُ ٱلْمَتِينُ ، وَٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ ، وَٱلشِّفَاءُ ٱلنَّافِعُ ، وَٱلرِّيُّ ٱلنَّاقِعُ (1) وَٱلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَٱلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ . لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ (2) وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ ٱلرَّدِّ وَوُلُوجُ ٱلسَّمْعِ (3) . مَنْ قَالَ بِهِ ، صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

وقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت رسول الله - صلى الله عليه وآله - عنها ، فقال عليه السلام :

لَمَّا أَنْزَلَ ٱللَّهُ ، سُبْحَانَهُ ، قَوْلَهُ (الم أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ ٱللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بَيْنَ أَظْهُرِنَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ، مَا هَذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلَّتِي أَخْبَرَكَ ٱللَّهُ تَعَالَى بِهَا (4) ؟ فَقَالَ :

---

(1) نقع العطش : اذا أزاله .

(2) يستعتب من عتب ، اذا انصرف . والسين والتاء للطلب ، او زائدتان ، أي لا يميل عن الحق فينصرف ، او يطلب منه الانصراف عنه .

(3) أخلقه : ألبسه ثوباً خلقاً أي بالياً ، وكثرة الرد : كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة ، أي ان القرآن دائماً في ثوبه الجديد ، ورونق سطوة العقل ، وان كثرت تلاوته ، لانطباقه على الاحوال المختلفة في الأزمنة المتعددة ، وليس كسائر الكلام كلما تكرر ابتذل وملته النفس .

(4) فقلت يا رسول الله الخ . . . أشكل على الشارحين العطف بالفاء مع كون الآية

« يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ ، حَيْثُ ٱسْتُشْهِدَ مَنِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي ٱلشَّهَادَةُ[1] فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتَ لِي : « أَبْشِرْ فَإِنَّ ٱلشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ » فَقَالَ لِي : « إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ[2] ؟ » فَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ ٱلصَّبْرِ ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ ٱلْبُشْرَى وَٱلشُّكْرِ[3] . فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ . وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ ٱلْكَاذِبَةِ وَٱلْأَهْوَاءِ ٱلسَّاهِيَةِ فَيَسْتَحِلُّونَ ٱلْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَٱلسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ . وَٱلرِّبَا بِالْبَيْعِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ ، بِأَيِّ ٱلْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ

مكية والسؤال كان بعد أحد ، ووقعته كانت بعد الهجرة ، وصعب عليهم التوفيق بين كلام الإمام وبين ما أجمع عليه المفسرون من كون العنكبوت مكية بجميع آياتها ، والذي أراه أن قوله لما أنزل الله ... لا تنزل ... بعد ظهورهم ، كان عند نزول الآية في مكة ، ثم شغله عن استفسار النبي اشتداد المشركين على الموحدين وهجوم هؤلاء برد كيد أولئك ، ثم بعد أن خفت الوطأة وجد الوقت لاستكمال العرفان هذا السؤال بعد ... لترتب السؤال على العلم ، والعلم كان ممتداً إلى يوم السؤال ، فهي لتعقيب قوله لعلمه ، والتعقيب يصدق بأن يكون ما بعد الفاء غير منقطع عما قبله وإن امتد زمن ما قبلها ، كما تقول : تزوج فولد له وحملت فولدت .

(١) حيزت : حازها الله عني فلم أنلها .

(٢) أي : على أية حالة يكون صبرك إذا هيئت لك الشهادة .

(٣) قوله من مواطن البشرى ، فعند شأن من حق يستبشرون بالموت في سبيل الحق فإنه حياة أبدية

عِنْدَ ذٰلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: «بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ».

ومن خطبة له عليه السلام

[يحث الناس على التقوى]

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللّٰهِ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ. آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ. مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ (١)، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ. فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ. فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ. فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ (٢).

---

(١) تسابق أمور الدهر: أي مصائبه، كأن كلاً منها يطلب النزول قبل الآخر فالسابق منها مهلك. والمتظاهر: اللاحق به في مثل أثره. والأعلام هي الرايات كني بها عن الجيوش وتظاهرها تعاونها. والساعة القيامة وحدوها سوقها وحثها لأهل الدنيا في سيرهم لوصول إليها. وزجر الإبل: ساقها. والشول بالفتح جمع شائلة، وهي من الإبل ما مضى عليها من حملها، أو وضعها، سبعة أشهر [وجف لبنها وارتفع ضرعها وإنما خص الشول من النوق لخلوها من الأثقال فيكون سوقها أعنف وأسرع].

(٢) [لا يخفى لطف اختصاص الجنة بالسابقين، والنار بالمفرطين، إذ فيه بيان فضيلة السبق ورذيلة التفريط].

اعلموا عباد الله أن التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ إليه (١). ألا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا (٢)، وباليقين تدرك الغاية القصوى (٣).

عباد الله، الله الله في أعز الأنفس عليكم، وأحبها إليكم، فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق وأنار طرقه. فشقوة لازمة أو سعادة دائمة. فتزودوا في أيام الفناء (٤) لأيام البقاء. قد دللتم على الزاد، وأمرتم بالظعن (٥)، وحثثتم على المسير. فإنما أنتم كركب وقوف، لا يدرون متى يؤمرون بالسير. ألا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة؟ وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه، وتبقى عليه تبعته

(١) لا يحرز: أي لا يحفظ.

(٢) الحمة ـ بضم ففتح ـ في الأصل إبرة الزنبور والعقرب ونحوهما تلسع بها، والمراد هنا سطوة الخطايا على النفس.

(٣) [أي الغاية القصوى من الكمال الانساني.]

(٤) أيام الفناء: يريد أيام الدنيا.

(٥) المراد بالظعن المأمور به هنا السير إلى السعادة بالأعمال الصالحة، وهذا ما حثنا الله عليه. والمراد بالمسير الذي لا ندري متى نؤمر به هو مفارقة الدنيا. والأمر في الأول حتمي شرعي وفي الثاني حتمي تكويني [ويحتمل أن يريد بالحث على المسير حث الليل والنهار بتعاقبهما على الأعمار فهما سائقان حثيثان، ولذلك وجب التنبيه لسوقهما على اتخاذ الزاد لما يسوقان إليه].

وَحِسَابُهُ [1] .

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ ٱللهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَتْرَكٌ ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ ٱلشَّرِّ مَرْغَبٌ .

عِبَادَ ٱللهِ ، ٱحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ ٱلْأَعْمَالُ . وَيَكْثُرُ فِيهِ ٱلزِّلْزَالُ . وَتَشِيبُ فِيهِ ٱلْأَطْفَالُ

ٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ [2] ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ . وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ [3] وَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ

يَذْهَبُ ٱلْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ ٱلْغَدُ لَاحِقاً بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ [4] ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ ، وَمُفْرَدِ

---

(١) تبعته : ما يتعلق به من حق الغير فيه .

(٢) الرصد : يريد به رقيب الذمة وواعظ السر الروحي الذي لا يغفل عن التنبيه ولا يخطىء في الإنذار والتحذير حتى لا يكون من مخطىء خطيئة إلا ويناديه من سره مناد يهتف به على ما ارتكب ، ويعنفه على ما اقترف ، ويبين له وجه الحق فيما عمل . ولا تعرضه على الهوى ولا تخفف من زرته صفحة الأوهام . وأي حساب يحجب لا ينبئ عن سره .

(٣) الرتاج ككتاب : الباب العظيم إذا كان محكم الغلق .

(٤) منزل وحدته هو القبر .

غُرْبَة، وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ. قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ[1]. وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ. وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ[2].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[ينبه فيها على فضل الرسول الأعظم وفضل القرآن ثم حال دولة بني امية]

النبي والقرآن

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ[3]، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ. ذَلِكَ الْقُرْآنُ، فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ. أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

---

(1) [والمراد بالصيحة الصيحة الثانية لقوله تعالى إن كانت إلا صيحة واحدة] زاحت: بعدت وانكشفت.

(2) [النذر جمع نذير وهو كل ما يحدث خوفاً من الآخرة والانتفاع به هو الخوف منه].

(3) الهجعة: المرة من هجوع وهو النوم ليلا [والمراد] نوم الغفلة في ظلمات الجهالة وانتقاض الأحكام الإلهية التي أبرمت على ألسنة الأنبياء السابقين بمخالفتها [المبرم: الحبل المحكم الفتل].

منها : فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر [1] إلا وأدخله الظلمة ترحة ، وأولجوا فيه نقمة . فيومئذ لا يبقى لكم في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر . أصفيتم بالأمر غير أهله [2] ، وأوردتموه غير مورده . وسينتقم الله ممن ظلم ، مأكلاً بمأكل ، ومشرباً بمشرب ، من مطاعم العلقم ، ومشارب الصبر والمقر [3] ولباس شعار الخوف ، ودثار السيف [4] وإنما هم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام [5] . فأقسم ، ثم أقسم ، لتنخمنها أمية من بعدي كما تلفظ النخامة [6] ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها أبداً ما كر

(1) الإشارة بذلك لحالة الاختلاف وتعطلة القرآن بالتأويل [وخذل الحق حتى حاولوا هدم الشرع مع السنة] والترحة ضد الفرحة .

(2) أصفيته بالشيء : آثرته به وخصصته

(3) الصبر - ككتف - عصارة شجر مر . والمقر - على وزنه - السم [وقد استعار العلقم والصبر والمقر لما يتجرعونه من الشدائد على اختلاف صورها].

(4) الدثار - ككتاب - من الثياب أعلاه فوق الملابس . والسيف يكون أشبه بالدثار إذا عمت فتنة الدم باحكام الهوى فلا يكون لبدن ولا عضو منه انفلات عنه .

(5) الزوامل : جمع زاملة ، وهي ما يحمل عليها الطعام من الابل ونحوها .

(6) نخم - كفرح - أخرج النخامة من صدره فألقاها . والنخامة - بالضم - ما يدفعه الصدر او الدماغ من المواد المخاطية .

الجديدانِ [1] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[يبين فيها حسن معاملته لرعيته]

ولقد أحسنتُ جوارَكُمْ ، وأحطتُ بجُهدي من ورائكُمْ [2] ، وأعتقتُكُمْ مِنْ رِبقِ الذلِّ وحلقِ الضيمِ [2] شكراً مني للبرِّ القليلِ ، وإطراقاً عمَّا أدركهُ البصرُ ، وشهدهُ البدنُ مِنَ المنكرِ الكثيرِ [3] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في حمد الله وبيان عظمته وفي فضائل الرسل الكرام]

عظمة الله

أمرُهُ قضاءٌ وحكمةٌ [4] ، ورضاهُ أمانٌ ورحمةٌ ، يقضي بعلمٍ ، ويعفو بحلمٍ .

---

(١) [الجديدان : الليل والنهار]

(٢) [أحطت بجهدي من ورائكم : أي حفظتكم وحرستكم وأعتقتكم من ربقة الذل : خلصتكم من الأعداء . والحلق ـ محركة ـ جمع حلقة .]

(٣) [يوضح ان هذه أخلاق الراعي الصالح اذ لا يستقيم ملك بدون الاحسان الى المحسن والتجاوز عن بعض المسيئين] .

(٤) [وقيل : حكم وكون قضائه حكماً أي لازماً لا يرد وكونه حكمة أي على وفق الحكمة التامة والنظام الأكمل] .

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي: حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ.

حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ. حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ.

حَمْداً لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ. فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ، وَلَا نَوْمٌ. لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ. أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ. وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ. فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ (١)، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ (٢) رَجَعَ طَرْفُهُ

(١) ذرأت: خلقت.

(٢) المور – بالفتح – الموج.

حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وَالِهاً، وَفِكْرُهُ حَائِراً(1).

كيف يكون الرجاء

منها: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ. كَذَبَ وَالْعَظِيمِ، مَا بَالُهُ لاَ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟ وَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ. وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلاَّ رَجَاءَ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ(2) وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلاَّ خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ. يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لاَ يُعْطِي الرَّبَّ. فَمَا بَالُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ؟ أَتَخَافُ أَنْ

(1) [حائراً:] كليلاً. والمبهور: المغلوب ومنقطع نفسه من الاعياء. والواله ـ من الوله ـ وهو ذهاب الشعور.

(2) المدخول: المغشوش غير الخالص، وهو المعيب الناقص لا يترتب عليه عمل. والخوف المحقق هو الثابت الذي يبعث على البعد عن المخوف والهرب منه وهو في جانب الله ما يبعث على إتيان أوامره والعمل على اجتناب نواهيه هرباً من عقابه وخشية من جلاله. والخوف المعلول هو ما لم يثبت في النفس ولم يخالط القلب، وإنما هو عارض في الخيال يزيله أدنى الشواغل ويذهب عنه أقل الرغائب، فهو يرد على الوهم ثم يدفعه ثم يعود إليه، شأن الأوهام التي لا قرار لها، فهو معلول من علة يعله بعد شربه مرة بعد أخرى، ومراد الإمام أن الراجي لعبد من العبيد يظهر رجاؤه في عمله واهتمامه بشأن من رجاه، وموافقته على أهوائه، وكذلك الخائف من أمير أو سلطان يرى أثر خوفه في تجنبه والامتناع من كل ما يحرك غضبه، بل ما يتوهم فيه أنه غير حسن عنده، لكنهم في رجاء الله وخوفه يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، مع أنهم يرجون الله في سعادة الدارين ويخافونه في شقاء الأبد، فيعطون العبيد ما لا يعطون لله.

تكون في رجائك له كاذباً؟ أو تكون لا تراه للرجاء موضعاً؟ وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه، فجعل خوفه من العباد نقداً، وخوفه من خالقهم ضماراً ووعداً (١). وكذلك من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها في قلبه آثرها على الله تعالى، فانقطع إليها، وصار عبداً لها.

رسول الله

ولقد كان في رسول الله – صلى الله عليه وآله – كاف لك في الأسوة (٢) ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قبضت عنه أطرافها ووطئت لغيره أكنافها وفطم عن رضاعها، وزوي عن زخارفها.

موسى

وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول: «رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير» والله، ما سأله إلا خبزاً يأكله، لأنه كان يأكل بقلة الأرض. ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه، لهزاله وتشذب

(١) الضمار ككتاب: من الوعود ما كان مسوفاً به.
(٢) الأسوة: القدوة.
(٣) الأكناف: الجوانب. وزوي أي قبض.

لخضمه (١)

داود

وإن شئت ثلثت بداود – صلى الله عليه – صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده (٢)، ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها! ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

عيسى

وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها (٣)، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه.

---

(١) الصفاق – ككتاب – هو الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر، أو هو ما بين الجلد والمصران، أو جلد البطن كله. والتشذب: التفرق. والتهضم: الهضم: تحلل الأجزاء وتفرقها.

(٢) السفائف: جمع سفيفة – وصف، من سف الخوص إذا نسجه، أي منسوجات الخوص.

(٣) ظلاله: جمع ظل بمعنى الكن والمأوى، ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كن له.

فتأسَّ[1] بنبيك الأطيب الأطهر — صلى الله عليه وآله — فإنَّ فيه أسوةً لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى. وأحبُّ العبادِ إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتصُّ لأثره. قضمَ الدنيا قضماً[2]، ولم يُعِرها طرفاً. أهضمُ أهل الدنيا كشحاً[3]، وأخمصهم من الدنيا بطناً. عُرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها. وعلِمَ أنَّ الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه. وحقر شيئاً فحقره، وصغّر شيئاً فصغّره. ولو لم يكن فينا إلا حبُّنا ما أبغض اللهُ ورسولُه وتعظيمُنا ما صغّر اللهُ ورسولُه، لكفى به شقاقاً لله، ومحادّةً عن أمر الله[4]. ولقد كان — صلى الله عليه وآله وسلم — يأكلُ على الأرض، ويجلسُ جلسةَ العبدِ، ويخصفُ بيده نعلَه، ويرقعُ بيده ثوبَه، ويركبُ الحمارَ العاري، ويُردِفُ خلفَه[5]،

(١) تأسَّ: أي اقتد.

(٢) القضم: الأكل بأطراف الأسنان، كأنه لم يتناول منها الا على أطراف أسنانه ولم يملأ منها فمه، وعنى أكل الناس

(٣) أهضم من الهضم وهو خمص البطن أي خلوها وانطواؤها من الجوع. والكشح: ما بين الخاصرة الى الضلع الخلفي. وأخمصهم أجوعهم.

(٤) المحادة: المخالفة في عناد.

(٥) خصف النعل: خرزها. والحمار العاري: ما ليس عليه بردعة ولا إكاف. وأردف خلفه: أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه.

وَيَكُونُ ٱلسِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ ٱلتَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فُلانَةُ -لإِحْدَى أَزْوَاجِهِ- غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ ٱلدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا[1]. فَأَعْرَضَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[2]، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ ٱلنَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ ٱلْقَلْبِ[3]، وَغَيَّبَهَا عَنِ ٱلْبَصَرِ. وَكَذَا مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ -صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ ٱلدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ[4]، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ ٱللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ -وَٱللهِ ٱلْعَظِيمِ- وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ قَدْ أَهَانَ

---

(١) في هذا دليل على أن الرسم على الورق والأثواب ونحوها لا يمنع استعماله، وإنما يتجافى عنه بالنظر زهداً وتورعاً.

(٢) الرياش: اللباس الفاخر.

(٣) أشخصها: أبعدها.

(٤) خاصته، اسم فاعل في معنى المصدر، أي: مع خصوصيته وتفضله عند ربه وعظم زلفته ومنزلته العليا من القرب إلى الله. وزوى الدنيا عنه: قبضها وأبعدها.

عبرة حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه. فتأسى متأس بنبيه [1]، واقتص أثره، وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة، فإن الله جعل محمداً — صلى الله عليه وآله — علماً للساعة [2]، ومبشراً بالجنة، ومنذراً بالعقوبة. خرج من الدنيا خميصاً [3]، وورد الآخرة سليماً. لم يضع حجراً على حجر، حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه. فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفاً نتبعه، وقائداً نطأ عقبه [4]. والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها [5]. ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى [6].

---

(١) فتأسى: خبر يريد به الطلب، أي فليقتد مقتد بنبيه.

(٢) العلم — محركة — العلامة، أي أن بعثته دليل على قرب الساعة حيث لا نبي بعده.

(٣) خميصاً: أي خالي البطن، كناية عن عدم التمتع بالدنيا.

(٤) العقب — بفتح فكسر — مؤخر القدم. ووطء العقب مبالغة في الاتباع والسلوك على طريقه، فنقفوه خطوة خطوة حتى كأننا نطأ مؤخر قدمه.

(٥) المدرعة — بالكسر — ثوب من صوف.

(٦) اغرب عني: اذهب وابعد. والمثل معناه إذا أصبح النائمون وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم أنفسهم، أو إذا أصبح السارون وقد وصلوا إلى ما ساروا إليه حمدوا سراهم وإن كان شاقاً حيث أبلغهم إلى ما قصدوا. والسرى — بضم ففتح — السير ليلاً.

ومن خطبة له عليه السلام

[في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه وفيها يعظ بالتقوى]

الرسول وأهله وأتباع دينه

ابتعثه بالنور المضيء، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي[1]، والكتاب الهادي. أسرته خير أسرة[2]، وشجرته خير شجرة. أغصانها معتدلة، وثمارها متهدلة[3]. مولده بمكة، وهجرته بطيبة[4]. علا بها ذكره، وامتد بها صوته. أرسله بحجة كافية، وموعظة شافية، ودعوة متلافية[5]. أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة[6]. ومن يبتغ غير الإسلام دينا تتحقق شقوته، وتنفصم عروته، وتعظم كبوته[7]، ويكون مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل.

---

(١) المنهاج البادي: أي الظاهر.

(٢) الأسرة ـ كغرفة ـ رهط الرجل الأدنون.

(٣) متهدلة: متدلية، دانية للاقتطاف.

(٤) طيبة: مدينة المنورة [وهو اسم سماها به رسول الله وكان اسمها يثرب]

(٥) من تلافاه: تداركه بالإصلاح قبل أن يهلكه الفساد، فدعوة النبي تلافت أمور الناس قبل هلاكهم.

(٦) المفصولة: التي فصلها الله أي قضى بها على عباده.

(٧) الكبوة: السقطة.

وأتوكَّلُ على اللهِ توكُّلَ الإنابةِ إليهِ. وأسترشِدُهُ السَّبيلَ المؤدّي إلى جنَّتهِ، القاصِدَةَ إلى مَحلِّ رغبتِهِ.

النصح بالتقوى

أوصيكُمْ، عبادَ اللهِ، بتقوى اللهِ وطاعتِهِ، فإنَّها النَّجاةُ غداً، والمَنجاةُ أبداً. رهَّبَ فأبلغَ، ورغَّبَ فأسبغَ [1]. ووصفَ لكُمُ الدُّنيا وانقطاعَها، وزوالَها وانتقالَها. فأعرِضُوا عمّا يُعجِبُكُمْ فيها لِقِلَّةِ ما يَصحَبُكُمْ مِنها. أقربُ دارٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ، وأبعدُها مِنْ رِضوانِ اللهِ. فغُضُّوا عنكُمْ – عبادَ اللهِ – غُمومَها وأشغالَها، لِما قدْ أيقنتُمْ بهِ مِنْ فِراقِها وتصرُّفِ حالاتِها. فاحذرُوها حذرَ الشَّفيقِ النّاصحِ [2]، والمُجِدِّ الكادحِ. واعتبِرُوا بما قدْ رأيتُمْ مِنْ مصارعِ القُرونِ قبلَكُمْ: قدْ تزايلَتْ أوصالُهُمْ [3]، وزالتْ أبصارُهُمْ وأسماعُهُمْ، وذهبَ شرفُهُمْ وعِزُّهُمْ، وانقطعَ سُرورُهُمْ ونعيمُهُمْ. فبُدِّلوا بِقُربِ الأولادِ فقدَها، وبِصُحبةِ الأزواجِ مُفارقتَها. لا يتفاخرُونَ، ولا

---

(1) أسبغ: أي أحاط بجميع وجوه الترغيب.

(2) الشفيق: الخائف. والناصح: الخالص. والمجد: المجتهد. والكادح: المبالغ في سعيه.

(3) تزايلت: تفرقت. والأوصال: المفاصل ومجتمع العظام. وتفرقها كناية عن تبددهم وفنائهم.

يتناسلون، ولا يتزاورون ولا يتجاورون. فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه، المانع لشهوته، الناظر بعقله. فإن الأمر واضح، والعلم قائم، والطريق جدد، والسبيل قصد (1).

ومن كلام له عليه السلام

لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال:

يا أخا بني أسد، إنك لقلق الوضين (2) ترسل في غير سدد، ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة، وقد استعلمت فاعلم. أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً (3)، والأشدون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطاً (4)، فإنها

---

(1) الجدد – بالتحريك – المستوى المسلوك والقصد القويم.

(2) الوضين: بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج، فإذا قلق واضطرب اضطرب الرحل فكثر قلق الحمل وهذا مثل لمن لا ثبات له في أمره ولا رسوخ له في الأخلاق والأعمال. والسدد – محركا – الاستقامة، أي ترسل الكلام في غير موضعه كحركة الوضين المضطرب في مشيه. والذمامة: الحرمة والكفالة. والصهر: الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج، وقد كان للأسدي حق الصهر لأن زينب بنت جحش زوجة رسول الله كانت أسدية [وهي – رضي الله عنها – زينب بنت جحش بن رئاب من بني أسد بن خزيمة وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فهي بنت عم رسول الله ﷺ]

(3) [يقال إنه يريد أهل الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه].

(4) النوط – بالفتح – التعلق. والأثرة: الاختصاص بالشيء دون مستحقه. والمراد بمن سخت نفوسهم عن الأمر أهل البيت.

كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ. وَالْحَكَمُ اللهُ، وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ (١)

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ (٢)، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ. وَلَا غَرْوَ، وَاللهِ، فَيَالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ! حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ (٣)، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً (٤). فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ

---

(١) البيت لامرىء القيس. وتتمته: وهات حديثاً ما حديث الرواحل. قاله عندما كان جاراً لخالد بن سدوس فأغار عليه بنو جديلة فذهبوا بإبله فشكا لجيره خالد فقال له: أعطني رواحلك ألحق بها القوم، فأرد إبلك وأهلك، فأعطاه، وأدرك خالد القوم فقال لهم: ردوا ما أخذتم من جاري، فقالوا ما هو لك بجار، فقال: والله إنه لجاري، وهذه رواحله. فقالوا: رواحله؟ فقال نعم. فرجعوا إليه وأنزلوه عنهن وذهبوا بهن. والنهب ـ بالفتح ـ: الغنيمة. وصيح في حجراته: صاحوا بالغارة. في حجراته: جمع حجرة ـ بفتح الحاء ـ: الناحية. ووجه التمثيل ظاهر [وهو أن السابقين من الأئمة وإن كانوا قد سلبوا هذا الأمر، فدعهم لسبقهم إلى الإسلام والهجرة. وهات ما نحن فيه من الخطب الجليل]

(٢) هلم: اذكر. والخطب: عظيم الأمر وعجيبه [illegible] في قيام من ذكره لمنازعته في الخلافة. والأود: الاعوجاج.

(٣) الفوار والفوارة من الينبوع: الثقب الذي يفور الماء منه بشدة.

(٤) جدحوا: خلطوا. والشرب ـ بالكسر ـ: النصيب من الماء. والوبيء: ما يوجب شربه من الوباء، يريد به الفتنة التي يردونها نزاعاً له في حقه كأنها مختلط بالمواد السامة القاتلة.

ٱلْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ (١)، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَى «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ (٢) إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ».

ومن خطبة له عليه السلام

[في بيان حقيقة الخالق جل وعلا وابتداعه للمخلوقات]

الخالق جل وعلا

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ ٱلْعِبَادِ، وَسَاطِحِ ٱلْمِهَادِ، وَمُسِيلِ ٱلْوِهَادِ، وَمُخْصِبِ ٱلنِّجَادِ (٣). لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ٱبْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ ٱنْقِضَاءٌ. هُوَ ٱلْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَٱلْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ. خَرَّتْ لَهُ ٱلْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ ٱلشِّفَاهُ (٤). حَدَّ ٱلْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا. لَا تُقَدِّرُهُ ٱلْأَوْهَامُ بِٱلْحُدُودِ وَٱلْحَرَكَاتِ، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَدَوَاتِ. لَا يُقَالُ لَهُ: مَتَى؟ وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى. ٱلظَّاهِرُ

---

(١) محض الحق: خالصه.

(٢) وإن لا يزالوا متورطين فلا تذهب نفسك حسرة عليهم.

(٣) [ساطح المهاد: باسطه، جعله سطحاً سهلاً وباسطه للعمل فيه] والمهاد: الأرض. والوهاد: جمع وهدة — المنخفض من الأرض. والنجاد — جمع نجد — ما ارتفع منها. وتسييل الوهاد: إجراء السيل فيها بالأمطار، وتخصيب النجاد بأنواع النبات.

(٤) [وسجود الجباه وتوحيد الشفاه إشارة إلى استحقاقه العبادة عملاً ولفظاً] والإبانة هنا التمييز والفصل، والضمير في له يرجع إليه سبحانه أي تمييزاً لذاته تعالى عن شبهها أي مشابهتها. وإبانة مفعول لأجله بمعنى حدّ، أي حدّ الأشياء لتمييز ذاته عن شبهها.

لَا يُقَالُ مِمَّا (1)، وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَا. لَا شَبَحٌ فَيَتَقَضَّى (2)،
وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى. لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ
يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ. لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ (3)،
وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ (4)، وَلَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ
فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ (5)، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ (6)،
وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأُفُولِ وَالْكُرُورِ (7)، وَتَقَلُّبِ
الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ. مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ
قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ (8)، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ تَعَالَى عَمَّ

---

(1) ظاهر بآثار قدرته ولا يقال من أي شيء ظهر.

(2) ليس بجسم فيفنى ولا محلال.

(3) شخوص لحظة: امتداد بصر [بلا حركة من جفن].

(4) ازدلاف الربوة: تقربها من النظر وظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات.

(5) الداجي: المظلم. والغسق: الليل. وساج: أي ساكن لا حركة فيه.

(6) من التفيؤ: تقلب الظل ينسخ نور الشمس. ولما كان الظلام في الليل عاماً كالضياء بالنهار عبر عن نسخ نور القمر له، بالتفيؤ تشبيهاً له بنسخ الظل لضياء الشمس، وهو من لطيف التشبيه ودقيقه.

(7) الأفول: المغيب. والكرور: الرجوع بالشروق.

(8) قوله قبل كل غاية: متعلق بيخفى على معنى السلب، أي لا يخفى عليه شيء من ذلك قبل كل غاية، أي يعلمه قبل الخ. ويصح أن يكون خبراً عن ضمير الذات العلية، أي هو موجود قبل كل غاية الخ.

يَحُدُّهُ ٱلْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْأَقْدَارِ، وَنِهَايَاتِ ٱلْأَقْطَارِ[1]، وَتَأَثُّلِ ٱلْمَسَاكِنِ[2]، وَتَمَكُّنِ ٱلْأَمَاكِنِ. فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ.

ابتداع المخلوقين

لَمْ يَخْلُقِ ٱلْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ[3]. لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ ٱمْتِنَاعٌ[4]، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ ٱنْتِفَاعٌ. عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ ٱلْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ ٱلْبَاقِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ ٱلْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَى.

منها: أَيُّهَا ٱلْمَخْلُوقُ ٱلسَّوِيُّ[5]، وَٱلْمُنْشَأُ ٱلْمَرْعِيُّ فِي

---

(1) يحده القول — كيمده — تنسب إليه أي هيئة يصفه المحددون لذاته تعالى والمعرفون لها. من صفات الأقدار جمع قدر — بسكون الدال — وهو حال الشيء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر. ونهايات الأقطار هي نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدمة.

(2) التأثل: التأصل.

(3) لم يكن مواد مساوية في القدم والأزلية وكان له فيها أثر التصوير والتشكيل فقط، بل خلق المادة بجوهرها، وأقام لها حدها، أي ما به امتازت عن سائر الموجودات وصور منها ما صور من أنواع النباتات والحيوانات وغيرها [وإحسان الصورة المجيء بها على وجه الإحكام والإتقان].

(4) أي لا يمتنع عليه ممكن إذا قال للشيء كن فيكون.

(5) مستوى الخلقة لا نقص فيه. والمنشأ: المبتدع. والمرعي: المحفوظ [المعتني بأمره].

فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ[1]، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ. تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لَا تُحِيرُ دُعَاءً، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا. فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟ هَيْهَاتَ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ!

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ[2]، وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ. إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ. مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ

---

(١) السلالة من الشيء: ما استل منه. والنطفة: مزيج يستل من البدن المؤلف من عناصر الأرض لخلوصه من دائرة النبات، فمزاج البدن الذي انشئ بالمزاج الطيني بعد [منه] دور له وحكم. والقرار المكين: محل الجنين من رحم. والقدر المعلوم: مبلغ مدة محددة للحمل. وتمور: تتحرك. ولا تحير، من قولهم ما أحار جوابا: ما رد، أي لا تستطيع دعاء.

(٢) استسفروني: جعلوني سفيراً.

عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه. وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله - صلى الله عليه وآله كما صحبنا وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وشيجة رحم منهما (١) وقد نلت من صهره ما لم ينالا. فالله الله في نفسك فإنك والله - ما تبصر من عمى، ولا تعلم من جهل، وإن الطرق لواضحة، وإن أعلام الدين لقائمة. فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عدل، هُدي وهدى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة مجهولة. وإن السنن لنيرة، لها أعلام، وإن البدع لظاهرة، لها أعلام. وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به، فأمات سنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة. وإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط

---

(١) الوشيجة: اشتباك القرابة، وإنما كان عثمان أقرب وشيجة لرسول الله لأنه من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رابع أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أما أبو بكر فهو من بني تيم بن مرة سابع أجداد النبي، وعمر بن عدي بن كعب ثامن أجداده ﷺ. وأما فضله عليهما في الصهر فلأنه تزوج بنتي رسول الله رقية وأم كلثوم، توفيت الأولى فزوجه النبي بالثانية ولذا سمي ذا النورين.
وغاية ما قال المحققان أن النبي تزوج من بناتها.

في قعرها (١) ، وإني أنشدك الله أن لا تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فإنه كان يقال : يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، ويلبس أمورها عليها ، ويبث الفتن فيها ، فلا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجا ، ويمرجون فيها مرجا (٢) فلا تكونن لمروان سيقة (٣) يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر .
فقال له عثمان رضي الله عنه : كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم ، فقال عليه السلام : ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه (٤) .

ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس [ودقائق خلقة الطيور]

خلقة الطيور

ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات ، وساكن وذي

(١) [illegible] ، أي شدة وحدة .
(٢) المرج : الخلط .
(٣) السيقة ككيسة : ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان كاتبا ومشيرا لعثمان .
(٤) [يريد أمير المؤمنين بهذا أن يسرع عثمان رضي الله عنه برد المظالم ، أما مظالم المدينة فيكفي صدور أمره فيها برد في الحال وأما مظالم الآفاق فبينه وبين ردها مدة وصول الأمر إليها مع البريد .

حَرَكَاتٍ. فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ، مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ. وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ (١). وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلْأَطْيَارِ (٢) ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ٱلْأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا. مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ (٣) وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ ٱلْمُنْفَسِحِ، وَٱلْفَضَاءِ ٱلْمُنْفَرِجِ. كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ (٤) وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي ٱلسَّمَاءِ خُفُوفًا، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفًا. وَنَسَقَهَا عَلَى ٱخْتِلَافِهَا فِي ٱلْأَصَابِيغِ (٥) بِلَطِيفِ

---

(١) نعقت من نعق بغنمه – كمنع – صاح.

(٢) ذرأ: خلق. والأخاديد – جمع أخدود: الشق في الأرض. والخروق جمع خرق – الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. والفجاج – جمع فج – الطريق الواسع وقد يستعمل في متسع الفلاة. والأعلام جمع علم بالتحريك، وهو الجبل.

(٣) يصرفها الله في أطوار مختلفة يتقلب فيها بزمام تسخيره واستخدامه لها فيما خلقها لأجله. ومرفرفة من رفرف الطائر بسط جناحيه. والمخارق – جمع مخرق – الفلاة. وشبه الجو بالفلاة للسعة فيهما [وهو من أدق التشبيه].

(٤) الحقاق – ككتاب – جمع حق بالضم – مجتمع المفصلين والمحتجبة المستترة باللحم والجلد. والعبالة: الضخامة [وامتلاء الجسد] ويسمو: يرتفع؛ وخفوفاً: سرعة وخفة. ودفيف الطائر: مروره فويق الأرض، أو أن يحرك جناحيه ورجلاه في الأرض. ويدف بضم الدال.

(٥) نسقها: رتبها. والأصابيغ: جمع أصباغ – بفتح همزة – جمع صبغ بالكسر وهو اللون أو ما يصبغ به.

قُدْرَتِهِ وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ. فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ(١) لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ. وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ.

الطاووس

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً ٱلطَّاوُوسُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ(٢)، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ إِلَى ٱلْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلّاً عَلَى رَأْسِهِ(٣) كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ. يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ. يُفْضِي كَإِفْضَاءِ ٱلدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحَةٍ أَرَّ

---

(١) القالب مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره. والطائر ذو اللون الواحد كأنما افرغ في قالب من اللون. وقوله قد طوق أي جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فانه يخالف سائر بدنه كأنه طوق صيغ لحليته.

(٢) التنضيد. النظم والترتيب. وقوله اشرج قصبه أي داخل بين آحاده ونظمها على اختلافها في الطول والقصر واذا مشى إلى انثاه نشر ذلك الذنب بعد طيه.

(٣) سما به أي ارتفع به، أي رفعه مطلا على رأسه، أي مشرفاً عليه كأنه يظلله. والقلع ـ بكسر فسكون ـ شراع السفينة [وداريّ نسبة الى دارين وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال ان الطيب كان يجلب لها من الهند وقد خربت منذ قديم فلم يعد بها عمارة]. وعنجه: جذبه فرفعه، من عنجت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه [والنوتي: ربان السفينة] ويختال. يعجب. ويميس. يتبختر بزيفان ذنبه. وأصل الزيفان التبختر أيضاً ويريد به هنا حركة ذنب الطاووس يميناً وشمالاً

الفُحُولِ المُغْتَلِمَةِ (١) فِي الضِّرَابِ . أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ (٢) ، لا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ . وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ (٣) ، فَتَقِفُ فِي صَفْقَيْ جُفُونِهِ وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ . ثُمَّ تَبِيضُ لا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ المُنْبَجِسِ لَمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الغُرَابِ (٤) تَخَالُ قَصَبَةُ مَذَارِي مِنْ فِيهِ ، وَمَا أَنْتِ عَلَيْهَا

---

(١) يقضي أي يذهب أناه كما يذهب الديكة جمع ديك . ويؤد ـ كيشد أي يأتي أناه بلاعبة أي مساعدة يعرر فيها مادة سائلة من عصير الحسن بدفعها في رحم قابل . والمغتلمة على صيغة اسم الفاعل من اغتلم إذا غلبته الشهوة . والضراب : لقاح الفحل لأنثاه .

(٢) أي إن لم يكفك الخبر في قولك عنه من المعاينة فاذهب وعاين تجد صدق ما أقول .

(٣) يسفحها أي ترسلها أو تصبها لدمع [وهو إشارة إلى زعم قوم أن الذكر يدمع عينه فتقف الدمعة بين أجفانه فتأتي الأنثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة] وصفقة الجفن . استعارة من صفقي الباب أي جانبيه . وتطعم ذلك كتطعم أي تذوقه كأنها تترشفه . ولقاح الفحل ـ كسحاب ـ ماء التناسل يلقح به الأنثى . والمنبجس النابع من العين .

(٤) لما كان ذلك بأعجب أي لو صح ذلك الزعم في الطاووس لكان له نظير فيما زعموا في مطاعمة الغراب وتلقيحه لأنثاه حيث قالوا إن مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قنصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره . والمماثلة بين الزعمين في عدم الصحة . ومنشأ الزعم في الغراب استتاره لسفاده حتى ضرب المثل بقولهم أخفى من سفاد الغراب .

مِنْ عجيبِ داراتِهِ وشُمُوسِهِ خالِصَ ٱلْعِقْيانِ وَفِلَذَ ٱلزَّبَرْجَدِ [1] فإنْ شبَّهْتَهُ بما أنبتتِ ٱلْأَرْضُ قُلْتَ جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ [2] وإنْ ضاهيْتَهُ بِالْمَلابِسِ فهُوَ كَمَوْشِيِّ ٱلْحُلَلِ [3]، أوْ مُونِقِ عَصْبِ ٱلْيَمَنِ . وإنْ شاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فهُوَ كَفُصُوصٍ ذاتِ أَلْوانٍ ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ ٱلْمُكَلَّلِ [4] يَمْشِي مَشْيَ ٱلْمَرِحِ ٱلْمُخْتالِ [5] ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وجَناحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضاحِكاً لِجَمالِ سِرْبالِهِ وأصابِيغِ وِشاحِهِ [6] فإذا رمى بِبَصَرِهِ إلى قوائِمِهِ زقا

---

(١) القصب – جمع قصبة – هي عمود الريش . والمداري – جمع مِدْرَى بكسر الميم – قال ابن الاثير المدرى والمدراة مصنوع من حديد او خشب على شكل سن من اسنان المشط واطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له . والدارات : هالات القمر : والعقيان : الذهب الخالص او ما ينمو منه في معدنه . والفلذ – كعنب – جمع فلذة : من القطعة . وما انبت معطوف على قصبه . والتشبيه في بياض القصب والصفرة والخضرة في الريش

(٢) جنى اي مجنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون

(٣) الموشي : المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل . والعصب – بالفتح – ضرب من البرود منقوش .

(٤) الفصوص جمع فص وهو الفصة [illegible] . والمكلل : المزين بالجواهر . ولكن تنضدت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها

(٥) المرح – ككتف – المعجب والمختال : الزاهي بحسنه .

(٦) السربال : اللباس مطلقا او هو الدرع خاصة والوشاح نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطف احدهما على الآخر بعد عقد طرفيه حتى يكونا كدائرتين احداهما داخل الاخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف ، او أديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك من العاتق والكشح .

مُعَوِّلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِهِ. وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ ٱلدِّيَكَةِ ٱلْخِلَاسِيَّةِ [1] وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ [2] وَلَهُ فِي مَوْضِعِ ٱلْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ [3]. وَتَخْرُجُ عُنُقُهُ كَٱلْإِبْرِيقِ. وَمَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ عُنُقُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسْمَةِ ٱلْيَمَانِيَّةِ [4]. أَوْ كَحَرِيرَةٍ مَنْشِيَّةٍ بِمِرْآةٍ ذَاتِ صِقَالٍ [5] وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ [6]. إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ ٱلنَّاضِرَةَ تَمْتَزِجُ بِهِ. وَمَعَ

---

(1) رفع بِعَوْل: صاح. والعول: فهو معول ورفع صوته بالبكاء. يكاد يبين: أي يفصح عن استغاثته من كربه وشدته أي بلواه. حمش: جمع أحمش أي دقيق. والديك الخلاسي – بكسر الخاء – هو المولد بين دجاجتين هندية وفارسية.

(2) وقد نجمت: أي نبتت من ظنبوب ساقه: أي من حرف عظمه الأصل صيصية وهي شوكة تكون في رجل الديك. والظنبوب – بالضم – كعرقوب: عظم حرف الساق.

(3) القنزعة – بضم القاف والزاي – بينهما سكون – الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي. وموشاة: منقوشة.

(4) مغرزها: الموضع الذي غرز فيه العنق منتهياً إلى مكان الظهر لونه كلون الوسمة وهي نبات يختضب به، أو هي نبات النيل الذي منه صبغ النيلج المعروف بالنيلة.

(5) الصقال: الجلاء.

(6) معجر: كمنبر: ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى تردّه إلى الطرف الأول فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وتستر صدرها. وهو معنى التلفع به. والأسحم: الأسود.

حَتَّى تُسَمِّيهِ خطٌّ كَمُسْتَدَقِّ ٱلْقَلَمِ فِي لَوْنِ ٱلْأُقْحُوَانِ [1] أَبْيَضُ يَقَقٌ . فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ [2] وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ [3] ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ [4] . فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ ٱلْمَبْثُوثَةِ [5] لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ [6] وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ . وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ [7] ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى ، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً ، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ ٱنْحِتَاتَ أَوْرَاقِ ٱلْأَغْصَانِ [8] ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً ، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً [9] . فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ ٱلْفِطَنِ [10] ،

---

(١) الأقحوان : البابونج . واليقق - محركا - شديد البياض .

(٢) يلمع .

(٣) نصيب .

(٤) علاه : أي فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلائه . والبصيص اللمعان . والرونق : الحسن .

(٥) الازاهير : جمع ازهار جمع زهر .

(٦) لم تربها : فعل من التربية . والقيظ : الحر .

(٧) ينحسر هو من حسره أي كشفه ، أي وقد ينكشف من ريشه . وتترى أي شيئاً بعد شيء .

(٨) ينحت : يسقط ويتقشر .

(٩) ذهبية .

(١٠) عمائق جمع عميقة .

أَوْ تَبْلُغَهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ.

وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ[1] عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً. وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ.

صغار المخلوقات

سُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ[2] وَالْهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيَلَةِ! وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ[3] أَلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ[4] عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا،

---

(1) بهر العقول: قهرها وردها. وجلاه — كجلّاه — كشفه.

(2) الذرة: واحدة الذر: صغار النمل. والهمجة — محركة — واحدة الهمج: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم. وقوائمها: أرجلها. وأدمجها: أودعها فيها.

(3) وأى: وعد. والحمام: الموت.

(4) عزفت الإبل — كفرح — تشتكي بطونها من أكل العزف، وهو الثمام، أي لكرهت بدائع الدنيا كما تكره الإبل الثمام أو لتشبعت نفسك من النفور والعدول لما تراه من بدائع الدنيا كما تنفر بطون الإبل من أكل الثمام.

وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا ، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ[1] غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا[2] ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا[3] تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ[4] فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ[5] ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ[6] ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ[7] لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا . جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

---

(١) اصطفاق الأشجار: تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت . والكثبان – جمع كثيب – وهو التل

(٢) جمع فنن – بالتحريك – وهو الغصن .

(٣) غلف مستترة – جمع غلاف – والأكمام – جمع كِمّ بكسر الكاف – وهو وعاء الطلع وغطاء النور .

(٤) تحنى : من حناه حنواً . عطفه

(٥) المصفاة .

(٦) قوله قوم الخ أي هم قوم أي لم تزل الخ قوم شأنهم ما ذكره .

(٧) المونقة : المعجبة .

قال السيد الشريف، رضي الله عنه: قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «وَيَؤُرُّ بِمِلَاقِحِهِ»، ٱلْأَرُّ: كِنَايَةٌ عَنِ ٱلنِّكَاحِ. يُقَالُ: أَرَّ ٱلْمَرْأَةَ يَؤُرُّهَا أي نَكَحَهَا، وقَوْلُهُ «كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ» ٱلْقِلْعُ: شِرَاعُ ٱلسَّفِينَةِ، وَدَارِيٌّ: مَنْسُوبٌ إِلَى دَارِينَ، وهي بَلْدَةٌ عَلَى ٱلْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا ٱلطِّيبُ، وعَنَجَهُ أي عَطَفَهُ. يُقَالُ: عَنَجْتُ ٱلنَّاقَةَ - كَنَصَرْتُ - أَعْنُجُهَا عَنْجاً إذا عطفتها. وٱلنُّوتِيُّ: ٱلْمَلَّاحُ. وقَوْلُهُ «ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ»، أراد جانِبَيْ جُفُونِهِ. وٱلضَّفَّتَانِ: ٱلْجَانِبَانِ. وقَوْلُهُ «وفِلَذَ ٱلزَّبَرْجَدِ»، ٱلْفِلَذُ: جَمْعُ فِلْذَةٍ، وهي ٱلْقِطْعَةُ. وقَوْلُهُ «كَبَائِسَ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلرَّطْبِ»، ٱلْكِبَاسَةُ: ٱلْعِذْقُ[1] وٱلْعَسَالِيجُ: ٱلْغُصُونُ، وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في الحث على التآلف ثم في زوال بني أمية والناس في آخر الزمان]

الحثُّ على التآلف

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ[2] وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ

(١) العذق للنخلة كالعنقود للعنب، مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العرجون.

(٢) ليتأس: ليقتد.

وَلا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ لا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ. كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ (1) يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

بنو امية

مِنْهَا: افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ. فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ. عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ (2) يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ

---

(1) القيض: القشرة العليا اليابسة على البيضة. والأداحي: جمع أدحي - كالحي - وهو مبيض النعام في الرمل يدحوه برجله لتبيض فيه. وإذا مر مار بالأداحي ورأى فيها بيضاً ارتفظ ... بيض القطا ... والقطا للأفاحيص ... يبيض فيها، فلا يجوز للمار أن يكسر البيض، وربما كان في حقيقة بيض ثعبان فيتبع حضان الصبر به شراً. وكذلك لا ... لحرمة صورته الإنسانية تمنع من إذلاله ولا يدع الإبقاء عليه إلا شراً، فإنه بجهله يكون مصدر شر على الناس من ... .

(2) قزع - محركة - القطع المتفرقة من السحاب واحدته قزعة بالتحريك. والركام: السحاب المتراكم. ومستثار: موضع انبعاثهم ثائرين. وسيل الجنتين هو سيل العرم الذي عاقب الله به سبأ على بطرهم فدمر جناتهم وحول نعيمهم شقاء. والقارة - كالقرارة - ما اطمأن من الأرض. والأكمة - محركة - قطعة من الأرض ترتفع عما حواليها. والسنن: الطريق. والطود: الجبل العظيم والمقصود الجمع. والردم: يريد به الارتفاع أي الأكوام والملاصق، أي لم تمنع جريته تلاصق الجبال. والحدب - جمع حدب بالتحريك - ما غلظ من الأرض في ارتفاع.

أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين، حيث لم تسلم عليه قارة، ولم تثبت عليه أكمة، ولم يردّ سننه رصّ طود، ولا حداب أرض. يذعذعهم الله في بطون أوديته، ثم يسلكهم ينابيع في الأرض[1]. يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكّن لقوم في ديار قوم. وايم الله ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتمكين[2]، كما تذوب الألية على النار

الناس آخر الزمان

أيها الناس، لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم. لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل. ولعمري ليضعفنّ لكم التيه من بعدي أضعافاً[3] بما خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد. واعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول، وكفيتم مؤونة الاعتساف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق[4].

---

(١) يذعذعهم: يفرقهم. وبطون الأودية: كناية عن مسالك الاختفاء. ثم يسلكهم ينابيع في الأرض: أي يجعلهم يسترون دعوتهم ويبثونها في الصدور حتى تثور ثائرتهم في الوقت كما تفور الينابيع من عيونها. وقد كان ذلك في قيام الهاشميين على الأمويين في زمن مروان الحمار.

(٢) الضمير في أيديهم: لبني أمية. والألية: الشحمة.

(٣) ليضعفن لكم التيه: أي ليزيدنكم حيرة ضعف ما هي لكم الآن.

(٤) الفادح: من فدحه الدين: أثقله.

ومن خطبة له عليه السلام

في أوائل خلافته

[يبين فيها فضائل الاسلام]

إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ. فَخُذُوا نَهْجَ ٱلْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَٱصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ ٱلشَّرِّ تَقْصِدُوا (١).

ٱلْفَرَائِضَ ٱلْفَرَائِضَ، أَدُّوهَا إِلَى ٱللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ. إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ (٢). وَفَضَّلَ حُرْمَةَ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِٱلْإِخْلَاصِ وَٱلتَّوْحِيدِ حُقُوقَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا (٣) فَٱلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِٱلْحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى ٱلْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ.

بَادِرُوا أَمْرَ ٱلْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ (٤) فَإِنَّ ٱلنَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا

---

(١) صدف: أعرض. والسمت: الجهة. وتقصدوا: تستقيموا.

(٢) مدخول: معيب.

(٣) [وشدّ بالاخلاص الخ..] أي جعل الحقوق مرتبطة بالاخلاص والتوحيد لا تنفك عنه. ومعاقد الحقوق: مواضعها من الذمم.

(٤) بادروا: عاجلوا، أي عجلوا امر العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا، فاذا انقضى عملكم في شؤون العامة فبادروا الموت بالعمل الصالح كيلا يأخذكم على غفلة فلا تكونوا منه على أهبة. وفي تقديم الامام امر العامة على امر الخاصة دليل على ان الاول أهم ولا يتم الثاني إلا به. وهذا ما تضافرت عليه الادلة الشرعية وإن غفل عنه الناس في ازماننا هذه.

تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ. أَطِيعُوا اللهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعدما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان (١)؟ فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاهُ، إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ (٢)، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَا هُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عُبْدَانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ (٣) يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ؟ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ. وَإِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً (٤). إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ، فَاصْبِرُوا حَتَّى

(١) [أجلب عليه: جمع انصاره واعوانه].
(٢) [شوكتهم: قوتهم].
(٣) [يراد بالاعراب اخلاف البادية الذين انضموا الى عبيد المدينة في فتنة عثمان]. خلالكم: فيما بينكم.
(٤) مادة: اي عوناً ومدداً.

تَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً [1]. فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي. وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً [2]. وَسَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ. وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ [3].

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند مسير أصحاب الجمل الى البصرة

[وفيها امور جامعة للمسلمين وتعبير من خصومه]

الامور الجامعة للمسلمين

إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لاَ يَهْلِكُ عَنْهُ إِلاَّ هَالِكٌ [4]. وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ [5] إِلاَّ مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا. وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلاَ مُسْتَكْرَهٍ بِهَا [6].

---

(١) مسمحة: اسم مفعول، من أسمح إذا جاد وكرم، كأنما المقصود عند القدرة يحصل عند سماحها بأخذه.

(٢) تضعضعه: تهدمه حتى الارض. والمنة بالضم: القدرة. والوهن: الضعف.

(٣) الكي كناية عن القتال [أي: إذا لم تجد بداً من القتال فهو آخر ما يعمل لأنها الغاية التي ينتهي عندها أمر العصاة].

٤) [لا يهلك] أي: لا يهلك من كان في طبعه عوج عن الحق، ونحو عنه الشيء لا الردي.

٥) البدع المنسوبة الى الدين المشبهة به هي المهلكة إلا ان يحفظ الله منها بالتوبة.

٦) ملوّمة: من لوّمه: مبالغة في لامه، اي غير ملوم عليها بالنفاق.

وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ، أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ [1].

التنفير من هؤلاء

إِنَّ هؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَؤُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي [2]، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ: فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هذَا الرَّأْيِ [3] انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا. وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ [4].

ومن كلام له عليه السلام

[في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة]

كلم به بعض العرب [5] وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب ـ عليه

---

(1) يأرز: ينقبض ويجتمع.

(2) تمالؤوا: اتفقوا وتعاونوا. والسخطة ـ بالفتح ـ الكراهة وعدم الرضا. والمراد من هؤلاء: بعض عائلة من صحابة الرسول رضي الله عنهم ومن تبعهم.

(3) فيالة الرأي ـ بالفتح ـ ضعفه، وإنما هو عن سوء رأيهم الله.

(4) النعش: مصدر نعشه إذا رفعه.

(5) بعض العرب: [هو كليب الجرمي نسبة إلى بني جرم، وكان قوم من البصرة أرسلوه إلى الامام ليعلم أهو على صحة أم هو على شبهة فلما رآه وسمع لفظه لم يخالجه شك في صدقه فبايعه].

السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع اصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم فبين له - عليه السلام - من امره معهم ما علم به انه على الحق، ثم قال له : بايع ، فقال : اني رسول قوم ولا احدث حدثاً حتى أرجع اليهم. فقال - عليه السلام :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ ٱلَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ ٱلْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى ٱلْمَعَاطِشِ وَٱلْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعاً ؟ قَالَ : كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ . فَقَالَ - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ فَوَٱللهِ مَا ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَٱلرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ ٱلْجَرْمِيِّ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عزم على لقاء القوم بصفين
[وهو دعاء ودعوة للقتال]

الدعاء

اللَّهُمَّ رَبَّ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُوفِ (١) ، ٱلَّذِي

---

(١) الجو : ما بين الأرض والأجرام العالية . وفيه من مصنوعات الله ما لا يحصى نوعه ولا يعد جنسه وهو مجرى جميع هذه الكائنات الجوية ولكنها مكفوفة عن الأرض لا تسقط عليها حتى يريد الله حدوث امر فيها . وجعلته مغيضاً من غاض الماء اذا نقص ، كأن هذا الجو منبع الضياء والظلام وهو مغيضهما كما يغيض الماء في البحر والكلام الآتي صريح في ان الكواكب السيارة كالشمس والقمر تختلف في مختلف بعضها بعضاً في الجو فهو مجال سيرها ومسد تحركاتها . والسبط ... لأمة .

جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ. وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ، لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ. وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى. وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً (١)، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ. وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

الدعوة للقتال

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ (٢) وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ. الْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ!

---

(١) اعتماداً: أي معتمداً، أي ملجأً يعتصمون بها إذا طردتهم الغارات من السهول وكما هي كذلك للإنسان، هي أيضاً كذلك للحيوانات تعتصم بها.

(٢) الذمار - ككتاب - ما يلزم الرجل حفظه من أهله وعشيرته. والغائر من غار على امرأته وقريبته أن يمسها أجنبي. والحقائق: وصف لا اسم، يريد النوازل الثابتة التي لا تدفع بل لا تقع إلا تعرضت الهمم ومن أهل الحفاظ بيان للمانع والغائر، وهم أهل الوفاء ورعاية الذمم

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها يحمد الله ويذكر ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل عمر]

حمد الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً (1).

يوم الشورى

منها: وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لَحَرِيصٌ، فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ (2). فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

الاستعداء على قريش

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ (3)! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ

---

(1) لا تواري: لا تحجب.

(2) ضرب الوجه: كناية عن الرد والمنع. وقرعته بالحجة: من قرعه بالعصا ضربه بها. وهب: من هبيب التيس أي صياحه، أي كان يتكلم بكلام مع سرعة حمل عليها الغضب كأنه مجنون لا يدري ما يقول.

(3) أستعديك: أستنصرك وأطلب منك معونة.

لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ [1]

منها في ذكر اصحاب الجمل

فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله — صلى الله عليه وآله — كما تجرّ الأمة عند شرائها، متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا حبيس رسول الله — صلى الله عليه وآله — لهما ولغيرهما [2] في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة، وسمح لي بالبيعة، طائعاً غير مكره، فقدموا على عاملي بها وخزّان [3] بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفة صبراً [4]، وطائفة غدراً. فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين [5] لقتله، بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم

---

(١) ثم قالوا الخ. [illegible] في حق [illegible] أن تتركه [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) خزّان: جمع خازن.

(٤) [illegible]

(٥) معتمدين: قاصدين.

يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ . دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ[1]

ومن خطبة له عليه السلام

[في رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومن هو جدير بأن يكون للخلافة]
[وفي هوان الدنيا]

رسول الله

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ .

الجدير بالخلافة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ[2] فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ ، فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ . أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ،

---

(1) قوله دع ما أنهم... أي لو حل لهم قتل مسلم واحد عمداً، فدع من أعانهم وزاد على ذلك، وهو أنهم قتلوا من المسلمين عدد جيشهم، فذلك مما يستحقون عليه عقاباً فوق حل دمائهم. و«ما» في قوله «ما أنهم» مثل «لو» في قولهم يعجبني لو أنك تتكلم، ومنها في قوله تعالى «إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون»، فهي زائدة أو مساعدة على سبك الجملة بالمصدر.

(2) الشغب: تهييج الفساد. واستعتب: طلب منه الرضا بالحق.

وآخر منع الذي عليه .

أوصيكم بتقوى الله فإنها خير ما تواصى العباد به ، وخير عواقب الأمور عند الله . وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة[1] ، ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر[2] والعلم بمواضع الحق . فامضوا لما تؤمرون به ، وقفوا عند ما تنهون عنه ، ولا تعجلوا في أمر حتى تتبينوا ، فإن لنا مع كل أمر تنكرونه غيرا[3] .

هوان الدنيا

ألا وإن هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها ، وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ، ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم إليه . ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها . وهي وإن غرتكم منها فقد حذرتكم شرها . فدعوا غرورها لتحذيرها ، وإطماعها

---

(1) أهل القبلة من يعتقد بالله وصدق ما جاء به محمد ﷺ ويصلي متجهاً إلى قبلة واحدة .

(2) أي لا يحمل علم الحرب ورايتها لقتال أهل القبلة إلا أهل العقل والمعرفة بالشرع وهم الإمام ومن معه ؛ أي ليس قتالنا هذا العلم عن جهل وغفلة عن أحكامه .

(3) أي إذا رأى أهل الحل والعقد منكم تصميمي على إنكار شيء عدلنا إلى حكمتهم وغيرنا حكمنا متى كان إنكارهم لا تخالفه شرعاً . فالغير بكسر ففتح اسم للتغيير والتغير .

لتخويها. وسابقوا فيها إلى الدار التي دُعيتم إليها، وانصرفوا بقلوبكم عنها. ولا يخنن أحدكم خنين الأمة على ما زُوِيَ عنه منها (1). واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه. ألا وإنه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم. ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر.

ومن كلام له عليه السلام

في معنى طلحة بن عبيد الله

[وقد قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله]

قد كنت وما أُهدَّدُ بالحرب، ولا أُرهَبُ بالضرب، وأنا على ما قد وعدني ربي من النصر. والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان (2) إلا خوفاً من أن يطالب بدمه، لأنه مظنته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه (3)، فأراد أن

---

(1) الخنين ـ بالخاء المعجمة ـ: ضرب من البكاء يردد به الصوت في الأنف. وزوي: أي قبض.

(2) [وأول هذا الكلام ردّ على تهديدهم له بالحرب] متجرداً: كالسيف جُرّد من غمده.

(3) حرص عليه، أي على دم عثمان يعني سفكه.

يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الْأَمْرُ (١) وَيَقَعَ الشَّكُّ. وَوَاللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ أَوْ يُنَابِذَ (٢) نَاصِرِيهِ. وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ (٣)، وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ (٤). وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِبًا (٥) وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ. فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ (٦).

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في الموعظة وبيان قرباه من رسول الله]

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ (٧)، مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ

(١) يلتبس [illegible] [ويقع الشك أي من الناس].
(٢) يوازر: ينصر ويعين [illegible] والمدافعين.
(٣) المنهنهين عن الأمر: الكافّين [illegible] عنه.
(٤) المعذرين فيه: المعتذرين عنه فيما نقم منه.
(٥) ويركد جانباً: يسكن في جانب عن الفريقين والحزبين.
(٦) [والأمر الذي لم يعرف بابه [illegible] لا يعرف [illegible] لا [illegible]]
(٧) التاركون.. [illegible] المأخوذ منهم [illegible] عنهم [illegible] المأخوذ منهم صفة للتاركين.

كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعًى وَبِيٍّ وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ. إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى(1) لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا، إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا(2)، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا. وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ(3)، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ(4). وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هَذَا الْأَمْرِ. وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ(5).

---

(1) النعم - محركة - الإبل أو هي النعم. وأراح بها: ذهب بها. وأصل الإراحة الإطلاق في الريح فاستعمله في مطلق الإطلاق، والسائم: الراعي. والوبي: الردي يجلب الوباء. والدوي: الوبيل يفسد الصحة، أصله من الدوا بالقصر أي المرض. والمدى: جمع مدية: السكين؛ أي معلوفة للذبح.

(2) تحسب يومها دهرها: أي لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئاً بعد يومها، ومتى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشبع. هذا الكلام كله توبيخ [illegible] على [illegible] أهل هذا الزمان.

(3) مخرجه الخ... أي من أين يخرج وأين يلج: أي يدخل.

(4) مفضيه: أصله من أفضى إليه: أعلمه؛ وإلى الأرض: مسها. والخاصة في موضعه: أهل اليقين ممن لا تخشى عليهم الفتنة.

(5) [يقول ابن ميثم في شرح هذا الكلام: وذلك التعليم منه ما يكون على وجه جزئي أعني أن يخبره بواقعة واقعة ومنه ما يكون على وجه كلي أي يلقي إليه أصولاً كلية يعد ذهنه بها لاستفاضة الصور الجزئية من واهب الصور]

أيها الناس إني، والله، ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها.

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة]

عظة الناس

انتفعوا ببيان الله. واتعظوا بمواعظ الله، واقبلوا نصيحة الله. فإن الله قد أعذر إليكم بالجلية (١). واتخذ عليكم الحجة. وبين لكم محابه من الأعمال. ومكارهه منها، لتتبعوا هذه، وتجتنبوا هذه، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ كان يقول: «إن الجنة حفت بالمكاره وإن النار حفت بالشهوات».

واعلموا أنه ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره (٢). وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة. فرحم الله رجلاً نزع عن شهوته (٣) وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس

(١) أعذر إليكم بالجلية أي بالأعذار الجلية. والعذر هنا ما يعذر عن سبب العقاب في المؤاخذة عند مخالفة الأوامر الإلهية.

(٢) أي لا شيء من طاعة الله إلا وفيه مخالفة هوى النفس البهيمية، فتكره إتيانه، ولا شيء من معصية الله إلا وهو موافق لميل حيواني، فتشتهي النفوس إتيانه.

(٣) نزع عنه: انتهى وأقلع، فإن عُدّي بإلى، كان بمعنى اشتاق، وأبعد منزعاً أي نزوعاً بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصي.

أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً . وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى .

وَاعْلَمُوا - عِبَادَ اللهِ - أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا (١) ، فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ . قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ (٢) وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ .

فضل القرآن

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٍ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ (٣) ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى

---

(١) ظنون – كصبور –: الضعيف والقليل الحيلة ، فيريد أن المؤمن يظن في نفسه النقص والتقصير في الطاعة ، أو هو من الظنون التي لا يدري أفيها ماء أم لا ، فتكون هنا بمعنى متهمة فهو لا يثق بنفسه [illegible] حتى ما [illegible] وزاريا عليها : أي عائبا . ومستزيدا : طالبا منها الزيادة من [illegible] الأعمال .

(٢) [illegible] مدة الحياة كما يطوي المسافر منازل سفره في مراحله ومسافاته .

(٣) [[illegible] وصف الناصح للقرآن [illegible] بالمجالسة على القرآن [illegible] ولزوم قراءة القرآن . وليس على أحد بعده من فاقة] أي فقر وحاجة [illegible] وهو مرشد إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ، وسائق إلى شرف المنازل وغايات المجد والرفعة .

فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ (١)، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ: وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ. فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ (٢)، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ. وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ (٣) بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ (٤)، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

الحث على العمل

الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ. إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى

---

(١) اللأواء: الشدة.

(٢) فاطلبوا من الله ما تحبونه من سعادة الدنيا والآخرة باتباعه، واقبلوا على الله بالرغبة في هديه، وهو المراد من حبه، ولا تجعلوه آلة لنيل الرغبات من الخلق، لأنه ما تقرب العباد إلى الله بمثل احترامه والأخذ به كما أنزله.

(٣) شفاعة القرآن: نطق آياته بانطباقها على عمل العامل. ومحل به: مثلث الحاء، كاده بتبيين سيئاته عند السلطان، كناية عن مباينة أحكامه لما أتاه العبد من عمله.

(٤) إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ. واستغشوا أهواءكم: أي ظنوا فيها الغش وارجعوا إلى القرآن.

نِهَايَتِكُمْ. وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ[1]. وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ. وَاخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ[2]، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ. أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ[3].

نصائح للناس

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ[4]. وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا، وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» وَقَدْ قُلْتُمْ: رَبُّنَا اللَّهُ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ. ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا. فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ

---

(١) العلم محركاً يريد به القرآن.

(٢) خرج إلى فلان من حقه: أداه، فكأنه كان محبوساً في مؤاخذته فانطلق، و«من حقه» في العبارة بيان لما افترض، ومعمول اخرجوا مقدر مثله. والوظائف: ما قدر الله لنا من الأعمال المخصصة بالأوقات والأحوال كالصوم والصلاة والزكاة.

(٣) حجيج: من حج إذا أقام حجته. والإمام، كرم الله وجهه، لعلو منزلته من الله، يشهد للمحسنين ويقوم بالحجة على المخالفين.

(٤) تورد: هو تفعل كتنزل، أي ورد شيئاً بعد شيء. والمراد من القضاء الماضي ما مر حدوثه من حادثة الخليفة الثالث وما تبعها من الحوادث. وعدة الله بكسر ففتح مخفف من وعده، أي لا تخرجوا منها.

بهم عند الله يوم القيامة. ثم إياكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها[1]. واجعلوا اللسان واحداً. وليخزن الرجل لسانه[2]. فإن هذا اللسان جموح بصاحبه. والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه. وإن لسان المؤمن من وراء قلبه[3]. وإن قلب المنافق من وراء لسانه. لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واراه. وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه. ولقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله -: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه. ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم فليفعل.

(١) تهزيع الشيء: تكسيره، والصادق إذا كذب فقد تكسر صدقه، والكريم إذا لؤم فقد ثلم كرمه، فهو نهي عن حطم الكمال بعيوب النقص. وتصريف الأخلاق من صرفه إذا قلبه، نهى عن النفاق والتلون في الأخلاق وهو معنى الأمر بجعل اللسان واحداً.

(٢) ليخزن - كينصر - أي ليحفظ لسانه. والجموح: من جمح الفرس إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرديه.

(٣) لسان المؤمن تابع لاعتقاده لا يقول إلا ما يعتقده، والمنافق يقول ما ينال به غايته الخبيثة، فإذا قال شيئاً أخطره على قلبه حتى لا ينساه فيناقضه مرة أخرى فيكون قلبه تابعاً للسانه.

تحريم البدع

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ. وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ [1] وَلكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللهُ. فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا [2]، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ، وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ. فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا يَعْمَى عَنْ ذلِكَ إِلَّا أَعْمَى. وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ [3] حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ. وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ.

القرآن

وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ

---

(١) البدع التي أحدثها الناس لا تحرم شيئاً من حكم الله.

(٢) ضرستهم الحرب: جربتهم، أي جربتموها.

(٣) الاتيان من الامام كناية عن الظهور، كأن التقصير عدو قوي يأتي مجاهرة لا يخدع ولا يغر، فيأخذه أخذ العزيز المقتدر، عند ذلك يعرف من الحق ما كان أنكر، وينكر من الباطل ما كان عرف.

حَبْلُ ٱللهِ ٱلْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ ٱلأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ ٱلْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ ٱلنَّاسُونَ وَٱلْمُتَنَاسُونَ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ. وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ – صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – كَانَ يَقُولُ: «يَا ٱبْنَ آدَمَ ٱعْمَلِ ٱلْخَيْرَ وَدَعِ ٱلشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ» (١).

أنواع الظلم

أَلَا وَإِنَّ ٱلظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ. فَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يُغْفَرُ فَٱلشِّرْكُ بِٱللهِ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: «إِنَّ ٱللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ ٱلْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْهَنَاتِ (٢). وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً. ٱلْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِٱلْمُدَى (٣) وَلَا ضَرْباً بِٱلسِّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ

---

(١) [جواد قاصد أي]: مستقيم أو قريب من الله والسعادة [واستعار لفظ الجواد القاصد لأن العامل للخير المنتهي عن الشر مستقيم على طريق الله فلا تريث في طريقه ولا اعوجاج في سيره، فيكون سيره أسرع سير كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق].

(٢) الهنات: جمع هنة محركة: الشيء اليسير والعمل الحقير. والمراد به صغائر الذنوب.

(٣) [المدى] جمع مدية، وهي السكين. والسياط جمع سوط.

مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ (١) . وَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ ٱللهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ ٱلْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ (٢) وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ .

لزوم الطاعة

يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَكَلَ قُوتَهُ ، وَٱشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ (٣) ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ .

---

(١) ولكنه العذاب الذي يعد الجرح والضرب صغيراً بالنسبة اليه .

(٢) من يحافظ على نظـــام الالفة والاجتماع ، وان ثقل عليه اداء بعض حقوق الجماعة وشق عليه ما تكلفه به من الحق ، فذلك الجدير بالسعادة دون من يسعى للشقاق وهدم نظام الجماعة ، وان نال بذلك حقاً باطلاً وشهرة وقتية ، فقد يكون في حظه الوقتي شقاؤه الابدي . ومتى كانت الفرقة عم الشقاق وأحاطت العداوات واصبح كل واحد عرضة لشرور سواه ، ذهبت الراحة وفسدت حال المعيشة .

(٣) [قيل ان طوبى فعلى من الطيب ، والواو منقلبة عن الياء] وقوله لمن لزم بيته : ترغيب في العزلة عن اثارة الفتن واجتناب الفساد ، وليس ترغيبـــاً في الكسالة وترك العامة وشأنهم ، فقد حث امير المؤمنين في هذا الموضع على مقاومة الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في معنى الحكمين

[وهو من خطبة خطبها بعد ما بلغه أمر الحكمين]

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ ٱخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا[1] عِنْدَ ٱلْقُرْآنِ ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ . فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكَا ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَٱلِاعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا . وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَٱلْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا[2] وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا ، وَٱلثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا[3] حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ ٱلْحَقِّ ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ ٱلْحُكْمِ

---

(١) يجعجعا : من جعجع البعير إذا برك ولزم الجعجاع أي الأرض . أي أن يقيما عند القرآن . والتبع ـ محركة ـ التابع للواحد والجمع . وتاها أي ضلا [والرجلان هما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص وقد أخذ عليهما أن يجعجعا نفسيهما على العمل بالقرآن ولا يتجاوزاه وتكون ألسنتهما وقلوبهما معه] .

(٢) سوء مفعول سبق ، أي أن استثناءنا وقت التحكيم حيث قلنا لا تحكموا إلا بالعدل ، كان سابقاً على سوء الرأي وجور الحكم ، فهما محجوجان بما شرط عليهما لا نحن . ويصح أن يكون مفعول استثنائنا ، والمعنى أنا استثنينا عليهم فيما سبق أن لا يسيئا رأياً ولا يجورا حكماً ، فيقبل حكمهما إلا أن يجورا ويسيئا .

(٣) عبر بالثقة عن الحجة القوية والسبب المتين في رفض حكمهما .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في الشهادة والتقوى وقيل انه خطبها بعد مقتل عثمان في اول خلافته]

الله ورسوله

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ . وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ . وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ . وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ ٱلْمَاءِ وَلَا نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ ، وَلَا سَوَافِي ٱلرِّيحِ فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَلَا دَبِيبُ ٱلنَّمْلِ عَلَى ٱلصَّفَا ، وَلَا مَقِيلُ ٱلذَّرِّ (١) فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ . يَعْلَمُ مَسَاقِطَ ٱلْأَوْرَاقِ وَخَفِيَّ طَرْفِ ٱلْأَحْدَاقِ (٢) . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ (٣) ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ (٤) شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ (٥) وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلْمُجْتَبَى مِنْ

---

(١) لا يعزب : لا يخفى . وسوافي الريح جمع سافية من سفت الريح التراب والورق أي حملته . والصفا مقصوراً ـ جمع صفاة ـ الحجر الأملس الضخم ودبيب النمل أي حركته عليه في غاية الخفاء لا يسمع لها حس . والذر صغار النمل . ومقيلها محل استراحتها ومبيتها .

(٢) طرف الحدقة تحريك جفنيها . والحدقة من العين .

(٣) عدل بالله : جعل له مثلا وعديلا .

(٤) خلقه الخلق جميعاً .

(٥) دخلته بالكسر [والضم] : باطنه .

خلائقه، وَالْمُعْتَامَ لِشَرْحِ حقائقه وَالْمُخْتَصَّ بعقائل كراماته[1]. وَالْمُصْطَفَى لكرائم رسالاته. وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى. وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى[2].

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا[3]، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَايْمُ اللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا[4]، لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ. وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ[5] وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ

---

(1) المجتبى: المصطفى. والعقيلة - بفتح فكسر -: المختار من المال. واعتام عبدا: فالمعتام المختار لبيان حقائق توحيده وتنزيهه. والعقائل: الكرائم والكرامات ما أكرم الله به نبيه من معجزات ومنازل في النفوس عاليات.

(2) أشراط الهدى: علاماته ودلائله. وغربيب الشيء - كعفريت -: أشده سوادا، فغربيب العمى أشد الضلال ظلمة.

(3) المخلد: الراكن المائل. ونفس - كفرح -: ضن، أي لا تضن الدنيا عن يباري غيره في اقتنائها وعدها من نفائسه، ولا تحرص عليه بل تهلكه.

(4) الغض: الناضر. واجترح الذنب: اكتسبه وارتكبه [وفي الكلام تصريح بأن الذنوب سبب زوال النعم وحلول النقم].

(5) كنى بالفترة عن جهالة الغرور، أو أراد في فترة من عذاب ينتظركم عقابا على انحطاط هممكم وتباطئكم عن جهاد عدوكم

مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ [1]. وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ! [2].

ومن كلام له عليه السلام

[في التوحيد والتنزيه]

وقد سأله ذعلب اليماني [3] فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال:

لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ. قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ [4]. صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ. لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ [5]، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ. تَعْنُو الْوُجُوهُ

---

(1) [أي لو ردت عليكم أسلافكم وسيرتكم التي كنتم عليها في زمن الرسالة]

(2) [يعني أنه قد سامحهم بما سبق منهم].

(3) [الذعلب في الأصل الناقة السريعة ثم نقل فسمي به الانسان]

(4) الملامسة والمباينة على معنى البعد المكاني من خواص المواد. وذات الله مبرأة من المادة وخواصها. فهو قريب من الأشياء الحاضر وهو في تعاليه، فهو مع كل شيء، وهو بعيد من كل شيء، فقد بعد بعد المكانة من التنزيه. والروية: التفكر، والهمة: الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصاً وأوجب هماً وحزناً والجارحة العضو البدني.

(5) الجفاء: الغلظ والخشونة.

لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ (1) مِنْ مَخَافَتِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[في ذم العاصين من أصحابه]

أَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ. إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ. وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ (2). لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ (3)! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ. فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي – وَلَيَأْتِيَنِّي – لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ (4) وَبِكُمْ غَيْرُ

---

(1) [رحيم لا يوصف بالرقة أي لا يوصف برقة الطبع والانفعال النفساني، لأنها من صفات النفوس وذوات الأجساد]. تعنو: تذل. ووجب القلب يجب وجيبا ووجبانا: خفق واضطرب.

(2) أي في الكلام الباطل. وخرتم: أي ضعفتم وجبنتم. [ويحتمل أن يكون من الخوار وهو الصياح] والمشاقة: المراد بها الحرب، ونكصتم: رجعتم القهقرى [وهذا شرح لوجوه الابتلاء بهم].

(3) معروف في التقريع: لا أبا لكم، ولا أبا لك. وهو دعاء بفقد الأب أو تعيير بجهله، فتلطف الإمام بتوجيه الدعاء أو الذم لغيرهم.

(4) قال: أي كاره. وغير كثير بكم: أي أني أفارق الدنيا وأنا في قلة من الأعوان وإن كنتم حولي كثيرين. ويدل عليه قوله فيما بعده: لله أنتم.

كثير. لله أنتم! أما دين يجمعكم، ولا حمية تشحذكم[1]؟ أوليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء[2]، وأنا أدعوكم — وأنتم تريكة الإسلام[3] وبقية الناس — إلى المعونة وطائفة من العطاء، فتفرقون عني وتختلفون علي؟ إنه لا يخرج إليكم من أمري رضى فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه[4]، وإن أحب ما أنا لاق إلي الموت! قد دارستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج[5]، وعرفتكم ما أنكرتم، وسوغتكم ما مججتم، لو

---

(١) من شحذ السكين: كمنع، أي: حددها.

(٢) الجفاة: جمع جاف — أي غليظ. والطغام بالفتح: أرذال الناس. والمعونة ما يعطى للجند لإصلاح السلاح، وعلف الدواب، زائداً على العطاء المفروض، والأرزاق المعينة لكل منهم [وليس المراد نفي العطاء عن معاوية، فإنه أعطاهم ولكن على غير وجه المعونة والعطاء، بل على وجه الاستمالة والرشوة. وقد أعطى رؤساء القبائل من اليمن والشام الأموال الجليلة ليستخدمهم].

(٣) التريكة — كسفينة — بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تتركها في مجثمها، والمراد أنتم خلف الإسلام وعوض السلف.

(٤) يريد أنه لا يوافقكم من شيء، لا ما يرضي، ولا ما يسخط.

(٥) أي قرأت عليكم القرآن تعليماً وتنبيهاً. «وفاتحتكم» حاكمتكم، من فتح بمعنى قضى، فهو بمعنى قاضيتكم أي حاكمتكم. والحجاج: المحاجة أي قاضيتكم عند المحاجة حتى قضيت عليكم بالعجز عن الخصام، وعرفتكم الحق الذي كنتم تجهلونه، وسوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجونه وتطرحونه.

كَأَنَّ الْأَعْمَى يَلْحَظُ (١)، أَوِ النَّائِمَ يَسْتَيْقِظُ. وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ، وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ (٢)!

ومن كلام له عليه السلام

[قاله لرجل من أصحابه]

وقد أرسل رجلا من أصحابه، يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة، قد هموا باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلام، فلما عاد إليه الرجل قال له: «أأمنوا فقطنوا، أم جبنوا فظعنوا؟» (٣) فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام:

بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ (٤)، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ (٥)، وَهُوَ غَداً

---

(١) يلحظ: ينظر، كأنه يقول: ليت الأعمى الخ [وهو إشارة إلى كونهم عمياً لا يبصرون رغم بصائرهم ونائمون لا يستيقظون].

(٢) أقرب بقوم: ما أقربهم من الجهل. وابن النابغة عمرو بن العاص [وقد سبق بيان السبب في تسميته ابن النابغة في الجزء الأول].

(٣) أمنوا: اطمأنوا. وقطنوا: أقاموا، وظعنوا: رحلوا [وهذا الكلام مشتمل على السؤال عن حالهم ومقامهم وعلتها الأمن والجبن، ثم على الدعاء عليهم بالهلاك].

(٤) أشرعت: سددت وصوبت نحوهم. والهامات: الرؤوس. [وبُعْداً لهم، أي: هلاكاً].

(٥) استفلهم: دعاهم للتفلل وهو الانهزام عن الجماعة.

مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ. فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ[1] فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ[2].

ومن خطبة له عليه السلام

[وفيها يحمد الله ويستعينه ويصف وحدانيته ثم يعظ بالزهد والتقوى]

روي عن نوف البكالي[3] قال خطبنا هذه الخطبة أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة، وهو قائم على حجارة، نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف[4] وحمائل سيفه من ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأنّ جبينه ثفنة بعير[5]. فقال عليه السلام

---

(١) حسبهم: كافيهم من الشر خروجهم الخ والباء زائدة، وإن جعل «حسب» اسم فعل بمعنى اكتف كانت الباء في موضعها أي فليكتفوا من الشر والخسة بذلك فهو كفيل لهم بكل شقاء. والارتكاس: الانقلاب والانتكاس [ورجوعهم إلى الضلال القديم وهي الجهل الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته].

(٢) صدهم: إعراضهم. والجماح: الجموح وهو أن يغلب الفرس راكبه. والمراد تعسفهم في التيه أي الضلال.

(٣) هو نوف بن فضالة البكالي نسبة الى بني بكال — ككتاب — بطن من حمير وضبطه بعضهم بتشديد الكاف كشداد. وجعدة بن هبيرة هو ابن أخت أمير المؤمنين وأمه أم هانيء بنت أبي طالب كان فارساً مقداماً فقيهاً.

(٤) مدرعة: ثوب يعرف عند بعض العامة بالدراعية قميص ضيق الأكمام، قال في القاموس ولا يكون إلا من صوف.

(٥) الثفنة — بكسر بعد فتح —: ما يمس الأرض من البعير بعد البروك، ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض، وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود.

حمد الله واستعانته

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ (1) ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً . وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ (2) ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً ، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً (3) ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً ، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً .

الله الواحد

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً (4) ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ ، وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ (5) بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ

(1) النوامي : جمع نامٍ بمعنى زائد .

(2) الطول (بفتح الطاء وسكون الواو) : الفضل .

(3) خنع : ذل وخضع .

(4) لأن الابن يكون شريكه في العز بل أعز منه لأنه عقبة وجوده . وسر الولادة حفظ النوع فلو صح عليه أن يلد لكان فانياً يبقى نوعه في أشخاص أولاده فيكون موروثاً هالكاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(5) يتعاوره : يتداوله ويتناوب عليه .

علاماتِ التدبيرِ المتقَنِ والقضاءِ المبرَمِ. فمِنْ شواهِدِ خلْقِه خلْقُ السمواتِ موطَّداتٍ بلا عمدٍ (١)، قائماتٍ بلا سَنَدٍ. دعاهُنَّ فأجَبْنَ طائعاتٍ مذعِناتٍ، غيرَ متلكِّئاتٍ ولا مبطِئاتٍ (٢). ولولا إقرارُهُنَّ له بالرُّبوبيَّةِ وإذعانُهُنَّ بالطواعيَةِ، لما جعلَهُنَّ موضِعاً لعرشِه، ولا مسكَناً لملائكتِه، ولا مصعَداً للكَلِمِ الطيِّبِ والعملِ الصالحِ من خلْقِه. جعلَ نجومَها أعلاماً يستدِلُّ بها الحيرانُ في مختلِفِ فِجاجِ الأقطارِ. لم يمنعْ ضوءَ نورِها ادلهمامُ سجفِ الليلِ المظلِمِ. ولا استطاعتْ جلابيبُ سوادِ الحنادِسِ (٣) أن تردَّ ما شاعَ في السمواتِ من تلألؤِ نورِ القمرِ. فسبحانَ من لا يخفى عليه سوادُ غسقٍ داجٍ، ولا ليلٍ ساجٍ (٤) في بقاعِ

---

(١) موطدات: مثبتات في مداراتها على ثقل اجرامها.

(٢) التلكؤ: التوقف والتباطؤ.

(٣) ادلهمام الظلمة: كثافتها وشدتها. والسجف ـ بالكسر والفتح ـ وككتاب: الستر. والجلابيب: جمع جلباب: ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه ملحفة. ووجه الاستعارة فيها ظاهر. والحنادس: جمع حندس ـ بكسر الحاء ـ: الليل المظلم.

(٤) الساجي: الساكن، ووصف الليل بالسكون وصف له بصفة المشتملين به، فإن الحيوانات تسكن بالليل وتطلب رزقها بالنهار. والمتطأطئات: المنخفضات. واليفاع: التل أو المرتفع مطلقاً من الأرض. والسفع ـ جمع سفعاء ـ: السوداء يضرب إلى الحمرة، والمراد منها الجبال؛ عبر عنها بلونها فيما يظهر للنظر على بعد. وما يتجلجل به الرعد: صوته. والجلجلة: صوت الرعد. وتلاشت: اضمحلت، وأصله من لشيء: خس بعد رفعة. وما يضمحل عنه البرق هو الأشياء التي ترى

ٱلْأَرَضِينَ ٱلْمُتَطَأْطِئَاتِ، وَلَا فِي يَفَاعِ ٱلسُّفْعِ ٱلْمُتَجَاوِرَاتِ. وما يَتَجَلْجَلُ بِهِ ٱلرَّعْدُ فِي أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ ٱلْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ ٱلْأَنْوَاءِ وَٱنْهِطَالُ ٱلسَّمَاءِ (١)! وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ ٱلْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ ٱلذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا، وَمَا يَكْفِي ٱلْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ ٱلْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا.

عود الى الحمد

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ. لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ (٢)! وَلَا يَنْظُرُ

عند لمعانه. والعواصف: الرياح الشديدة، وعصفها الانواء من اضافة الشيء لصاحبه عادة. والانواء ـ جمع نوء ـ: احد منازل القمر يعدها العرب ثمانية وعشرين يغيب منها عن الافق في كل ثلاث عشرة ليلة منزلة ويظهر عنه اخرى. والمغيب والظهور عند طلوع الفجر وكانوا ينسبون المطر عند الانواء، فيقولون: مطرنا بنوء كذا لمصادفة هبوب الرياح وهطول الامطار في اوقات ظهور بعضها حتى جاء الاسلام فأبطل الاعتقاد بتأثير الكواكب في الحوادث الارضية تأثيراً روحانياً.

(١) السماء هنا: المطر.

(٢) [ولا تشغله سائل لاحاطة علمه وقدرته] النائل: العطاء. الاين: المكان. والأزواج: القرناء والأمثال، أي لا يقال ذو قرناء ولا هو قرين لشيء [ويراد من هذا نفي الاثنينية والتعدد عنه جل شأنه] والعلاج لا يكون الا بين شيئين أحدهما يقاوم الآخر فيتغلب الآخر عليه، والله لا يعالج شيئاً بل يقول له كن فيكون. [وهو تنزيه لصنعه تعالى عن وساطة الآلة والحيلة كما يزاول أصحاب الصنائع].

بِمَيْنٍ. وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ. وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ. الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً. بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ (١). بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ (٢) فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً (٣) عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ (٤).

الوصية بالتقوى

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ (٥) وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ. وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً،

---

(١) اللهوات: جمع لهاة ـ اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.

(٢) المتكلف: هو شديد التعرض لما لا يعنيه، أي إن كنت أيها المتعرض لما لا يعنيك من وصف ربك صادقاً في دعوى القدرة على وصفه، فصف أحد مخلوقاته فإذا عجزت فأنت عن وصف الخالق أشد عجزاً.

(٣) الحجرات: جمع حجرة ـ بضم الحاء ـ الغرفة. والمرجحن ـ كالمقشعر ـ المائل لثقله والمتحرك يميناً وشمالاً كناية عن انحنائهم لعظمة الله واهتزازهم لهيبته. ومتولهة: أي حائرة أو متحيرة.

(٤) [أي أضاء بنوره كل ظلام محسوس أو معقول وكل نور بالنسبة لنوره مظلم دامس الظلام]

(٥) الرياش: اللباس الفاخر.

أَوْ إِلَى دَفْعِ ٱلْمَوْتِ سَبِيلاً، لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ ٱلَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ مَعَ ٱلنُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ ٱلزُّلْفَةِ. فَلَمَّا ٱسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ (١)، وَٱسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ ٱلْفَنَاءِ بِنِبَالِ ٱلْمَوْتِ (٢). وَأَصْبَحَتِ ٱلدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَٱلْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْقُرُونِ ٱلسَّالِفَةِ لَعِبْرَةً!

أَيْنَ ٱلْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْعَمَالِقَةِ! أَيْنَ ٱلْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْفَرَاعِنَةِ! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ ٱلرَّسِّ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا ٱلنَّبِيِّينَ، وَأَطْفَأُوا سُنَنَ ٱلْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ ٱلْجَبَّارِينَ (٣)! وَأَيْنَ ٱلَّذِينَ سَارُوا

---

(١) الطعمة ـ بالضم ـ : كل ما يؤكل. والمراد رزقه المقسوم.

(٢) [واحد القسي والسهام استعيرت مرامي للأمراض وأسبابها].

(٣) سئل أمير المؤمنين عن أصحاب مدائن الرس فيما رواه الرضي عن آبائه الى جده الحسين فقال: انهم كانوا يسكنون في مدائن لهم على نهر يسمى الرس من بلاد المشرق (هو نهر أرس في بلاد آذربيجان) وكانوا يعبدون شجرة صنوبر مغروسة على شفير عين تسمى دوشاب (يقال غرسها يافث بن نوح) وكان اسم الصنوبرة شاه درخت وعدة مدائنهم اثنتا عشرة مدينة اسم الاولى أبان، والثانية آذر، والثالثة دي، والرابعة بهمن، والخامسة اسفندار، والسادسة فروردين، والسابعة اردي بهشت، والثامنة خرداد، والتاسعة مرداد، والعاشرة تير، والحادية عشرة مهر، والثانية عشرة شهريور، فبعث الله لهم نبياً ينهاهم عن عبادة الشجرة ويأمرهم بعبادة الله فعصوا نبيه وقتلوه شر قتلة حيث قذفوا في العين أنابيب من رصاص بعضها فوق بعض كالبربخ ثم رفعوا منها الماء واحتفروا حفرة في قعرها وألقوا نبيهم فيها حياً واخذوا يسمعون أنينه ويشكونه حتى مات فعاقبهم الله بأن أرسل ريحاً عاصفة ملتهبة سلقت أبدانهم وقذفت عليهم الارض مواد كبريتية متقدة فذابت أجسادهم وهلكوا وانقرضت مدائنهم.

بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا الْأُلُوفَ وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ.

منها: قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا (1). وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا. فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ (2). بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ (3)، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ

فصل علي

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ. وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ

---

(1) جنة الحكمة: ما يحفظ على صاحبها من الزهد والورع. والكلام في العارف مطلقاً.

(2) هو مع الاسلام فاذا صار الاسلام غريباً اغترب معه لا ينفصل عنه. وعسيب الذنب - أصله. والضمير في ضرب للاسلام. وهذا كناية عن التعب والاعياء، يريد الضعف. والجران — ككتاب — مقدم عنق البعير من المذبح الى المنحر، والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه. والصاق جرانه بالأرض كناية عن الضعف كسابقه.

(3) بقية. تابع لمغترب، وضمير حجته وأنبيائه لله المعلوم من الكلام [وقال بعض الامامية ان الكلام إشارة الى الامام المنتظر؛ وقال بعضهم: إن الكلام إشارة إلى العلماء، والعارفين فهم حجج الله في الأرض على عباده].

تَسْتَوْسِقُوا (١). لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ - وَهُمْ بِصِفِّينَ - أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً؟ يُسِيغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ (٢)! قَدْ - وَاللَّهِ - لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ (٣)؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ.

---

(١) استوسقت الابل: اجتمعت وضم بعضها الى بعض.

(٢) الرنق - بكسر النون وفتحها وسكونها - الكدر.

(٣) عمار بن ياسر، من السابقين الاولين. وأبو الهيثم مالك بن التيهان بتشديد الياء وكسرها من أكابر الصحابة [وأبوه مالك أو عمرو بن الحرب وهو التيهان] كان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا. والمشهور ان ابه أبا الهيثم أدرك صفين مع علي عليه السلام وقتل بها]. وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت [الأنصاري] قبل النبي شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة [وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد]. كلهم قتلوا في صفين. وأبرد برؤوسهم أي رسلت مع البريد بعد قتلهم الى البغاة للتشفي منهم رضي الله عنهم.

قال: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام:

أَوْهِ (١) عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.

ثم نادى بأعلى صوته:

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللهِ. أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللهِ فَلْيَخْرُجْ!

قال نوف: وعقد للحسين - عليه السلام - في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد - رحمه الله - في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف (٢)، ولغيرهم على أعداد أخر وهو يريد الرجعة الى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر فكنا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان

ومن خطبة له عليه السلام

[في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى]

الله تعالى

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ

(١) أوه بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء - كلمة توجع.

(٢) [أبو أيوب الأنصاري هو خالد بن سعد بن كعب من الخزرج من بني النجار شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد وعليه نزل رسول الله ﷺ حين قدم المدينة مهاجراً، ولم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه وانتقل اليها. وشهد مع علي مشاهده كلها: الجمل وصفين وكان على مقدمته يوم النهروان.

مَنْصَبَةٍ (١) . خَلَقَ ٱلْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَٱسْتَعْبَدَ ٱلْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَسَادَ ٱلْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ . وَهُوَ ٱلَّذِي أَسْكَنَ ٱلدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا (٢) وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا وَمَا أَعَدَّ ٱللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَٱلْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا ٱسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ (٣) جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً .

فضل القرآن

مِنْهَا : فَٱلْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةُ ٱللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ وَٱرْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ (٤) . أَتَمَّ

---

(١) المنصبة - كمصطبة - التعب.

(٢) هجم عليه - كنصر - دخل بغتة والمعتبر مصدر ميمي للاعتبار والاتعاظ والتعرف المستدل . والمصاح جمع مصحة بكسر الصاد وفتحها بمعنى الصحة والعافية ، كأن النفس في علة عن مرتقب الصحة والمرض على بدن الانسان حتى يهجم رسل الله الى ان هذا البلاء منه سبحانه . ليعرف الانسان عجزه وأن امره بيد خالقه.

(٣) أي كما طلب من خلقه أن يحمدوه .

(٤) [ولا يخفى ان اسناد الأمر والنهي والنطق القرآن انما هو من باب المجاز لأن الآمر الناهي هو الله والناطق هو المتكلم به] . حبس نفوسهم في ضنك المؤاخذة حتى يؤدوا حق القرآن من العمل به فان لم يعملوا لم يخلصوا بل هلكوا .

نوره، وأكمل به دينه، وقبض نبيه - صلى الله عليه وآله - وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به. فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه. فإنه لم يخف عنكم شيئاً من دينه ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلا وجعل له علماً بادياً وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه. فرضاه فيما بقي واحد، وسخطه فيما بقي واحد[1]. واعلموا أنه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم، ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم، وإنما تسيرون في أثر بين، وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم. قد كفاكم مؤونة دنياكم، وحثكم على الشكر، وافترض من ألسنتكم الذكر.

الوصية بالتقوى

وأوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه. فاتقوا الله الذي أنتم بعينه[2] ونواصيكم بيده، وتقلبكم في قبضته. إن أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه. قد وكل بذلك حفظة كراماً لا يسقطون حقاً، ولا يثبتون باطلاً.

---

(١) [في الكلام إشارة الى ان المرضي من الاحكام والمسخوط عليه منها فيما مضى، إذ هي باقية كما هي؛ المرضيّ مرضي والمسخوط مسخوط فيما بقي من الزمان والمستقبل من الاوقات. وبه تحتج الامامية في عدم الأخذ بالرأي فيما صدر فيه حكم من الاحكام].

(٢) يقال: فلان بعين فلان اذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الفِتَنِ ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيما اشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الكَرَامَةِ عِنْدَهُ ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ (١) ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ . فَبَادِرُوا المَعَادَ ، وَسَابِقُوا الآجَالَ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ (٢) ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ (٣) . وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا .

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطَانٍ . أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى

(١) [[illegible]] . وفي التعبير بزورة الملائكة ورفقة الرسل لطيفة إذ لما كانت خلقة الملائكة روحانية عبر عنها بالزيارة ولما كانت خلقة الرسل جثمانية عبر عنها بالرفقة ، والرفيق ألصق وألزم من الزائر] .

(٢) [يرهقهم الأجل] أي يغشاهم بغتة .

(٣) أي أنكم في حالة يمكنكم فيها العمل لآخرتكم وهي الحالة التي يتمنى المهملون على دوامها ويتمنون الرجعة إليها كما حكى الله عنهم ، يقول الواحد منهم « رب ارجعني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت » .

النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ (١)، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ.

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ (٢) الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ! وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ (٣) حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ. فَاللَّهَ اللَّهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ. فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلَقَ رَهَائِنُهَا (٤). أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ (٥)، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» وَقَالَ تَعَالَى «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ،

---

(١) مالك هو [الْمَلَكُ] الموكل بالجحيم.

(٢) اليفن ـ بالتحريك ـ الشيخ المسن. ولهزه: أي خالطه والقتير: الشيب.

(٣) نشبت ـ كفرحت ـ علقت. والجوامع ـ جمع جامعة ـ الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق.

(٤) غلق الرهن ـ كفرح ـ استحقه صاحب الحق وذلك اذا لم يمكن فكاكه في الوقت المشروط.

(٥) [كنى عليه السلام ـ بالسهر عن قطع الليل بالعبادة وبمداومة العلم؛ وبضمور البطون عن الصوم وباستعمال الاقدام عن الصلاة والسعي، وبالانفاق عن الصدقات وبالأخذ من الاجساد عن الزهد في الدنيا].

أَسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ وَٱسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ، وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ. أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ (١) أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ ٱللهِ فِي دَارِهِ. رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً (٢)، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً (٣) «ذَلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ»

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ!

ومن كلام له عليه السلام

قاله للبرج بن مسهر الطائي (٤)، وقد قال له بحيث يسمعه لا حكم إلا لله، وكان من الخوارج

ٱسْكُتْ قَبَحَكَ ٱللهُ يَا أَثْرَمُ (٥)، فَوَٱللهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ

---

(١) [يبلوكم]: يختبركم.

(٢) الحسيس: الصوت الخفي.

(٣) لغب - كسمع ومنع وكرم - لغبا ولغوبا: أعيا أشد الإعياء. والنصب: التعب أيضاً.

(٤) [البرج بالباء المضمومة آخره جيم] أحد شعراء الخوارج. [وقد تنادى بشعارهم].

(٥) الأثرم: محركا سقوط الثنية من الأسنان. والضئيل: النحيف المهزول، كناية عن الضعف. ونعر: أي صاح. ونجمت: ظهرت وبرزت. والتشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير [شرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة].

فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ (1)، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

ومن خطبة له عليه السلام

[يحمد الله فيها ويثني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان]

حمد الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لاَ تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلاَ تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلاَ تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ. الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ. مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ. وَاحِدٌ لاَ بِعَدَدٍ، وَدَائِمٌ لاَ بِأَمَدٍ (2)، وَقَائِمٌ لاَ بِعَمَدٍ. تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لاَ بِمُشَاعَرَةٍ (3)، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لاَ بِمُحَاضَرَةٍ. لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا،

(1) [وكنى - عليه السلام - بقلة الشخص وخفوت الصوت عن حقارته في زمن العدل بين الجماعة وخمول ذكره في ظهور الحق وقوة الاسلام].

(2) [واحد لا بعدد: أي لا يتكون من اجزاء] الأمد: الغاية.

(3) مشاعرة الأذهان: احدى حواسها، تحسه من جهة عروض شيء منه عليها. والمرائي - جمع مرآة بالفتح - وهي المنظر أي تشهد له مناظر الاشياء لا بحضوره فيها شخصاً للأبصار.

وبها امْتَنَعَ مِنْهَا، وإِلَيْهَا حَاكَمَهَا (1). لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً؛ بَلْ كَبُرَ شَأْناً، وَعَظُمَ سُلْطَاناً.

الرسول الأعظم

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً (2) بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالّاً عَلَيْهَا. وَأَقَامَ أَعْلَامَ الاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ. وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً (3)، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً.

منها في صفة خلق أصناف من الحيوان:

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ، وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ. أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ،

---

(1) أي أنه بعد ما تجلى للأوهام بآثاره فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته وحاكمها إلى نفسها حيث رجعت بعد البحث خاسئة حسيرة معترفة بالعجز عن الوصول إليه

(2) أي ليلزم العباد بالحجج البينة على ما دعاهم إليه من الحق. والفلج: الظفر وظهوره علو كلمة الدين [والمنهج: الطريق. وصادعاً بها: معلناً بها بعد الاسرار].

(3) الامراس: جمع مرس بالتحريك، وهو جمع مرسة بالتحريك وهو الحبل [ويريد بمراس الاسلام قواعده واصوله وأخلاقه].

وسوى له العظم والبشر [1]؟ انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها [2]، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدها في مستقرها. تجمع في حرها لبردها، وفي ورودها لصدرها [3]، مكفولة برزقها، مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس [4]. ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها [5] وما في الرأس من عينها وأذنها — لقضيت من خلقها عجبا، ولقيت من وصفها تعبا. فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها. لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه في خلقها قادر. ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شيء [6]

(1) [البشر]: جمع بشرة وهي ظاهرة الجلد الإنساني [ويريد هنا كل ما يكسو العظم].

(2) [لطافة هيئتها: دقة تركيبها].

(3) الصدر — محركاً — الرجوع بعد الورود. وقوله بوفقها بكسر الواو أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها.

(4) [الصفا: الحجر الأملس لا تشقق فيه] والجامس: الجامد.

(5) الشراسيف: مقاط الأضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن.

(6) أي إن دقة التفصيل في النملة على صغرها والنخلة على طولها تدلك على أن الصانع واحد.

وَغَامِضِ ٱخْتِلافِ كُلِّ حَيٍّ ، وَمَا ٱلْجَلِيلُ وَٱللَّطِيفُ وَٱلثَّقِيلُ وَٱلْخَفِيفُ وَٱلْقَوِيُّ وَٱلضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ .

خلقة السماء والكون

وَكَذَلِكَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْهَوَاءُ وَٱلرِّيَاحُ وَٱلْمَاءُ . فَانْظُرْ إِلَى ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلنَّبَاتِ وَٱلشَّجَرِ وَٱلْمَاءِ وَٱلْحَجَرِ وَٱخْتِلافِ هَذَا ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ ٱلْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ ٱلْجِبَالِ ، وَطُولِ هَذِهِ ٱلْقِلالِ (١) وَتَفَرُّقِ هَذِهِ ٱللُّغَاتِ ، وَٱلْأَلْسُنِ ٱلْمُخْتَلِفَاتِ . فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ ٱلْمُقَدِّرَ ، وَأَنْكَرَ ٱلْمُدَبِّرَ . زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَلَا لِاخْتِلافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ٱدَّعَوْا ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا (٢) . وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ

خلقة الجرادة

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي ٱلْجَرَادَةِ ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ (٣) وَجَعَلَ لَهَا ٱلسَّمْعَ ٱلْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ ٱلسَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ

(١) القلال - جمع قلة بالضم - وهي رأس الجبل .

(٢) لم يلجأوا : لم يستندوا . وأوعاه : - كوعاه - بمعنى حفظه [يريد أنهم حفظوه ووعوه من غير فهم وتمحيص وتلك طبائع الجهلاء وصفات الأغبياء] .

(٣) [قمراوين] أي : مضيئتين كأن كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر .

بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض[1]، يرهبها الزراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبها[2] ولو أجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها[3]، وتقضي منه شهواتها. وخلقها كله لا يكون إصبعا مستدقة[4].

فتبارك الله الذي يسجد له من في السموات والأرض طوعا وكرها، ويعفر له خدا ووجها، ويلقي إليه بالطاعة سلما وضعفا، ويعطي له القياد رهبة وخوفا. فالطير مسخرة لأمره. أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسى قوائمها على الندى واليبس[5]. وقدر أقواتها، وأحصى أجناسها. فهذا غراب وهذا عقاب. وهذا حمام وهذا نعام. دعا كل طائر باسمه، وكفل له برزقه. وأنشأ السحاب الثقال

---

(١) المنجل - كمنبر - آلة من حديد معروفة يقضب بها الزرع. قالوا أراد بهما هنا رجليها لاعوجاجهما وخشونتهما.

(٢) [ذبها]: دفعها.

(٣) [نزواتها]: وثباتها، نزا عليه: وثب.

(٤) [أي لا يكون في حجم الاصبع الصغيرة].

(٥) المراد من الندى هنا مقابل اليبس بالتحريك فيعم الماء، كأنه يريد أن الله جعل من الطير ما تثبت أرجله في الماء. ومنه ما لا يمشي إلا في الأرض اليابسة.

فأهْطَلَ [1] دِيَمَهَا [2] وَعَدَّدَ قِسَمَهَا [3]، فَبَلَّ الأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا [4]، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا [5].

---

(١) الهطل - بالفتح - تتابع المطر والدمع.

(٢) الديم - كالعنب - جمع ديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق [ولا يسمى المطر والسحابة ديمة إلا إذا عمّت ودامت]

(٣) تعديد القسم إحصاء ما قدر منها لكل بقعة.

(٤) [وجملة بلّ الارض بعد جفوفها سبب لما بعدها].

(٥) وجدوب الأرض: يبسها لاحتباس المطر عنها.

فهرس الجزء الثاني

من كتاب

وهو النصف الثاني من مختار خطب امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام .

فهرست الجزء الثاني

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تم بحمد الله وعونه طبع الجزء الثـــــاني من كتاب « نهج البلاغة » وهو باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه الجاري مجرى الخطب ، ويليه – إن شاء الله تعالى – الجزء الثالث وهو المختار من كتب أمير المؤمنين إلى أعدائه وأمراء بلاده

نسأل الله أن يوفقنا إلى إتمامه

إنه سميع مجيب